كلية الآداب

جامعة الفيوم
Fayoum University

مجلة كلية
الآداب جامعة الفيوم

Scanned by CamScanner

مجلة كلية الآداب. جامعة الفيوم

دورية علمية نصف سنوية محكمة

رقم الإيداع 2014/18953

الترقيم الدولي ISSN 2357-0709

العدد الحادي عشر

يناير 2015م – المجلد الثالث

مجلس إدارة المجلة

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة (عميد الكلية)	رئيساً لمجلس الإدارة
أ.د/ مجدي أحمد توفيق (وكيل الكلية لشئون الدراسات العليا)	رئيساً للتحرير
أ.د/ محمد الخزامى عزيز (الأستاذ بقسم الجغرافيا)	عضواً
أ.د/ إبراهيم محمد صقر (الأستاذ بقسم الفلسفة)	عضواً
أ.د/ حامد أمين شعبان (الأستاذ بقسم اللغة العربية)	عضواً
أ.د/ عادل عبد العزيز (الأستاذ بقسم التاريخ)	عضواً
أ.د/ إيمان محمد صبري (الأستاذ بقسم علم النفس)	عضواً

هيئة التحرير

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة	رئيساً لمجلس الإدارة
أ.د/ مجدي أحمد توفيق	رئيساً للتحرير
د/ سيد أحمد محمد الوكيل	مديراً للتحرير
د/ محمد عيد سعيد	محرراً للنص العربي
د/ على عبد التواب	محرراً للنص الإنجليزي
أ/ أحمد شمبولية	سكرتيراً للتحرير

الهيئة الاستشارية

الاسم	الرتبة الأكاديمية
أد. إبراهيم محمد صقر	أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ أحمد محمد عبد الخالق	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الإسكندرية
أد/ أحمد محمد بقوش	أستاذ بقسم اللغة الفارسية كلية الآداب جامعة الفيوم
أ.د/ سامية محمد جابر	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة الإسكندرية
أ.د/ سيد جاب الله السيد	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة طنطا
أ.د/شعبان جاب الله رضوان	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة
أ.د/ توفيق محمد عبد المنعم	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة البحرين
أ.د/ بدر سليمان الأنصاري	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الكويت
أ.د/ عزة أحمد صيام	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة بنها
أ.د/ معتز سيد عبد الله.	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة
أد/ عبد الحميد حمودة	أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. يمني احمد رضوان	أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ مجدي أحمد توفيق	أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم
أ.د/ عادل كمال خضر	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة بنها
أ.د/ هناء أحمد شويخ	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ عبد الرحمن الشرنوبي	أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. محمد الخزامي عزيز	أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. صبري عبد الله شندي	أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. محمد محمد عناني	أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة القاهرة
أد. مصطفى رياض	أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة عين شمس
أد. محمد دياب	أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم
أ.د/ محمد حسن غانم	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة حلوان

قواعد النشر:

1- مجلة كلية الآداب بجامعة الفيوم دورية علمية محكمة تعني بنشر الأبحاث والدراسات الأكاديمية التي تتميز بالأصالة والجدية وتساهم في التقدم المعرفي للعلوم الإنسانية وتقبل النشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية واللغات الأخرى شريطة ألا يكون البحث منشورًا من قبل.

2- تقدم البحوث التي يراد نشرها بالمجلة مكتوبة على برنامج ميكروسوفت ورد بخط Simplified Arabic نوع الصفحة B5 والهوامش 3سم في الأربعة جوانب ببنط 14 للمتن والهوامش بنط 12 والعناوين الجانبية بنط 16. والمسافة بين الأسطر 1.15سم.

3- في حالة رغبة الباحث نشر الصور أو الخرائط أو الأشكال البيانية ملونة يلتزم دفع تكاليفها.

4- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًا ممهورًا بتوقيعه بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها.

5- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية تشمل أهم مؤلفاته وأعماله.

6- الأبحاث التي ترد للمجلة ليست لها أغراض دينية أو سياسية وإنما أبحاث علمية في مجال العلوم الإنسانية بمختلف فروعها. وكل ما يرد من أبحاث تعبر عن وجهة نظر الباحث وتحت مسؤوليته.

7- يشترط عمل ملخص للبحث باللغة العربية والإنجليزية.

8- يراعي الباحث عند كتابة هوامش البحث ومصادره ومراجعه أن ترتب أرقام التوثيق بطريقةٍ مُتسلسلة حتى نهاية الفصل، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.

9- تقدم ثلاث نسخ من البحث إلى الأستاذ الدكتور رئيس التحرير مع سي ي CD بالبريد المسجل أو تسلم بيد الباحث.

10- أصول البحوث التي ترد إلى الدورية لا ترد ولا تسترجع سواء قبلت للنشر أو لم تُقبل.

11- يحصل صاحب البحث على 10 مستلات من بحثه بالإضافة إلى نسخة من العدد بعد طبعه.

تُرسل البحوث بريدياً على العنوان التالي:

جمهورية مصر العربية، الفيوم، كلية الآداب – جامعة الفيوم، رمز بريدي: 63514

ت: 0846379326 فاكس:0846379325

البريد الالكتروني:

mat03@fayoum.edu.eg

sae11@ fayoum.edu.eg

أثر دلالة حروف المعاني في توجيه الحكم الفقهي "أحكام القرآن للجصاص" نموذجاً

إعداد

الباحث/ عشري أحمد على سالم

يناير ٢٠١٥

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف رسله وأنبيائه. يأتي هذا البحث في إطار العلاقة بين المعنى النحوي والحكم الفقهي ، وهي علاقة قائمة وبارزة تناولها الأصوليون والفقهاء في مؤلفاتهم ، وكان لحروف المعاني نصيب وافر في توجيه الأحكام الفقهية . وهذا البحث يتناول بعض النماذج التي تظهر أثر دلالة الواو من حروف العطف ، ودلالة (من) و (الباء) من حروف الجر في توجيه الحكم الفقهي من خلال كتاب "أحكام القرآن" للإمام أبي بكر الجصاص .

النموذج الأول:

قال تعالى: "هُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيْلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ".آل عمران –٧

اختلف أهل العلم في حكم العلم بالمتشابه على قولين:

القول الأول: ذهب أصحابه إلى أن المتشابه بما اختص الله سبحانه العلم به فلا يعلم تأويله أحد غيره، ولا يجوز لأحد الخوض في تفسيره أو تأويله وهو قول ابن مسعود وأبي بن كعب وعائشة ومالك بن أنس وقول جماعة من أهل اللغة منهم: الكسائي ، والأخفش ، وأبي عبيد وغيرهم . [١] .

---

(١)انظر : :"معاني القرأن" للفراء ١٩١/١ ، و"مفاتيح الغيب" الرازي ٦٠٢/٢
و"البحر المحيط" لأبي حيان ٢٨٤/٣ ، و "إرشاد الفحول" للشوكاني ص ٢٣
و"الكشاف" للزمخشري ٥٢٩/١، و"تفسير القرطبي" ٢٥/٥
و"معاني القرآن" ٣٥١/١ ، "

القول الثاني: أن الراسخين في العلم داخلون في العلم بالمتشابه وتأويله ، وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن والربيع بن أنس[١] . وقد اعتمد الفريقان فى القولين السابقين على دلالة (الواو) في قوله تعالى:" والراسخون في العلم" فأصحاب القول الأول يرون أن (الواو) للاستئناف ، فيكون الوقف في القراءة على قوله : (إلا الله) ، أما الفريق الثاني فيذهب إلى أن (الواو) للعطف أو الجمع ، فيكون الوقوف عند قوله تعالى: (والراسخون في العلم).

أدلة القائلين بأن الواو للاستئناف:

(١) يرى فريق من العلماء أن الواو في نسق الآية للاستئناف في قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وما بعده استئناف كلام آخر، وقد أشار المرادي إلى ذلك بقوله:"الواو" التي يكون ما بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ولا مشاركة له في الإعراب" [٢]

فلما كانت الواو للاستئناف والجملة التي بعدها غير مرتبطة بما قبلها كان معنى الآية: أنا لمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، ثم ابتدأ بكلام جديد وقال : "والراسخون في العلم يقولون آمنا به" ، فيكون "الراسخون " مرتفعا بـ "يقولون" [٣]

---

(١)انظر : "زاد المسير" لابن الجوزي ٣٥٤/١ ، "تفسير القرطبي " ٢٥/٥
و"الرسالة التدمرية" لابن تيمية ص ٥٨
و"المكتفي في الوقف والابتداء" لأبي عمرو الداني ص ١٩٦ – ١٩٧.

(٢)"الجنى الداني في حروف المعاني" ص ١٩١. تحقيق طه محسن ، جامعة الموصل ١٣٩٦هـ

(٣)انظر :" معاني القرآن" للفراء ١٩١/١ ، والبحر المحيط ٣٨٤/٢

(٢) كما استدلوا بقراءة ابن عباس [١] : " ويقول الراسخون في العلم آمنا به" وهذا يؤكد كون الواو للاستئناف

أدلة القائلين بان الواو للعطف :

احتجوا بأن (الواو) في "والراسخون" للعطف وهو لمطلق الجمع ، فالراسخون معطوف على اسم الجلالة ، كأنه قال : وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يعلمونه ، ويرون أن هذا الأسلوب شائع وسائغ في اللغة ، وتكون الجملة فيه حالا ، وقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم فى قوله تعالى في قسم الفيء "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون" إلى قوله :" والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" [٢] وهم لا محالة داخلون في استحقاق الفيء كالأولين والواو فيه للجمع ، ثم قال تعالى : " يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا " معناه : قائلين : ربنا اغفر لنا ولإخواننا ، كذلك قوله تعالى :" والراسخون في العلم" يعلمون تأويل ما نصب لهم الدلالة عليه من المتشابه قائلين :ربنا آمنا به ، فصاروا معطوفين على ما قبله داخلين في حيزه [٣] .

(٢) أما قراءة ابن عباس فليس فيها حجة قاطعة لنفي العلم بالمتشابه عند الراسخين ، لأنه يجوز أن يكون تقدير الآية على هذه القراءة : " وما يعلم

---

(١)وهي قراءة شاذة ، انظر : " الوقف والابتداء" لأبي عمرو الداني ص ١٤٠ . و "الدرر المنثور في التفسير بالمأثور" لجلال الدين السيوطي "٩١١هـ" ٧/٢ . تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات القرآنية الإسلامية ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

(٢)الحشر ٨-٩

(٣)"أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية " د/ عبد القادر السعدي ص ١٤٧، دار عمار ، الأولى ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م

تأويله إلا الله والراسخون في العلم ويقول الراسخون في العلم آمنا به" فتكون إعادة لفظ الراسخين بالإظهار لا بالإضمار بيانا للمعنى المراد ، لأن العرب تجيز استبدال الضمير بالظاهر توضيحا للمعنى إذا لم يكن في جملة واحدة ، فان كان في جملة واحدة لم يجز إلا في ضرورة الشعر ، ووضع الظاهر موضع المضمر في هذه الآية ما لم يكن في جملة واحدة بل في جملتين متعاطفتين [١] بهذين الدليلين احتجوا بأن الواو في "والراسخون" للعطف وهي لمطلق الجمع ، وحينئذ يكون الوقوف عليها ، أي : وما يعلم تأويل المتشابه إلا الله والراسخون في العلم ، وهو ما مال إليه النحاس بقوله :" وهذا أحسن ما قيل فيه"[٢]

أما أبو بكر الجصاص فبعد أن ذكر اختلاف العلماء حول دلالة الواو في الآية وهل هي للعطف أم للاستقبال؟ أخذ في سرد قوله حول دلالة هذا الحرف في سياق الآية على النحو التالي:

يقول : " والذي يقتضيه اللفظ على ما فيه من الاحتمال أن يكون تقديره : وما يعلم تأويله ألا الله ، يعني تأويل جميع المتشابه على ما بينا والراسخون في العلم يعلمون بعضه قائلين آمنا به كل من عند ربنا ، يعني ما نصب لهم من الدلالة عليه في بنائه على المحكم ورده إليه وما لم يجعل لهم سبيل إلى علمه من نحو ما وصفنا ، فإذا علموا تأويل بعضه ولم يعلموا البعض قالوا : آمنا بالجميع كل من عند ربنا ، وما أخفى عنا علم ما غاب عنا علمه إلا لعلمه بما فيه من المصلحة لنا ، وما هو خير لنا في ديننا ودنيانا وما علمنا وما

---

(١)السابق نفسه ص١٤٨

(٢)إعراب القرآن ١/ ٣١٠

يعلمنا ألا لمصلحتنا ونفعنا فيعترفون بصحة الجميع والتصديق بما علموا منه وما لم يعلموه " [١]

٢- كما يستدل الإمام الجصاص على جواز مجيء (يقولون) حالا من (الراسخين) قبلها دون لفظ الجلالة فيقول : "معناه ، والراسخون في العلم يعلمون تأويل ما نصب لهم الدلالة عليه من المتشابه قائلين : ربنا آمنا به فصاروا معطوفين على ما قبله داخلين في حيزه ، وقد وجد مثله في الشعر ، قال يزيد بن مفرغ الحميري[٢]:

فالريح تبكي شجوه والبرق يلمع في الغمامة

والمعنى: والبرق يبكى شجوه لامعا في الغمامة ، وإذا كان ذلك سائغا فى اللغة وجب حمله على موافقة دلالة الآية في وجوب رد المتشابه إلى المحكم ، فيعلم الراسخون في العلم تأويله بالمحكم على معناه" [٣] .

(٣) كما يستدل الإمام الجصاص من جهة أخرى بان (الواو) لما كانت حقيقتها ومقتضاها الجمع والعطف ولا يجوز حملها على الابتداء إلا بدلالة ولا دلالة توجب صرفها عن الحقيقة فوجب استعمالها على الجمع [٤]

من خلال النظر إلى الرأيين السابقين في دلالة (الواو) وهل هي للاستئناف أم للعطف؟ يتبين للباحث صحة الأخذ بكلام القولين كل حسب الحاجة إليه ، فالرأي الأول هو الأسلم ، والثاني مراد عند الحاجة وهو الأقوى من الناحية اللغوية لما يأتي :

---

(١)السابق نفسه / ٢/ ٢٨٣-٢٨٤

(٢)انظر السابق ٢٨٣/٢

(٣)السابق ٢٨٣/٢

(٤) أحكام القرآن ٢٨٣/٢

أولا : الأصل الحقيقي للواو إن تكون عاطفة مفيدة معنى الجمع والاشتراك واستعمالها بغير هذا المعنى يكون من باب المجاز كما نقل ذلك السيوطي عن ابن كيسان وابن مالك [١] ، وحمل اللفظ على الحقيقة أولىإن لم يصرفه صارف عنها ، وعلى هذا فجعل الواو في (والراسخون) للجمع أولى لعدم القرينة التي تصرفها الى معنى الاستئناف كما أشار الجصاص في كلامه .

ثانيا : تسميتهم راسخين في العلم يقتضي أنهم يعلمون أكثر من الحكم الذي يستوى في علمه جميع من يفهم كلام العرب ، وفي إي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع ؟ لكن المتشابه يتنوع ، فمنه ما لا يعلم البته كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بغيبه ، وهذا لا يتعاطى علمه أحد لا من الراسخين ولا من غيرهم إما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة ومناح من الكلام ، في تأول ويعلم تأويله ، ويزال ما فيه مما عسى إن يتعلق به من تأويل غير مستقيم ، كقوله في عيسى :"وروح منه" الى غير ذلك ، فلا يسمى أحد راسخا ألا بأن يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له"

(١) انظر "تفسير القرطبي" ٥/٢٨-٢٩ بتصرف

النموذج الثاني:

قال تعالي:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) (١). المائدة -٦

دلت هذه الآية علي وجوب غسل الأعضاء المذكورة فيها لمن أراد التطهير للصلاة. وقد حصل خلاف بين العلماء في ترتيب غسل هذه الأعضاء فذهب فريق منهم إلي أن الترتيب واجب وهو رأي الشافعية وأحمد بن حنبل(٢) وذهب الفريق الآخر إلي أن الترتيب غير واجب وهو رأي أبي حنيفة والثوري والليث والأوزاعي وداود الظاهري، وبه قال أصحاب مالك المتأخرون(٣).

الدليل النحوي:

احتج الفريق الأول بأدلة منها:

١- أن الفاء في قوله: "فاغسلوا" حرف عطف دال علي الترتيب وهو مذهب البصريين(٤) فإذا لزم الترتيب بين القيام للصلاة وغسل الوجه فإنه يلزم الترتيب في الأعضاء المذكورة بعده، لأنها معطوفة عليه(٥).

٢- ربطت (الفاء) جواب الشرط "فاغسلوا وجوهكم" بفعل الشرط "إذا قمتم" والجواب يجب أن يكون مرتباً بكل ما يحويه علي فعل الشرط(١).

---

(١) المائدة (٦).

(٢) انظر: "بداية المجتهد" ١٦/١، و"تفسير القرطبي" ٣٥٥/٧.
و"المهذب" للشيرازي ٨١٦/١، و"المغنى شرح الخرقي" ٩١/١.

(٣) انظر : "تفسير القرطبي" ٣٥٥/٧، و"بداية المجتهد" ١٦/١.
و"التمهيد" لابن عبد البر ٨١/٢-٨٢ ، و"المحلى" لابن حزم ٧٧/١.

(٤) انظر : "الجني الداني" ص١٢١.

(٥) انظر : "أحكام القرآن" للجصاص ٣٦٨/٣.

٣- ما ذهب إليه بعض النحاة من أن (الواو) قد تفيد الترتيب، وقد نقل ذلك عن قطرب وثعلب وآخرين[٢] فقط عطفت الأعضاء في بقية الآية بالواو، فحمل الترتيب علي معناها في العربية، ولذلك يقول الروماني:" وهذا يؤيد مذهب الشافعي في أن الواو يجوز أن ترتب"[٣].

أما ما احتج به الفريق الثاني فهو علي الوجه التالي:

١- ذهب جمهور النحاة إلي أن الواو لا تفيد الترتيب بل هي لمطلق الجمع، لأنه إذا قيل: (قدم زيد وبكر) فقد دلت علي جمعهما في القدوم ولم تدل علي ترتيب بين قدومهما. قال سيبويه: "وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء بعد شيء"[٤].

وقال ابن جني: "فمعنى الواو الاجتماع ولا دلالة فيها علي المبدوء به"[٥] وقد زاد المرادي وأبو حيان في إيضاح هذا المعنى في قولنا : (قدم زيد وبكر) بأنه يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون قدما معاً.

والثاني: أن يكون المتقدم قدم أولاً.

الثالث: أن يكون المتأخر قدم أولاً[٦].

---

(١) انظر: "تفسير القرطبي" ٣٥٥/٧.

(٢) انظر : "معاني الحروف" للرماني ص٦٠، و"الجني الداني" ص١٨٨. و"ارتشاف الضرب" ص٥٣٩.

(٣) انظر: "معاني الحروف" ص٦٠.

(٤) "الكتاب" لسيبويه ١١٠/٣ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٧م.

(٥) "اللمع فى العربية" لابن جني ص١٧٨، تحقيق د. سيف محمد شرف، الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٦) انظر "الجني الداني" ص ١٨٨، و"ارتشاف الضرب" ص٥٣٨.

و"شرح جمل الزجاجي" لابن عصفور ٢٢٦ تحقيق د. صاحب أبو جناح، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

إذن فيكون المقصود من الآية غسل جميع هذه الأعضاء من غير التفات إلي تقديم بعضها علي بعض أو تأخيره.

٢- مما يقوى أن (الواو) ليست للترتيب في أصلها قوله تعالي: (فكيف كان عذابي ونذر)[١] والإنذار قبل العذاب، وقوله تعالي (واسجدي واركعي مع الراكعين)[٢] والركوع قبل السجود[٣].

ومن ذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "لا تقولوا ما شاء الله، وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان"[٤].

فلولا أنها لا تفيد الترتيب لما نهي عن القول: ما شاء الله وشاء فلان، لأنها في هذا المثل تحتمل تقديم مشيئة العبد علي مشيئة الله.

وذلك منهي عنه، ولو كانت فيه للترتيب لما نهى عن ذلك حيث لا يحصل فيه هذا الاحتمال[٥].

٣- لما كانت (الواو) تدخل في باب المفاعلة دل ذلك على أنها تفيد ترتيباً، فإذا قلنا: تصالح زيد وخالد، فإنها تدل علي جمعهما في المصالحة دون الدلالة علي الترتيب بينهما[٦].

٤- إذا سلمنا بأن (الفاء) في قوله: "فاغسلوا" تدل علي الترتيب بين إرادة الصلاة والغسل فإننا لا نسلم به في دلالة (الواو) في الأعضاء الاخرى علي أنها للترتيب، وإنما علي جهة الجمع حتى لا نعطل (الواو) عن

---

(١) القمر (١٦).

(٢) آل عمران (٤٣).

(٣) انظر: "شرح المفصل" ١٢/١.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في "سننه" كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي، برقم (٤٩٨٠).

(٥) انظر : معاني الحروف للرماني ص٥٩.

(٦) تفسير القرطبي ٣٥٥/٧.

معناها الأصلي وهو مطلق الجمع، فيكون المراد غسل الأعضاء مرتبة أو غير مرتبة[١].

والذي يراه الإمام الجصاص بطلان قول القائلين بإيجاب الترتيب في الوضوء ، وأنه يجوز تقديم بعضها علي بعض على ما يرى المتوضئ ، واستدل الجصاص علي هذا المذهب بأدلة تقوم علي دلالة العطف بالواو ومدى دلالتها علي عدم وجوب الترتيب في الآية وهي:

أولا: قوله تعالي: (قمتم إلى الصلوة فاغسلوا) يدل من ثلاثة أوجه علي سقوط فرض الترتيب.

الوجه الأول: مقتضى ظاهرها جواز الصلاة بحصول الغسل من غير شرط الترتيب، إذ كانت الواو هنا عند أهل اللغة لا توجب الترتيب كما نقل عن المبرد وثعلب، وقالوا: إن قول القائل: رأيت زيداً وعمراً بمنزلة قوله: رأيت الزيدين ورأيتهما، وكذلك هو في عادة أهل اللفظ. ألا ترى أن من سمع قائلاً يقول: رأيت زيدا وعمرا لم يعتقد في خبره أنه رأى زيدا قبل عمرو، بل يجوز أن يكون رآهما معاً وجائز أن يكون رأى عمرا قبل زيد، فثبت بذلك أن الواو لا توجب الترتيب[٢].

الوجه الثاني: من دلالة الآية في قوله تعالي: (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلي الكعبين) ولا خلاف بين فقهاء الأمصار أن الرجل مغسول معطوفة في المعنى علي الأيدي وتقديرها: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم، فثبت بذلك أن ترتيب اللفظ على هذا النظام غير مراد به ترتيب المعنى.

---

(١) انظر: روح المعاني ٢/٢٦٤.

(٢) "أحكام القرآن" ٣/٣٦٨-٣٦٩.

الوجه الثالث: قوله تعالي في نهاية الآية: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وهذا يدل علي سقوط إيجاب الترتيب، لأن في إيجابه إثباتا للحرج ونفياً للتوسعة. كما أن في قوله : "ليطهركم" فأخبر أن المراد حصول الطهارة بغسل الأعضاء وهو متحقق بالترتيب وبغيره[١].

ثانيا: وفي دليله الثاني يقول الجصاص: "إذا سلمنا بأن الفاء توجب ترتيب غسل أعضاء الوضوء عند أرادة الصلاة أو القيام إلي الصلاة وجواز اعتبار هذا اللفظ فيما يقتضيه من الترتيب، فإن الواو لا توجب ذلك ويصير تقدير الآية: إذا قمتم إلي الصلاة فاغسلوا هذه الأعضاء، فيصير الجميع مرتبا علي القيام وليس يختص به الوجه دون سائرها إذا كانت الواو للجمع فيصير كأنه عطف الأعضاء كلها مجموعة بالفاء علي حال القيام فلا دلالة فيه علي الترتيب، بل تقتضي سقوط الترتيب"[٢].

فمجمل مذهب أبي بكر الجصاص عدم وجوب الترتيب بين أعضاء الوضوء؛ لأنه لا دلالة في الآية علي ذلك وإنما مدلولها يشير إلي مطلق الجمع. وأزيد علي ما استدل به فأقول: لكي تكون الواو للترتيب فلابد من قرينة تصرفها عن معناها الحقيقي إلي معناها المجازي، ولا قرينة في الآية. وفي ذلك يقول ابن كيسان: "هي للمعية – أي الجمع – حقيقة، واستعمالها في غيرها مجاز[٣]،

---

(١) السابق ٣/٣٦٩-٣٧٠.

(٢) أحكام القرآن ٣/٣٦٨-٣٦٩ – بتصرف

(٣) "التسهيل" لابن مالك ١٧٤. تحقيق : محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م. و"همع الهوامع" ١/١٢٩.

ويقول ابن مالك في نفس المعنى: "وتنفرد الواو بكون متبعها في الحكم محتملاً للمعية برجحان"[١].

وقد أشار المرادي إلي القرينة الصارفة عن معنى الجمع في الواو بقوله: "إن الواو لها معنيان: معنى اجتماع فلا تبالي بأيها بدأت نحو: اختصم زيد وعمرو، ورأيت زيداً وعمراً إذا اتحد زمان رؤيتهما، ومعنى افتراق بأن يختلف الزمن فالمتقدم في الزمان يتقدم في اللفظ ولا يجوز أن يتقدم المتأخر[٢].

فقد جعل الزمن قرينة لحمل الواو علي الترتيب، والفراء يرى أنها لا تفيد الترتيب إلا في موضع لا يجوز فيه الجمع[٣] والآية الكريمة يجوز فيها الجمع، لأن أعضاء الوضوء تجمع كلها في الغسل حتى تتم الطهارة ، ولا يجوز ترك واحد منها، فالواو في الآية للجمع بلا ترتيب.

(١) "همع الهوامع" ١/١٢٩.

(٢) "الجني الداني" ١٨٨-١٨٩.

(٣) السابق ١٨٨-١٨٩.

النموذج الثالث:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ) . المائدة –٩٥

اختلف الفقهاء في المراد بالمثل في هذه علي قولين:

القول الأول: قول ابن عباس: إن المراد بالمثل مثله في الصورة والهيئة ، ففي الأروى بقرة، وفي الظبية شاة، وفي النعامة بعير، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة ومذهب مالك والشافعي ومحمد بن الحسن من الأحناف ، وذلك فيما له نظير من النعم، أما ما لا نظير له كالعصفور ونحوه ففيه القيمة"[١].

القول الثاني: وهو قول عطاء ومجاهد وإبراهيم في المثل: إنه القيمة وهو مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف، ويشترى بالقيمة هديا إن شاء وإن شاء اشترى طعاماً وأعطى كل مسكين نصف صاغ، وهو اختيار الإمام أبي بكر الجصاص[٢].

الدلي النحوي:

احتج أصحاب القول الأول بأن المراد بالمثل المثل من حيث الخلقة وهو المتعارف عليه بين الناس، ومن هنا اعتبرت الآية نصاً في إيجاب المثل من النعم من حيث الخلقة والهيئة مستدلين علي ذلك بأن (من) في نص الآية

---

(١) انظر: "بدائع الصنائع" ١٩٩/٢، و"مغنى المحتاج" للخطيب الشربيني ٥٢٦/١. و"أحكام القرآن" للكيا الهراسي ١٠٩/٣، و"تفسير القرطبي" ١٩٤/٨.

(٢) انظر : "الاستذكار" لابن عبد البر ١٧/١٢. و"أحكام القرآن" لابن العربي ٦٦٥/٢. و"تفسير القرطبي" ١٩٤/٨، و"البحر الحيط" لابي حيان ٢٣/٤.

جاءت للبيان، وهذا المعنى قال به جمهور النحاة[١] وقد جعلوا من شروط بيانها للجنس أن تكون بعد اسم جنس[٢] وهذا الشرط متحقق في هذه الآية، لأن اسم الجنس فيها هو لفظ (مثل) وإلى هذا ذهب الزمخشري معللاً ذلك بأن اسم الجنس جاء فيها منكراً فيكون قوله "من النعم، بياناً وتفسيراً لذلك المثل[٣]، و(من) التي لبيان الجنس إن وقعت بعد اسم جنس منكر كانت مع مجرورها في محل شبه جملة صفة لذلك الاسم النكرة كما في هذه الآية، لأن المعنى: فجزاء مثل ما قتل هو نعم ، ومثله قوله تعالي: (يحلون فيها من أساور من ذهب) [٤] أي أساور هي ذهب[٥] وإن وقعت بعد اسم جنس معرف بأل الجنسية كانت بمنزلة اسم الموصول كقوله تعالي: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) [٦] أي الذي هو الأوثان[٧] ، وقد فسرها الرماني بأنها تقوم مقام الصفة في الإيضاح[٨] لأنها بعد نكرة.

وعلي هذا يكون المراد من الآية: إن الفداء الذي هو النعم يكون مشابهاً للصيد في الصورة والهيئة، وقد نسب أبو حيان هذا الرأي لجمهور العلماء[٩].

أما القول الثاني وهو قول الأحناف بأن (من) ليست لبيان الجنس وإنما هي للقيمة ، فإن أدلتهم يعرضها الإمام الجصاص في أحكامه علي النحو التالي:

---

(١) انظر : "شرح التصريح علي التوضيح" ٨/٢.

(٢) انظر: "همع الهوامع" ٣٤/٢.

(٣) "الكشاف" ٤٣٤/١.

(٤) الكهف (٣١).

(٥) "شرح التصريح" ٨/٢.

(٦) الحج (٣٠).

(٧) انظر : "تفسير النسفي" ١٠١/٣، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، مصر، بدون تاريخ.

(٨) انظر : "معاني الحروف" للرماني ١٦٦.

(٩) انظر: "البحر المحيط" ٣٢/٣.

الدليل الأول: أنا المثل ورد في اللغة والشرع بمعنى القيمة وبمعنى النظير من جنسه، وبمعنى النظير من النعم، وأصول الشرع تقتضي إيجاب القيمة أو النظير من جنسه، واتفقوا علي أن النظير من جنسه غير مراد ، فوجب أن يكون المثل المراد بالآية هو القيمة[١].

الدليل الثاني: القرائن في الآية. حيث يرى الجصاص أن (من) ليست للبيان في هذه الآية، لأنه قد وردت بعض القرائن تدل علي ذلك في نسق الآية وهي: القرينة الأولى: قوله تعالي (من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفرة طعام مساكين أو عدل ذلك صيام) فلما وصله بما ذكر وأدخل عليه حرف التخيير (أو) ثبت بذلك أن ذكر النعم ليس علي وجه التفسير للمثل. ألا ترى أنه قد ذكر الطعام والصيام جميعاً وليسا مثلا من حيث الهيئة والخلقة، وأدخل (أو) بينهما وبين النعم ولا فرق إذا كان ذلك ترتيب الآية بين أن يقول: فجزاء مثل ما قتل طعاماً أو صياما أو من النعم هديا، لأن تقديم ذكر النعم في التلاوة لا يوجب تقديمه في المعنى، بل الجميع مذكور بلفظ واحد معاً. ألا ترى أن قوله (فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة) [٢]لم يقتض كون الطعام مقدماً علي الكسوة ولا الكسوة مقدمة علي العتق في المعنى، بل الكل كأنه مذكور بلفظ واحد معاً، كذلك قوله تعالي: (فجزاء مثل ما قتل) كلام تام بنفسه وقوله : "من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) يمكن استعماله علي غير وجه التفسير للمثل ، فلم يجز أن

(١) اتفق فقهاء الأمصار فيمن استهلك عبدا أن عليه قيمته، وحكم النبي –صلى علية وسلم– على معتق عبد بينه وبين غيره بنصف قيمته إذا كان موسرا ، وروي عن جماعة من الصحابة أنهم أوجبوا في الحمامة شاة ولا تشابه بين الحمامة والشاة في المنظر فعلمنا أنهم أوجبوها على وجه القيمة.

(٢) المائدة (٨٩).

يجعل المثل مضمنا بالنعم مع استغناء الكلام عنه، لأن كل كلام فله حكم غير جائز تضمينه بغيره إلا بدلالة تقوم عليه سواه.

النموذج الرابع:

قال تعالي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) المائدة–٦

من أركان الوضوء التي تحدثت عنها الآية مسح الرأس والواجب فيه مسح مرة واحدة وهو ما اتفق عليه الفقهاء، ولكنهم اختلفوا في المقدار الواجب مسحه منه. فمشهور مذهب مالك[١] التعميم – أي مسح جميع الرأس – وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل[٢] في الراجح عنه، وهو ما مال إليه الإمام ابن تيمية[٣] وذهب آخرون إلي أن الواجب مسح ربع الرأس وهو قول أبي حنيفة[٤] بناء على أن الباء للتبعيض والربع بعض الرأس، وذهب فريق آخر إلي أن الواجب مسح ما يصح إطلاق المسح عليه ولو بضع شعرات وهو رأي الإمام الشافعي[٥].

---

(١) انظر : "المدونة الكبرى" ١٢٤/١ و "مواهب الجليل شرح مختصر خليل" ٢٩٢/١.

(٢) انظر : "المغنى" لابن قدامة ٩٣/١.

(٣) انظر : "مجموع الفتاوى" ١٢٤/٢١.

(٤) انظر : "بدائع الصناع" ٤/١ و"بداية المجتهد" ١١/١و "البناية شرح الهداية" ١١١/١، ١١٢.

(٥) انظر: "الأم" ٢٦/١ و"معنى المحتاج" ٥٣/١.

وخلاف الفقهاء السابق يعود إلي خلاف مشهور بين النحاة ومعربي القرآن حول معاني الباء وهي كثيرة[١] وورد في قوله تعالي: (وامسحوا برءوسكم) أربعة منها، وهي:

الأول: الزيادة[٢] والمراد: امسحوا رؤوسكم، وقد أجاز النحاة مجيئها زائدة للتأكيد، وذكروا من مواضع زيادتها في المفعول كالآية التي معنا، ومنه قوله تعالي: (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) [٣] أي : طفق يمسح السوق وقوله تعالي: (وهزي إليك بجذع النخلة) [٤] ونقل أبو حيان عن سيبويه والفراء أن العرب تقول: حز رأسه وبرأسه، ومسحت رأسه وبرأسه، ويريدون معنى واحداً[٥]. فلما جاز كون الباء الداخلة على الرؤوس زائدة ، كان الأمر بالمسح متسلطاً علي جميع الرأس يقول الباقولي: "فظاهر النص يقتضي استيعاب الرأس بالمسح ولكن السنة وردت بمسح ربعه، لأن العرب تعبر عن كل شيء، بربعه"[٦].

(١) انظر هذه المعاني في: "شرح الكافية" ٨٠٦/٢، وارتشاف الضرب ٦٩/٤. و"شرح الألفية" لابن الناظم ص٦٣م، و"مغنى اللبيب" ١٤٢/١. و"الجني الداني" ص١٠١.

(٢) انظر هذا المعنى في "المحرر الوجيز" ١٦٣/٢، و"البحر المحيط" ٤٥١/٣، و"الدر المصون" ٢٠٩/٤، "وفتح القدير" ١٧/٢ و"الإتقان" للسيوطي ٤٦٤/١.

(٣) ص (٣٣).

(٤) مريم (٢٥).

(٥) "البحر المحيط" ٤٥١/٣.

(٦) "كشف المشكلات" للباقولي ٣٤٢/١.

الثاني: التبعيض[١]وهذا قول الشافعي، قال : "وكان معقولاً في الآية أن من مسح من رأسه شيئاً فقد مسح برأسه ولم تحتمل الآية إلا هذا وهو أظهر معانيها.. فمعنى الآية أن من مسح شيئاً من رأسه أجزأه"[٢].

وقد رد بعض الفقهاء والنحاة القول بأن الباء تفيد التبعيض ومن هؤلاء ابن العربي المالكي، قال: "ظن بعض الشافعية وحشوية النحوية أن الباء للتبعيض، ولم يبق ذو لسان رطب إلا وقد أفاض في ذلك حتى صار الكلام فيها إجلالاً بالمتكلم ، ولا يجوز ذلك في العربية[٣]، وقال أبو حيان: "وكونها للتبعيض ينكره أكثر النحاة، حتى قال بعضهم: وقال من لا خبرة له بالعربية: الباء في مثل هذا للتبعيض ، وليس بشيء يعرفه أهل العلم"[٤].

وقال ابن جني "فأما ما يحكيه أصحاب الشافعي – رضي الله عنه – من أن الباء للتبعيض فشيء لا يعرفه أصحابنا ولا ورد به ولا ثبت"[٥].

إلا أنه رغم ما سبق من رد النحاة كون الباء للتبعيض فقد أثبت معنى التبعيض للباء جملة من النحاة منهم: الأصمعي[٦] وابن قتيبة[٧] والزجاجي[٨]

---

(١) انظر هذا المعنى في: "الدر المصون" ٢٠٩/٤ ، و"تفسير أبي السعود" ١٠/٣ و"البيضاوي" ١٢٩٩/٢ و"فتح القدير" ١٧/٢، و"الإتقان في علوم القرآن" ٤٦٤/١.

(٢) "الأم" ٢٦/١، و"أحكام القرآن" للشافعي ٤٢/١.

(٣) "أحكام القرآن" ٦٤/٢.

(٤) "البحر المحيط" لأبي حيان ٤٥١/٣ وانظر معه "التبيان في إعراب القرآن" ٤٢٢/١.

(٥) "سر صناعة الإعراب" ١٢٣/١ ، لابن جني، تحقيق: دكتور حسن هنداوي دار القلم، دمشق ، الأولى، ١٩٨٥م.

(٦) انظر رأيه في : "شرح الكافية" ٨٠٦/٢، و"ارتشاف الضرب" ٦٩٦/٤، و"التصريح" ٤٣/٣.

(٧) انظر : "تأويل مشكل القرآن " ص٣٠١.

(٨) انظر: "حروف المعاني" ص٤٧.

وأبو علي الفارسي[١] وابن مالك [٢] وابن الناظم[٣] وابن هشام[٤] ونسب ذلك إلى الكوفيين[٥].

الثالث: الإلصاق[٦] وبه قال الزمخشري قال: "المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه"[٧].

وهذا المعنى هو الذي ذكره سيبويه، ولم يذكر غيره وهو أصل معاني الباء، قال: "وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: "خرجت بزيد" و(دخلت به) و"ضربته بالسوط، ألزقت ضربك إياه بالسوط " فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله"[٨].

فالباء عنده في الأصل للإلصاق، وكل معنى من المعاني الأخرى مرتبطة بهذا المعنى، فهي للإلصاق حقيقة ومجازاً، ولما كانت (الباء) في الآية تحتمل هذا المعنى كان الواجب مسح ربع الرأس كما ذهب أبو حنيفة وأصحابه، لأن المسح آلته اليد، فإذا ألصقت برأس أخذت ربه.

الرابعة: الاستعانة[٩] ويذهب أصحاب هذا الرأي إلي أن في الكلام حذفاً وقلباً فالأصل: امسحوا رؤوسكم بالماء.

---

(١) انظر : "شرح الكافية" ٨٠٦/٢، و"الجني الداني" ص١٠٦.

(٢) انظر : "شرح الكافية" ٨٠٦/٢.

(٣) انظر: "شرح الألفية" لابن الناظم ص٢٦٣.

(٤) انظر : "مغنى اللبيب" ١٤٢/١، و"أوضح المسالك" ١٣٦/٢.

(٥) انظر : "الجني الداني" ص١٠٦.

(٦) انظر هذا الرأي في : "الكشاف" ٦٤٤/١، و"المحرر الوجيز" ١٦٣/٢. و"التبيان في إعراب القرآن" ٤٢٢/١، و"البحر المحيط" ٤٥١/٣. و"الدر المصون" ٥٩/٤، و"فتح القدير" ١/٢.

(٧) "الكشاف" ٦٤٤/١.

(٨) "الكتاب" ٢١٧/٤.

(٩) انظر هذا الرأي في "البرهان في علوم القرآن " ٧/٤هـ و"الإتقان" ٤٦٤/١.

أما الإمام الجصاص فإنه يرى أنه الواجب في مسح الرأس هو بعضه متبعاً في ذلك إمام المذهب أبا حنيفة، وهذا الحكم مستند فيه إلى دلالة الباء علي التبعيض أو الإلصاق فكلا المعنيين دالان علي البعضية يقول أبو بكر الجصاص: "وقوله تعالي: (وامسحوا برؤوسكم) يقتضي مسح بعضه ، وذلك لأنه معلوم أن هذه الأدوات موضوعة لإفادة المعاني فمتى أمكننا استعمالها على فوائد مضمنة بها وجب استعمالها علي ذلك ، وإن كان قد يجوز دخولها في بعض المواضع صلة للكلام وتكون ملغاة نحو (من) هي مستعملة علي معان منها التبعيض ثم قد تدخل في الكلام فتكون ملغاة وجودها وعدمها سواء، ومتى أمكننا استعمالها علي وجه الفائدة وما هي موضوعة له لم يجز لنا إلغاؤها فقلنا من أجل ذلك أن (الباء) للتبعيض"[١].

ثم يدلل الجصاص علي هذا الرأي بقوله: "أنك إذا قلت : مسحت يدي بالحائط"، كان معقولاً مسحها ببعضه دون جميعه، ولو قلت: "مسحت الحائط " كان المعقول مسحه جميعه دون بعضه فقد وضح الفرق بين إدخال الباء وبين إسقاطها في العرف واللغة فوجب إذا كان ذلك كذلك أن نحمل ذلك علي البعض حتى نكون قد وفينا الحرف حظه من الفائدة وأن لا نسقطه فتكون ملغاة يستوي دخولها وعدمها"[٢].

ويختم الجصاص كلامه بما يوضح أنه لا فرق بين أن تكون (الباء) للتبعيض أو الإلصاق في دلالتها علي التبعيض بقوله : "والباء وإن كانت تدخل

(١) "أحكام القرآن" ٣٤٤/٣.

(٢) السابق ٣٤٤/٣.

للإلصاق لا ينافي كونها في ذلك للتبعيض، فنستعمل الأمرين فيكون مستعملاً للإلصاق في البعض المفروض طهارته...

ويدل على أنه قد أريد بها التبعيض في الآية اتفاق الجميع على جواز ترك القليل من الرأس في المسح والاقتصار على البعض، وهذا هو استعمال اللفظ على التبعيض"(١).

خاتمة

أبرزت النماذج الدور الفعال الذي تقوم به حروف المعاني في ربط الكلام بعضه ببعض، وتحديد المراد منه، والإبانة عن المعاني، فقد يتحمل الحرف أكثر من معنى مما قد يؤدي إلي اختلاف الحكم الفقهي المستنبط من الآية بناء علي تلك المعاني، كما ظهر ذلك من خلال دلالة (الواو) في النموذج الأول، هل هي للاستئناف أم للعطف؟ مما أدى إلي اختلاف أهل العلم في حكم العلم بالمتشابه هل هو مما اختص الله سبحانه العلم به أم أن الراسخين في العلم داخلون في العلم بالمتشابه؟

وفي دلالة (من) اختلف الفقهاء في المراد بالمثل في قوله تعالي: "فجزاء مثل ما قتل من النعم" هل هو المثل في الصورة والهيئة أم هو المثل في القيمة؟ وذلك بناء علي الخلاف النحوى لدلالة (من) هل هي لبيان الجنس ، فيكون المراد جنس المقتول من النعم . أم المقصود من الجنس هنا قيمة ما يساويه المقتول من النعم. وعلى هذا جاءت نماذج البحث.

والله تعالي المستعان

(١) السابق ٣/٣٤٥ بتصرف يسير.

أهم مصادر البحث ومراجعه

١) البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تحقيق/الشيخان: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الأولى: ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م.

٢) الإتقان في علوم القرآن: للإمام السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط مكتبة دار التراث، بدون تاريخ.

٣) أحكام القرآن: لابن العربي الملكي (٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٤) أحكام القرآن: لعماد الدين محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي ٥٠٤هـ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م.

٥) ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥) تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٦) الاستذكار: لأبي محمد يوسف بن عبد البر (٤٦٣هـ). تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٧) إعراب القرآن : لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ) تحقيق: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد ، ١٣٩٧هـ.

٨) الأم: للإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء المنصورة ، الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٩) أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك: لابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت ، الخامسة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٠)بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لأبي بكر الكسائي، مطبعة شركة المطبوعات العلمية، الأولى، مصر ، ١٣٢٧هـ.

١١)البرهان في علوم القرآن: لمحمد بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

١٢) البناية شرح الهداية: لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (٨٥٥هـ): دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٣) التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري. تحقيق: علي محمد البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر بدون تاريخ.
١٤) التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٤١هـ) ضبط وتخريج، محمد سالم هاشم، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الأولى ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م.
١٥) التسهيل لعلوم التنزيل: للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٤١هـ). ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٥-١٩٩٥م.
١٦) التصريح بمضمون التوضيح: للشيخ خالد الأزهري (٩٠٥هـ) تحقيق: دكتور عبد الفتاح بحيري ، الأولى : ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٧) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.
١٨) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ) ، تحقيق: الدكتور احمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، بدون تاريخ.
١٩) زاد المسير في علم التفسير: للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (٥٩٧هـ) ط المكتب الإسلامي بدون تاريخ.
٢٠) شرح الأشموني علي ألفية ابن مالك: مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، بدون تاريخ.
٢١) شرح التسهيل: لابن مالك، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوى المختون، وهجر للطباعة والنشر، الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
٢٢) شرح شافية ابن الحاجب: لرضى الدين الاستراباذي دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٣)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) تحقيق وعناية: يوسف الغوشي دار المعرفة، بيروت، لبنان، الرابعة، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

٢٤)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود. وعلى محمد معوض، مكتبة العبيكان – الرياض الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

٢٥)كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: لعلي بن الحسن الباقولي تحقيق: دكتور محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق بدون تاريخ.

٢٦)المجموع شرح المهذب: للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق تعليق: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد جدة، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.

٢٧)المحرر الوجيز تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية (٥٤٦هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٢٨)مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق، دكتور حاتم صالح الضامن، بغداد، ١٩٧٣م.

٢٩)معاني الفراء: تحقيق: أحمد يوسف بخاتي، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٣٧٤٥هـ -١٩٥٥م.

٣٠)مفاتيح الغيب: للإمام محمد ضياء الدين الرازي، المطبعة المصرية، بولاق، مصر ١٢٨٩هـ.

٣١)الجني الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق/ فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم.

٣٢)شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، دار الكتب العلمي، بيروت، لبنان، الثانية، ١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣-١٩٩٢.

٣٣)شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، بدون.

٣٤) الكتاب لسيبويه، تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الثالثة ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٣٥) شرح الكافية لابن الحاجب، لرقي الدين الاستراباذي تحقيق/ أحمد السيد صقر، المكتبة التفيقية ، مصر ، بدون.

٣٦) معاني الحروف لأبي الحسن الرماني، تحقيق الدكتور/ عبد الفتاح شلبي، دار الشروق للنشر، الثالثة ، ١٩٨٤م.

٣٧) همع الهوامع، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق، د/ عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٩م – ١٩٧٩م.

الوظائف النحوية التى بنيت شروطها الصرفية على الصيغ الصرفية العاملة :دراسة تطبيقية في ديوان بشار بن برد

الباحث/ محمد عبدالفتاح محمد

يناير ٢٠١٥

الوظائف النحوية التى بنيت شروطها الصرفية على الصيغ الصرفية العاملة دراسة تطبيقية في ديوان بشار بن برد

الباحث/ محمد عبدالفتاح محمد

تنقسم عناصر الكلام إلى عدد من الوظائف النحوية داخل الجملة مكونة الأبواب النحوية ، فكل كلمة تشغل بابًا نحويًا تكتسب رتبة ، وتتغيرهذه الرتبة حسب علاقاتها الإسنادية مع غيرها .

والإسناد عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة [١]، وهذا الإسناد إما أصلي أوغير أصلي وهذا الأخير هو إسناد المصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وهو ما سوف يسلط البحث الضوء عليه هنا ، فقد جعله النحاة ناقصًا ؛ لأنه لا يكون مع معموله جملة .

أما السامرائي فقد تناوله من حيث الفضلة والعمدة حينًا فعندما تقول: رأيت المنطلق غلامه ، فهو إسناد ناقص ؛ لأنه فاعل لاسم الفاعل الذي هو فضلة هنا وهو المفعول به . فيقول:(هو إسناد المصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف ؛ فإنها مع ما أسندت إليه ليست بكلام ولا جملة)[٢] ، ويسميه الإسناد الناقص وهو ما ذكر فيه أحد الطرفين ولم يذكر الطرف الآخر لا لفظًا ولا تقديرًا، وذلك نحو إعمال الوصف الرفع لا لكونه مسندًا بل لكونه وصفًا ... مثل قوله تعالى فى :"ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها"[٣] فأهلها

[١])الجملة العربية تأليفها وأقسامها ٢٤

[٢])الجملة العربية تأليفها وأقسامها ص٢٥

[٣]) سورة النساء الآية ٧٠

فاعل لاسم الفاعل الواقع نعتًا، فهذا مسند ؛ لأن الرافع فضلة وليس عمدة ، فهذا إسناد ناقص... أما قوله الفائز أخواه حاضر ؛ فأخواه فاعل للفائز الذي هو مبتدأ وخبره حاضر ؛ فالفائز مبتدأ ، وهو مسند إليه وحاضر مسند فهذا إسناد تام ؛ أما أخواه فهو فاعل لاسم الفاعل لا لكونه مسندًا بل لكونه اسم فاعل فكل من الفائز وأخواه مسند إليه غير أن الفائز له مسند وهو الخبر ، فهو إسناد تام وأخواه ليس له مسند فهو إسناد ناقص... ولا يتألف الكلام إلا من الإسناد التام ، فاسم الفاعل وغيره من الصفات لا تكون جملة مع مرفوعها إلا إذا تجرد لأن يكون مسندًا لهذا المرفوع[١]

فقد تعامل مع الإسناد من باب الفضلة والعمدة في الآية فكلمة ظالم نعت والنعت فضلة ، ولما رفع فاعلاً أصبح الإسناد ناقصًا ، أليس ذلك تأويلاً فيه شئ من المبالغة التي لا تتفق مع قواعد العربية ؟!، فهو في البداية جعل الإسناد الناقص الذي لا يكون مع مرفوعه جملة ، ثم يعود ليعترض على نفسه ليجعل الظالم أهلها إسنادًا ناقصًا والفائز أخواه إسنادًا تامًا لأنهما من باب العمدة والفضلة ، لا باب أن الوصف العامل والمصدر إسنادهما إلى معمولهما ناقص.

ويرى البحث أنه كان على السامرائي فقط أن ينظر إلى أن الوصف يتميز عن غيره من أقسام الكلم ؛ بأنه يسند إلى غيره ويسند غيره إليه في نفس الوقت، وهي خاصية التعدد الوظيفي التي تميز بها الوصف فقد يكون مبتدأ ، ويرفع فاعلاً ، وقد ينصب مفعولاً وقد يكون صفة أو حالاً ويرفع وينصب أيضًا.

[١])الجملة العربية ٢٦

والإسناد تحكمه بعض الضوابط والشروط التي وضعها النحاة ؛ لتمييز كل باب عن غيره ومن هذه الشروط:

أولا :الشرط الصرفي.

ثانيا :الشرط النحوي .

ثالثا :الشرط الدلالي.

أولا :الشرط الصرفي.

أما عن الشرط الصرفي فقد تناول النحاة شروطًا صرفية من حيث الاشتقاق والجمود ، والتعريف ، والتنكير، والإفراد ، والتثنية ، والجمع وغيرها من الشروط التى وضعها النحاة في تناولاتهم للباب النحوي ، وكان من بين هذه الأبواب أبواب يشترط فيها أن تكون وصفًا أو مصدرًا.

أ) شرط الوصف:

وضع النحاة شرط الوصف من الشروط لعدد من الأبواب النحوية منها:

١)الحال

الحال وصف فضلة منتصب والوصف جنس يشمل الخبر والنعت والحال[١] فالوصف شرط الحال غالبًا عند النحاة يبين هيئة ما قبله ؛ من فاعل، أو مفعول به،وَيَقع فِي جَوَاب كَيفَ مفهم في حال كفردا أذهب حتى جعله سيبويه ضربًا من المفعول فيه[٢]

وقد يقصد بالوصف الذي هو جنس يشمل الخبر والنعت والحال ، وهنا الوصف النحوي ، يكون وصفًا للمبتدأ ، أو المنعوت ، أو لصاحب والغالب في ثلاثتها

[١]) أوضح المسالك ٢٤٩/٢ وشرح ابن عقيل ٢٤٣/٢وقطر الندى٢٣٤ والنحو الوافي٣٦٣/٢

[٢]) راجع الكتاب ١٤٨/٢

الاشتقاق وهو ما يؤكده ابن عقيل في تناوله للحال: (وخرج بقوله فضلة الوصف الواقع عمدة نحو زيد قائم وبقوله للدلالة على الهيئة التمييز المشتق)[١]، وقول ابن معط : (الحال بيان هيئة الفاعل أو المفعول بنكرة مشتقة)[٢]، فيغلب في الحال أن يكون أحد المشتقات التى هي أقسام الوصف .

٢)النعت

النعت لا يكون إلا مشتقًا ، فهُوَ التَّابِع الْمُشْتَقّ أَو المؤول بِهِ [٣] فهوالتابع المقصود بالاشتقاق وضعًا أو تأويلاً [٤]

وقال السلسيلي معلقًا على صاحب التسهيل : المقصود بالاشتقاق ولم يقل المشتقة حتى صار التعيين به أكمل من العلم به ،[٥] ورغم تأكيد النحاة اشتقاقية النعت وتأكيد سيبويه على ذلك حيث ضعف النعت غير المشتق،إلا أن ابن الحاجب قال بأنه شرط غالب لا دائم فيقول:(ولا فرق بين أن يكون مشتقًا أو غيره ، لكن لما كان الأكثر في الدلالة على المعنى في المتبوع هو المشتق، توهم كثير من النحويين أن الاشتقاق شرط حتى تأولوا غير المشتق بالمشتق ، هذا كلامه ،–يقصد كلام ابن الحاجب– اعلم أن جمهور النحاة شرطوا في الوصف الاشتقاق ، فلذلك استضعف سيبويه: مررت برجل أسد، وصفًا، ولم يستضعف: بزيد أسدًا حالاً ، فكأنه يشترط في الوصف، لا الحال ، الاشتقاق ،

---

[١])شرح ابن عقيل ٢٤٢/٢

[٢])الفصول الخمسون لابن معط تحقيق الطناحي١٨٦

[٣]) قطر الندى٢٨٣

[٤])شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد٣٠٦/٣

[٥])شفاء العليل في إيضاح التسهيل محمد بن عيسى السلسيلي تحقيق عبدالله البركاتى ٧٤٧/٢

وفي الفرق نظر، والنحاة يشترطون ذلك فيهما معًا، والمصنف لا يشترطه فيهما، ويكتفي بكون الوصف دالاً على معنى في متبوعه، مشتقًا كان، أو لا)[١] ، وعليه فهناك شبه إجماع من النحاة على اشتقاقية النعت ولم أجد رأيًا يوافق ابن الحاجب – حسب علم البحث– فابن مالك يقول:

وأنعت بمشتق كصعب وذرب ... وشبهه كذا وذي والمنتسب

ويعلق ابن عقيل على ذلك بقوله: (لا ينعت إلا بمشتق لفظًا أو تأويلاً)[٢]، فشرط الاشتقاق عند كثير من النحاة دائم لا غالب .

٣) الخبر

يأتي الخبر مشتقًا كما يأتي جامدًا فيقول ابن عقيل : (أما المفرد فإما أن يكون جامدًا أو مشتقًا... وإن كان مشتقًا فذكر المصنف أنه يتحمل الضمير نحو زيد قائم أي هو هذا إذا لم يرفع ظاهرًا.)[٣]، وعندما يأتي الخبر مشتقًا لابد فى متعلقه من ضمير عائد على المشتق لأنه يعمل عمل فعله فإذا كان الخبر فى الحقيقة للمبتدأ أسند إلى ضمير المبتدأ في المعنى نحو زيد قائم أي هو[٤]

فالخبر هو وصف للمبتدأ في المعنى والحال وصف لصاحب الحال ومعنى هذا أن الأصل في الخبر أن يكون أحد الأوصاف الخمسة ذلك بأن

---

[١]) شرح كافية ابن الحاجب للرضي ٢٨٩/٢

[٢])شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك١٩٥/٣

[٣])شرح ابن عقيل٢٠٥/١

[٤])أسرار النحو كمال باشا شمس الدين أحمد سليمان تحقيق أحمد حسن صادق دار الفكر عمان ١٠٨،

الوصف حامل لجرثومة الحدث بدلالته على موصوف بالحدث وهذا الحدث صالح أن يكون مسندًا ويتحمل الضمير عكس الاسم)[١].

ويميل البحث إلى أن الأصل في الخبر الاشتقاق ، ويستقر في أغلب ظني أن شرط الاشتقاق في هذه الوظائف الثلاثة غالب ، كما أن اشتراك هذه الوظائف الثلاثة في شرط الاشتقاق أدى إلى اشتراكها في عدد من الأحكام ، مثل أن ثلاثتها تأتي جملاً ؛ لأن الوصف مع معموله في حكم الجملة ، وإن لم يرفع فاعلاً نحويًا فقد اشتمل على فاعل صرفي .

٤) المبتدأ :

هو اسم أو بمنزلته ، مجرد عن العوامل اللفظية أو بمنزلته ، مخبر عنه ، أو وصف رافع لمكتفى به[٢] ، فقد يأتي المبتدأ اسمًا وقد يأتي وصفًا مستغنيًا بمرفوعه في الإفادة وإتمام الجملة [٣] . وإذا جاء وصفًا فله شروط وهي شروط عمل الوصف التي ذكرها النحاة وقدم البحث بعضًا منها في الفصل الأول، وشروط في خبره ؛ الذي أصبح فاعلاً سد مسد الخبر.[٤]

ويشرح صاحب معاني النحو ذلك بقوله: (الضرب الثاني من المبتدأ وهو أن يكون المبتدأ وصفًا اعتمد على نفي أو استفهام واكتفى بمرفوعه نحو (أقائم الزيدان)... فإذا رفع ما بعده فله ثلاثة أحوال وجوب الخبرية وجواز الأمرين ، وذلك إن لم يطابق ما بعده تعينت ابتدائيته نحو (أقائم أخواك) فـ(قائم) مبتدأ

---

[١])البيان في روائع القرآن ٤٢

[٢]) أوضح المسالك١٨٦/١

[٣])راجع النحو الوافي ٤٤٢/١

[٤])راجع شرح ابن عقيل ١٨٩/١ و ١٩٢/١

و(أخواك) فاعل سد مسد الخبر ، ... وإن طابق الوصف ما بعده في غير الإفراد وهو التثنية والجمع تعينت خبريته نحو (أقائمان أخواك وأقائمون أخوتك) فالوصف فيهن خبر مقدم والمرفوع بعده مبتدأ مؤخر ، ولا يجوز أن يكون الوصف فيهن مبتدأ ، والمرفوع فاعلاً سد مسد الخبر ؛ لأن الوصف إذا رفع ظاهرًا كان حكمه حكم الفعل في لزوم الإفراد في اللغة الفصحى)[١]

٥)**التمييز**

الأصل في التمييز أنه جامد فلا يقوم بوظيفة تركيبية في الجمل، ولكن يفهم من كلام ابن عقيل أنه قد يأتي مشتقًا في قوله: (وخرج بقوله فضلة الوصف الواقع عمدة نحو زيد قائم ، وبقوله للدلالة على الهيئة التمييز المشتق نحو لله دره فارسًا فإنه تمييز لا حال على الصحيح ؛ إذ لم يقصد به الدلالة على الهيئة بل التعجب من فروسيته ، فهو لبيان المتعجب منه لا لبيان هيئته.)[٢]

هذه الأبواب الستة أدى اشتراكها في الشرط الصرفي هذا ، إلى كثرة التأويلات وتعدد الإعرابات .

ب) شرط المصدر:

كان المصدر شرطًا صرفيًا أساسيًا في بابين مهمين هما المفعول المطلق والمفعول لأجله ، كما ساعدت مرونة العربية على إتيان المصدر مبتدأ وخبرًا ومفعولاً به ومضافًا إليه ، كما جاء المصدر حالاً وصفة ، فهو من الشروط التي فتحت الباب على مصراعيه أمام تعدد الإعراب على النحو التالي:

---

[١])راجع معاني النحو ١٥٠/١

[٢])شرح ابن عقيل ٢٤٢/٢

١) المفعول المطلق(المصدر)

من النحاة من أطلق على باب المفعول المطلق باب المصدر فهو المصدر الفضلة[١] ، وهو المصدر المنتصب توكيدًا لعامله أو بيانًا لنوعه وعدده ، وهذا التأكيد للفعل بتكرار لفظة في صورة المصدر القياسى المنصوب ويكون المصدر عاملاً فى المفعول المطلق مثل عجبت من ضربك زيدًا ضربًا وكذلك الوصف ضاربًا زيد ضربًا . فهو هو المصدر المفسر للشئ العام مطلقًا بغير قيد.

٢)المفعول لأجله

المفعول لأجله ما انتصب من المصادر لأنه عذر [٢]، يبين سبب ما قبله ، ويشارك عامله في الوقت ، وفي الفاعل، وفرق النحاة بينه وبين المفعول المطلق ؛ بأنه مصدر لا من لفظ العامل فيه ، مقارنًا له في الوجود أعم منه جوابًا لقائل يقول لم ؟[٣]

وهو عند الكوفيين والزجاج مطلق لفعل محذوف ، ويرد الرضي على الزجاج بقوله: (ولا يطرد له هذا جميع أنواع المفعول له، فان القعود ليس بيانًا للجبن، ولا يقال: قعوده جبن إلا مجازًا، وكذا قولك، جئتك اصلاحًا لحالك، بالإعطاء أو النصح أو نحوه ، فإن المجئ ليس بيانًا للإصلاح، بل بيانه الإعطاء أو النصح، كما صرحت به. ولعله يقدر في مثله: قعود جبن ومجئ إصلاح على حذف المضاف وهو تكلف.)[٤]

---

[١])قطر الندى ٢٤٤

[٢] الكتاب ١٨٤/١ وراجع المقرب لابن عصفور ١٦٠/١

[٣]) الفصول الخمسون ١٩٢

[٤])شرح كافية ابن الحاجب ٥٠٧/١

ثم يستخلص الرضي في نهاية القول رادًا على الكوفيين بقوله: (ومذهب البصريين أولى من الباقين، لسلامته من الحذف والتقدير اللازمين لغيره.)[١]

والأصل في المفعول لأجله أن يسبق بحرف جر وحذفه توسعًا، وحذف الحرف يفتح الباب أمام الاحتمالات ، فيجوز النصب على الحالية ، وعلى المفعول لأجله وغيرهما ،وهو مصدر ؛ لأنه علة والعلة لا تكون إلا حدثًا .

٣)الحال

ذكر سيبويه بابًا في كتابه سماه باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال[٢] وخرج سيبويه المصدر المعرف في موقع الحال على المفعولية المطلقة [٣] ، ويقول السامرائي في معاني النحو أن العدول بالمصدر عن الوصف في موقع الحال يكون لغرضين :(أولا :المبالغة...ثانيا التوسع في المعنى ؛ وذلك أنك إذا عبرت بالوصف فقد أردت معنى واحدًا... ولكن إذا عبرت بالمصدر اتسع المعنى وكسبت أكثر من قصد وغرض ، فقد تكسب معنى المصدرية والحالية...فالمصدرية في هذا الباب لاتنافي الحال، بل الإتيان ههنا بلفظ المصدر يفيد ما يفيده المصدر مع زيادة فائدة الحال ، فهو أتم معنى ولا تنافي بينهما)[٤] .

واختلفوا فيه هل يقاس عليه أم لا ؟ ؛ رغم كثرة ورود المصدر حالاً إلا أن سيبويه وابن يعيش ذهبا إلى أنه ليس بمقيس فسيبويه يقول:(وذلك قولك: قَتلتُهَ

---

[١])شرح الكافية ٥٠٩/١

[٢])الكتاب ٣٨٤/١

[٣])راجع الكتاب ٣٧٦/١

[٤])معاني النحو ٢٨٩/٢

صَبْراً، ولقَيتُه فُجاءةً ومفاجأةً، وكفاحاً ومكافحةً، ولقيته عِيانًا، وكلّمتُه مُشافَهةً، وأتيتُه رَكْضاً وعَدْواً ومَشْياً، وأخذتُ ذلك عنه سَمْعاً وسَماعاً. وليس كلُّ مصدرٍ وإنْ كان فى القياس مثلَ ما مضى من هذا الباب يوُضَعُ هذا الموضعَ؛ لأنّ المصدر ههنا فى موضع فاعِلٍ إذا كان حالاً.)[١]

وعليه ابن عقيل حيث يقول : (وقد كثر مجيء الحال مصدرًا نكرة ،ولكنه ليس بمقيس لمجيئه على خلاف الأصل)[٢] ، وجعله رأي سيبويه والجمهور.

أما المبرد فقد أجاز القياس عليه: (وَمن المصادر مَا يَقع فى مَوضِع الْحَال فيسد مسده ، فَيكون حَالاً؛ لِأَنَّهُ قد نَاب عَن اسْم الْفَاعِل، وأغنى غناءه، وَذَلِكَ قَوْلهم: قتلته صبرًا إِنَّمَا تَأْوِيله: صَابِرًا أَو مصبرًا، وَكَذَلِكَ: جِئْته مشيًا؛ لأن الْمَعْنى: جِئْته مَاشِيًا فالتقدير: أمشى مشيًا، لأن المجئ على حالات، والمصدر قد دلّ على فعله من تِلْكَ الْحَال وَلَو قلت: جِئْته إِعْطَاء لم يجز؛ لأن الْإِعْطَاء لَيْسَ من المجئ ، وَلَكِن جِئْته سعيًا، فَهَذَا جيد؛ لِأَن المجئ يكون سعيًا قَالَ الله عز وَجل: {ثمَّ ادعهن يأتينك سعيا} فَهَذَا اخْتِصَار يدل على مَا يرد مِمَّا يشاكلها)[٣]، و جعل البعض القياس عليه مباح وهو رأي فوق صحته فيه تيسيروتوسعة وشمول[٤]

ويسْتَثْنى ثَلَاثَة أَنْوَاع جوزوا الْقيَاس فِيهَا ، الأول: مَا وَقع بعد خبر قرن بال الدَّالَّة على الْكَمَال نَحْو أَنْت الرجل علمًا ... قَالَ أَبُو حَيَّان وَعِنْدِي أَن

[١]) الكتاب ١/٣٧٠

[٢]) شرح ابن عقيل ٢/٢٥٣

[٣])المقتضب ٢/٢٣٤

[٤])النحو الوافي ٢/٣٧٢

النصب فِي هَذَا على التَّمْيِيز ... الثَّانِي مَا وَقع بعد خبر يشبه بِهِ مبتدؤه نَحْو أَنْت زُهَيْر شعرًا ... قَالَ أَبُو حَيَّان والتمييز فِيهِ أظهر أَيْضًا وَقد نصوا على أَنه تَمْيِيز ...الثَّالِث مَا وَقع بعد أما نَحْو أما علما فعالم [١]

وعليه فقد كثر مجئ المصدر حالاً رغم أن المصدر شرط صرفي للمفعول المطلق والمفعول له ، والحال له شرط صرفي أن يكون مشتقًا ؛ مما جعل سيبويه والرضي من بعده يخرجان بعض المصادر في باب الحال على أنها مفعول مطلق.

٤) النعت

كثر استعمال المصدر نعتًا" كما تقع الحال مصدرًا في مثل قولهم: "قم قائمًا" ، فيوصف بالمصادر أيضا كقولهم رجل عدل وصوم وفطر وزور ورضي، وضرب هبر، وطعن نثر، ورمي سعر، ومررت برجل حسبك وشرعك وهدك وكفيك وهمك ونحوك، بمعنى محسبك وكافيك ومهمك ومثلك.[٢]

فالاشتراك في الشرط الصرفي يؤدي إلى تماس في وظائف نحوية كثيرة ، مما يفتح الباب أمام الاحتمالات والتعدد في الإعراب ، مثل الاشتراك بين الحال والمفعول لأجله في مثل: جئتك ماشيًا وجئتك مشيًا ، ورغبة وراغبًا ، فالاشتراك الصرفي هو قناة تواصل مفتوحة تتواصل فيها كل الوظائف النحوية.

ثانيا الشرط النحوي :

وهو ما يتعلق بالعلامة الإعرابية ، والرتبة ، والفضلة والعمدة ، والحذف والتركيب والإسناد، فالعلامة الإعرابية مثلاً جعلت قسمًا كبيرًا يشترك فى الشرط

---

[١])همع الهوامع٢/٢٩٩

[٢])شرح المفصل ٢/٢٣٦

الصرفي والنصب ، مثل المفعول المطلق والمفعول له يشتركان في ذلك ويدخل معهما المصدر الواقع حالاً ، وكذلك المصدر في موقع النعت المنصوب ، كل ذلك فتح الباب أمام التأويلات والتعليلات. تشترك وظائف الحال والمفعول المطلق و المفعول لأجله بشروط وجود حذف وتقدير ، كما في مثل قوله تعالى: (أفحسبتم أنا خلقناكم عبثا) قيل هي مفعول لأجله ويجوز حالا وذلك ، لأن الحال يجوز أن تأتى مصدرا وهذا التجوز فتح الباب على مصراعيه أمام الاشتراك في الوظائف.

فالإعراب له دور كبير في تحديد الوظائف النحوية المختلفة ؛ لأنه لا يتوقف دور الإعراب على إجراء المركبات النحوية فى مجاري المرفوعات والمنصوبات والمجرورات ، وإنما يشتمل أيضا الحذف والتركيب ، والإسناد ، وكل ما يتم بالعوامل النحوية المتنوعة من أفعال وحروف وأسماء ، وكذلك في كل الشروط النحوية.

كما أن الحال والنعت والخبر كل منها يقع مفردًا ، وجملة ، وشبه جملة ؛ مما زاد من فرص التعدد والاحتمال والتأويل نتيجة هذا التشابه بين هذه الأبواب.

ومن الشروط النحوية التي يتفق فيها كل من النعت والحال والخبر أن الأصل فيها المطابقة لصاحبها في الإفراد والتثنية والجمع وكذلك التذكير والتأنيث، فعنصر المطابقة من العناصر المهمة التى تزيد الصلة بين ثلاثتها.

أما شرط الفضلة والعمدة فقد استخدمه الزمخشري في التفريق بين الحال والظرف والمفعول حيث يقول: (شبه الحال بالمفعول من حيث أنها فضلة

مثله جاءت بعد مضي الجملة. ولها بالظرف شبه خاص من حيث أنها مفعول فيها)[١]

ورد عليه ابن يعيش بقوله: (ولو كانت الحالُ مفعولةٌ، لجاز أن تكون معرفةً. ونكرةً كسائر المفعولين. فلمّا اختصّت بالنكرة،دلّ على أنّها ليست مفعولةً، وإذ قد ثبت أنّها ليست مفعولة، فهي تُشْبِه المفعولَ من حيث إنّها تجيء بعد تَمامِ الكلام، واستغناءِ الفعل بفاعله، وأنّ في الفعل دليلاً عليها كما كان فيه دليلٌ على المفعول، ألا ترى أنّك إذا قلت: "قمتُ"، فلا بدّ أن تكون قد قمتَ في حالٍ من الأحوال، فأشْبَهَ قولُك: "جاء عبدُ الله راكبًا" قولَك: "ضَرَبَ عبدُ الله رجلاً"، ولأجلِ هذا الشَّبَه استحقّت أن تكون منصوبةً.)[٢]

وأيا ماكان الأمر فكلا الرأيين فيه من المبالغة الكثير ؛ فرأي الزمخشري قد يكون تناسى أن كل ما خلا المبتدأ والخبر والفعل والفاعل فهو فضلة ، فكيف يشبه المفعول ولا يشبه غيره .

أما رأي ابن يعيش فقد أنكر أن تكون الحال مفعولة ، إلا أنه يذهب إلى جعل الحال منصوبًا لشبهه بالمفعول به في كذا وكذا، فلماذا يُنْصب المفعول المطلق والمفعول لأجله والتمييز وخبر كان واسم إن...إلخ

ومهما يكن الأمر فقد لعبت الشروط النحوية دورًا مهما في التشابه والتعدد في الأبواب النحوية.

---

[١])المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص٨٩

[٢])شرح المفصل ٤/٢

ثالثا الشرط الدلالى أو المعنوي:

لما كان هناك اشتراك صرفي في بعض الوظائف وضعوا لكل وظيفة نحوية شروطًا دلالية تفرق بين الوظائف التى اشتركت في الشرط الصرفي فالدلالة قرينة فارقة بين الأبواب التي تشترك في الشرط الصرفي وبعض الشروط النحوية ، وقد استخدم ابن هشام الشرط الدلالي في إعرابه لكلمة السماوات في قوله تعالى : {خلق الله السَّمَاوَات}[١] حيث يقول: (إن هناك أمورًا اشتهرت بين المعربين مثل أن المفعول المطلق دائمًا مصدر ...ومنها قَوْلهم فِي نَحْو {خلق الله السَّمَاوَات} إِن السَّمَوَات مفعول بِهِ وَالصَّوَاب أَنه مفعول مُطلق لأن الْمَفْعُول الْمُطلق مَا يَقع عَلَيْهِ اسْم الْمَفْعُول بِلا قيد نَحْو قَوْلك ضربت ضربًا ، وَالْمَفْعُول بِهِ مَا لا يَقع عَلَيْهِ ذَلِك إِلاَّ مُقَيّدًا بِقَوْلِك بِهِ كضربت زيدًا ، وَأَنت لَو قلت السَّمَوَات مفعول كَمَا تَقول الضَّرْب مفعول كَانَ صَحِيحًا ، وَلَو قلت السَّمَوَات مفعول بهَا كَمَا تَقول زيد مفعول بِهِ لم يَصح... إِيضَاح آخر الْمَفْعُول بِهِ مَا كَانَ مَوْجُودًا قبل الْفِعْل الَّذِي عمل فِيهِ ثمَّ أوقع الْفَاعِل بِهِ فعلاً ،وَالْمَفْعُول الْمُطلق مَا كَانَ الْفِعْل الْعَامِل فِيهِ هُوَ فعل إيجاده ، وَالَّذِي غر أَكثر النَّحْوِيين فِي هَذِه الْمَسْأَلَة أَنهم يمثلون الْمَفْعُول الْمُطلق بِأَفْعَال الْعباد ، وهم إِنَّمَا يجْرِي على أَيْديهم إِنْشَاء الْأَفْعَال لا الذوات ، فتوهموا أَن الْمَفْعُول الْمُطلق لا يكون إِلا حَدثًا ، وَلَو مثلُوا بِأَفْعَال الله تَعَالَى لظهر لَهُم أَنه لَا يخْتَص بذلك لأن الله تَعَالَى موجد للأفعال والذوات جَمِيعًا لا موجد لَهما فِي الْحَقِيقَة سواهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا

[١]) جزء من آية سواء كانت آية العنكبوت ٤٤ {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ}،أو آية الروم ٨ (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ

الَّذِي ذكرته الْجِرْجَانِيّ وَابْن الْحَاجِب فِي أَمَالِيهِ)[١]، فالسموات عنده مفعول مطلق لا مفعول به فالمفعول له يوجد قبل الفعل والمطلق مع الفعل والمفعول به بعد الفعل.

وكما أن هناك اشتراكًا في الشروط الصرفية والنحوية ، كان هناك اشتراك في الشروط الدلالية ، فالخبر والحال محكومًا عليهما ولكنه قصدي في الخبر تابع في الحال .

وبين الصفة والحال في الاتصاف بصفة على التبعية في الحال وعلى القصدية في الصفة وتتشابه الصفة والحال إلى حد كبير حتى أن الصفة إذا تقدمت انقلبت حالا في اللفظة وليس المعنى فالحال صفة أيضا في المعنى.

والفرق بين الحال والصفة ، هو أن الصفة تفرق بين اسمين مشتركين في اللفظ والحال زيادة في الفائدة والخبر، وإن لم يكن للاسم مشارك في لفظه. ألا ترى أنك إذا قلت: مررت بزيد القائم ، فأنت لا تقول ذلك إلا وفي الناس رجل آخر اسمه زيد وهو غير قائم ، ففصلت بالقائم بينه وبين من له هذا الاسم وليس بقائم.

وتقول: مررت بالفرزدق قائمًا وإن لم يكن أحد اسمه الفرزدق غيره فقولك: قائمًا إنما ضممت به إلى الإخبار بالمرور خبرًا آخر متصلاً به مفيدًا. فهذا فرق ما بين الصفة والحال، وهو أن الصفة لا تكون إلا لاسم مشترك فيه لمعنيين أو لمعان، والحال قد تكون للاسم المشترك والاسم المفرد، وكذلك الأمر في النكرة إذا قلت: جاءني رجل من أصحابك راكبًا إذا أردت الزيادة في الفائدة

[١])المغني٨٦٧

والخبر، وإن أردت الصفة خفضت فقلت: مررت برجل من أصحابك راكب، وقبيح أن تكون الحال من نكرة ؛ لأنه كالخبر عن النكرة والإخبار عن النكرات لا فائدة فيها)[١]

فابن السراج هنا يفرق بين الحال والصفة ، ويضع الخطوط الرفيعة التي تفصل هذين المتماثلين.

وفي الحال والتمييز فرق وأصله في البيان ووقع الاشتراك ، فالحال للهيئات والتمييز للذوات. كما يتشابهان في أن كلا منهما اسم نكرة فضلة منصوب وفرق سيبويه بين الصفة والحال والتمييز بقوله: (واعلم أن الشيء يوصَف بالشيء الذي هو هو ، وهو من اسمه، وذلك قولك: هذا زيدٌ الطويل. ويكون هو هو ، وليس من اسمه كقولك: هذا زيدٌ ذاهبًا. ويوصَف بالشيء الذي ليس به ولا من اسمه، كقولك: هذا درهم وزنًا، لا يكون إلا نصبًا)[٢]

فهنا الحال يشترك مع عدد من الوظائف الأخرى حتى أن ابن جني جعله ضربًا من الخبر[٣] ، فالحال خبر ثان في المعنى لا في اللفظ .

وجعله سيبويه شبيه الظرف كما أنه يشبه المفعول ، ومشابهته بالمفعول الصحيح – عنده – أقوى لخلوه من حرف الظرفية من جاءنى زيد راكبًا [٤]

---

[١])الأصول في النحو ٢١٤/٢

[٢])الكتاب١٢١/٣

[٣])المحتسب ٣٠٧/١

[٤])المفردة بين الدلالة الوظيفية والتركيبية عند عبد القاهر مقال في مجلة القادسية الكويتية في الآداب والعلوم التربوية العدد ١،٢ د /تراث حاكم مالك الزيادي

ورغم إحكام النحاة القواعد التي تحكم الأبواب النحوية ، ليستقل كل باب بنفسه عن غيره من الأبواب ، إلا أن هذه القواعد لم تشفع للنحاة ، فقد تداخلت الوظائف ، وتعانقت الأبواب في لُحمة يصعب معها الفصل ، فأصبح هناك توائم متماثلة لا يقدر على التمييز بينهما إلا ذو دربة ودراية ، حتى أولئك النحاة الذين امتلكوا هذين الشرطين ، بل ومعهم براءة اختراع هذه الأبواب عز عليهم الفصل فاختلفوا وأولوا، وفتحوا الباب أمام التعدد وكثرة الاحتمالات الإعرابية.

(الوظائف النحوية في الديوان)

أولا الحال:

وباستقراء هذه الوظائف في ديوان بشار وجد البحث أن الحال قد جاء في الديوان في (٣٤٧) ثلاثمائة وسبعة وأربعين موضعًا ، بين الحال الواقع وصفًا والحال الواقع مصدرًا ، والحال الواقع اسمًا جامدًا[١] . وكانت تفاصيلها كالتالي:

الصيغة	وصف الفاعل	وصف المفعول	الصفة المشبهة	صيغ المبالغة	اسم التفضيل	المصدر	الاسم الجامد
العدد	٥١	٢٥	١٦٦	٨	–	٧٠	٢٧
النسبة المئوية	%١٤,٦٩	%٧,٢١	%٤٧,٨٤	%٢,٣١		%٢٠,١٧	%٧,٧٨

أولاً الواقع وصفًا :

مثل قوله:

[١]) ولم يحتسب البحث أخبار الأفعال الناقصة على رأي من احتسبها حالا رغم ميل البحث لهذا الرأي إلا أن البحث عند الإحصاء آثر الرأي الغالب .

مَا بَالُ عَبْدَةَ عَنِّي الْيَوْمَ صَابِرَةً ** وَلَسْتُ عَنْهَا وَإِنْ شَطَّتْ بصَبَّار [١]

عَلِّقتُ منهنَّ شمسَ الدَّجن أو قمراً ** غدا لنا لابساً درعاً وجلبابا[٢]

تَرَى قُرْطَهَا مُسْتَهْلَكاً دُونَ حَبْلِهَا ** بِنَفْنَفِهِ مِن واضح اللّيثِ أجْيَدَا[٣]

يخال البخل مفترضاً عليه ** فيجمد مثل ما جمد الحديد[٤]

ذكَرْتُ مِنْ هِقْلٍ غَدَا خَاضباً ** أو هقلةٍ ربداءَ لم تخضبِ[٥]

ففي هذه الأبيات جاء الحال وصفا ففي البيت الأول ،استخدم الشاعر وصف الفاعل **صابرة** ، وجاء خبر ليس **صبار** صيغة مبالغة –وهوعندى حال أيضًا– مسبوقًا بحرف الجر الزائد. وفي البيت الثاني جاء الحال **لابسًا** وصف فاعل أيضًا. وفي البيت الثالث استخدم وصف المفعول **مُسْتَهْلَكاً** منصوبًا على الحال ومثله البيت الرابع جاء وصف المفعول **مفترضاً** . وفي البيت الأخير جاء الوصف **خَاضباً** فى موقع الحال.

أما المصدر الواقع حالاً:

فمثل قوله:

يُحَيِّي بَعْضُنَا بَعْضاً جِهَاراً ** كَأَنَّا لاَ نُكَادُ وَلاَ نَكِيدُ[٦]

لو دعاك الذي دعاني من الشو ** قِ فُوَاقاً أَرَدْتِ بي ما أُرِيدُ [٧]

فراجع باسمها طرباً إليها ** كما انصرف الذلول مع القِيَاد[١]

---

[١])الديوان ١٦٨/٣ من البسيط

[٢]) الديوان ٢٣٤/١ من البسيط

[٣])الديوان ٣١/٣ من الطويل

[٤]) الديوان١٩/٣ من الوافر

[٥]) الديوان ١٧٢/١ من السريع وعروضه وضربه مطوي مكشوف

[٦]) الديوان١٥/٣من الوافر وعروضه وضربه مقطوفان

[٧])الديوان٢٠/٣من الخفيف وعروضه وضربه صحيحان

وَإِذَا مَا مِتُّ فَابْكِي ** لطفا في الباكيات[٢]

في هذه الأبيات استخدم الشاعر المصدر في مثل هذه الأبيات موضع الحال فهذه المصادر فيها معنى الحال وزاد عليها معنى المصدر ، فجاءت المصادر **جهارًا ، فواقًا ، وطربًا ، ولطفًا** ، على الترتيب منصوبة على الحال.

ومثله قوله:

يَسْهَرُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ** نظراً في العواقبِ[٣]

الشاهد: حيث جاء المصدر **نظرًا** حالاً يصف حالة بشار في سهره الليالي ، ناظرا في العواقب ، ويجوز أن تكون مفعولاً لأجله ، فهو يسهر لينظر في العواقب والاحتمال الأول أولى.

أما الحال الجامد ففي مثل قوله :

فعش واحدًا أو صل أخاك فإنه ** مُفَارقُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ[٤]

كل امرئ تارك أحبته ** وصائرٌ تُرْبَةً من الْبلد[٥]

ودهر المرء منقلبٌ عليه ** فُنُوناً ، والنَّعيمُ إِلى انْقلاب[٦]

تَمَّتْ قَوَاماً وعمَّتْ فِي مَجَاسِدِهَا ** كأنها من جواري الجنة الحور[٧]

في هذه الأبيات جاءت الأحوال الآتية اسمًا جامدًا وهي على التوالي: **واحدًا ، تُرْبَةً ، فُنُوناً ، قَوَاماً** ، فكلها أحوال جامدة استخدمها بشار في أبياته .

---

[١]) الديوان ٢٤/٣من الوافر وعروضه وضربه مقطوفان

[٢]) الديوان ج٥٦/٢من مجزوء الرمل

[٣]) ديوان بشار ١/ ١٨٩ من الطويل

[٤]) الديوان ٣٢٦/١من الطويل

[٥])الديوان ١٨٢/٢ من المنسرح وعروضه وضربه مطوية

[٦])الديوان ٢٧١/١من الوافر

[٧]) الديوان٢٢١/٣من البسيط

ولكن للبحث وقفة مع البيت الثاني حيث إن **صائرًا** هي المشتق من الفعل الناقص صار عند النحاة وهذة الأفعال ناقصة عندهم لأنها لم تكتف بمرفوعها، أما في نظر البحث فهي ناقصة الحدث وما دلت إلا على الزمان ، فكيف يعربون تربة هنا هل هي خبر الفعل الناقص (صائر) ؟ أم حال؟ و يرى البحث أنها حال.

ثانيا النعت:

وجاء الوصف نعتًا في في مائتين وتسعة وأربعين موضعًا وكثر في الغزل والمدح والهجاء وغيرها من الأغراض . وكانت تفاصيلها كالتالي:

الصيغة	وصف الفاعل	وصف المفعول	الصفة المشبهة	صيغ المبالغة	اسم التفضيل	المصدر	الاسم الجامد
العدد	٢٧	٣٩	٨٨	٥٦	٢٧	–	١٢
النسبة المئوية	%١٠,٨٤	%١٥,٦٦	%٣٤,٣٤	%٢٢,٥٠	%١٠,٨٤		%٤,٨٢

مثل قول بشار:

لا تلوما فإنها من نساء ** مشرفات يطرفن طرف الظباء[١]

وكفَانِي أمْراً أبَرَّ عَلَى البُخْلِ ** بِكَفٍّ مَحَمْودَةٍ بَيْضَاء[٢]

ولَيْلةِ نحْسٍ جُمادِيَّةٍ ** إذا نَسمَتْ رِيحُها تَبْرُدُ[٣]

ومحترق الوديقة يوم نحسٍ ** من الجرزاء ظل له أوارُ[٤]

[١])الديوان ١٣٣/١من الخفيف

[٢]) الديوان ١٣٧/١ من الخفيف

[٣])الديوان ١٢٢/٣ من المتقارب

[٤]) الديوان ٢٤٩/٣ من الوافر وعروضه وضربه مقطوفان

ففي الأبيات جاء النعت وصفًا وهى **مشرفات ومحمودة** ، وكذلك **أبر ونحس** ، وهذه الأمثلة كثيرة في الديوان .

وإن كان البحث لم يقع على مصدر في موضع النعت ، وجاء النعت جامدًا على غير الأصل في مثل قوله:

عَنَّيْتُ نَفْساً غَيْرَ آمنَةٍ ** في غير فاحشةٍ ولا هجر[١]

الشاهد: حيث جاءت كلمة **غير** صفة لنفس على غير الأصل في النعت وهو أن يكون مشتقًا.

ثالثا المبتدأ والخبر:

أما المبتدأ والخبر فكثر مجيئهما في الديوان وصفًا وخاصة الخبر ، وقد جاء المبتدأ وصفًا في ستة وثلاثين موضعًا تقريبا مثل:

(عاقد – مبعوث – الجالب – أحول – معروفه- قائلة – مخير – قروع – الجاعل – منتظر – خير- تلعابة)

مثل قوله:

فخيرٌ منك من لاخير فيه ** وخيرٌ من زيارتكم قعودي[٢]

تجهَّزْ طال في النَّصَبِ الثَّواءُ ** ومُنْتظَرُ الثَّقِيلِ عَلَيَّ داءُ[٣]

فجاء وصف التفضيل (خير) مبتدأ مرتين خبر الأول منهما الاسم الموصول **من** وخبر الثاني المصدر **قعودي** ، ولم يتقدم على المبتدأ نفي أو

---

[١]) الديوان ٢٢٥/٣ من الكامل

[٢]) الديوان ١١٢/٣ من الوافر وعروضه وضربه مقطوفان

[٣]) الديوان ١٢٦/١من الوافر وعروضه وضربه مقطوفان

استفهام[١] ، وهذا البيت شاهد أيضًا على مجئ الخبر مصدرًا . وفي البيت التالي جاء المبتدأ وصف فاعل وهو **منتظر**. وقد جاء المبتدأ مصدرًا في أربعة عشر موضعًا مثل قوله:

ولولا اصطناعي مالكاً وابن مالكٍ ** قَديماً لَمَا زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ في الْبَحْرِ[٢]

لله ذكرة عاشقٍ ** يدنو بها النائي المباعد[٣]

في نأيها وصبٌ عليَّ مبرّحٌ ** ودُنُوُّها شافٍ مِن الأَوصابِ[٤]

الشاهد : حيث جاء المصدر في الأبيات في وظيفة المبتدأ ؛ ففي البيت الأول جاء المصدر **اصطناعى** مبتدأ ، وفي البيت الثاني وجد البحث المصدر **ذكرة** مبتدأ نكرة مؤخرًا خبره شبه الجملة المقدم عليه . وفي البيت التالي جاء المبتدأ **(دنوها)** مصدرًا، وخبره وصف الفاعل شاف وتعدى الوصف لمعموله بحرف الجر. أما الخبر فقد جاء وصفًا في مائتين وستة وسبعين موضعًا وكانت تفاصيلها كالتالي:

الصيغة	وصف الفاعل	وصف المفعول	الصفة المشبهة	صيغ المبالغة	اسم التفضيل	المصدر
العدد	٨٩	٣٦	١٠١	٢٦	١٩	٥
النسبة المئوية	%٣٢,٢٥	%١٣,٠٤	%٣٦,٥٩	%٩,٤٢	%٦,٨٩	%١,٨١

مثل قوله:

فأصبحت جاريةً بطنها ** مَلآنُ مِنْ شَتَّى فَلَمْ تُضْرَبِ[٥]

[١])قيل أنه لا شاهد في فخير خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر واعترض ابن عقيل على مثل ذلك انظر شرح ابن عقيل ١٩٤/١

[٢]) ديوان بشار ٢٧٩/٣ من الطويل

[٣]) الديوان ٤٥/٣ من مجزوء الكامل

[٤]) الديوان ٢٤٢/١ من الكامل

[٥]) الديوان ١٧٢/١ من السريع

هِيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً ** لَمْ تُجْفَ طُولاً ولاَ أَزْرَى بهَا القصَرُ[١]

فإِنْ تَكُ نَاقِصاً مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ** فَمَا لَكَ في مَسَاءَتِنَا تَزِيد[٢]

فعالك محمودٌ وأنت محسدٌ ** وهل تجد المحمود إلا محسدا[٣]

شتَّان بينك يا قبيص وبينهُ ** أَنْت الذَّميمُ ولَسْتَ كالمَحْمُودِ[٤]

في هذه الأبيات جاء الخبر وصفًا ، وهذه الأخبار هى على الترتيب (ملآن – **هِيْفَاءُ – عَجْزَاءُ –ناقِصاً**[٥]**– محمودٌ –محسد– الذَّميمُ)** ،وجاء الخبر في البيت الأخير معرفًا على غير الأصل. أما الخبر المصدر فقد وقع في خمسة مواضع في مثل قوله:

ولا خيرَ في ودِّ امرئ متصنِّعٍ ** بما ليْس فيه ، والْوِدادُ صفاء[٦]

عتابُ الفتى في كلِّ يومٍ بليَّةٌ ** وتقويمُ أضغانِ النِّساء عناء[٧]

ففي البيتين جاء المصدر **(عناء)** في البيت الأول و**صفاء** في البيت الثاني خبرًا، والأصل في الخبر أنه وصف وكثر مجيئه وصفًا على نحو ما تقدم.

رابعا المفعول لأجله :

---

[١]) الديوان ١٥٨/٣ من البسيط

[٢]) الديوان ١٩/٣من الوافر

[٣])الديوان ٣٩/٣ من الطويل

[٤]) الديوان ١١٠/٣ من الكامل

[٥]) عند من قال بخبريتها

[٦]) الديوان ١٥٣/١من البسيط

[٧]) الديوان ١٥٣/١ من البسيط

فقد جاء المصدر على الأصل مفعولاً له في اثنين وأربعين موضعًا ، ولم يأت المفعول لأجله غير المصدر في الديوان مثل قوله:

له نِعَمٌ في الْقَوْمِ لا يستثيبُها ** جزَاءً وكيلُ التاجرِ الْمُدُّ بالمدِّ[١]

أتظهرُ رهبةً وتُسرُّ رغباً ** لقد عدَّبتني رغبًا ورهبًا[٢]

مقيمٌ يذب المشركين بسيفه ** حِفَاظاً وَقَدْ وَلَّى الْخَميسُ وَعَرَّدا[٣]

كأنَّ فُؤَادَهُ يَنْزَى حِذَاراً ** حذار البين لو نفع الحذار[٤]

ففي الأبيات جاء المفعول لأجله مصدرًا على الأصل مثل قوله: **جزَاءً، رهبةً، رغباً،حِفَاظا ، وحذارا** ، وفي البيت الثاني جاءت صيغتا رهبة ورغبًا في الشطر الأول مفعولاً له وفي الشطر الثاني حالاً.

خامسا المفعول المطلق:

أما المفعول المطلق فقد جاء في واحد وخمسين موضعا[٥] ومن أمثلته قوله:

أرْيَخِيٌّ إلى المحامد يهتزُّ ** اهْتِزَازَ الْمُهَنَّدِ الْمشْهُورِ[٦]

صَادِرَاتٍ ذَاتَ الْعِشَاءِ عَلَى الْجَفْرِ ** سراعاً لا بل بكرن بكورا[٧]

غَرِضاً إليكِ من الْهوى غرَض المريض إلى الطبيب[١]

---

[١]) الديوان ٣٧/٤ من الطويل

[٢])الديوان ١٩١/١من الوافر

[٣]) الديوان ٤٠/٣ من الطويل

[٤]) الديوان٢٤٨/٣ من الوافر

[٥]) ولم يلتفت البحث إلى النائب عن المفعول المطلق واكتفى بالمفعول المطلق الصريح ، لأن البحث يهتم بالصيغ العاملة فقط ، مثل قوله: اجهد الآنَ كلَّ جَهدِكَ فينا ** سترى ما يكونُ في شوَالِ انظر الديوان ١٥٦/٤

[٦]) الديوان ٢١٩/٣ من الخفيف

[٧]) الديوان ٢٣٣/٣ من الخفيف

سَقْياً وَرَعْياً عَلى مَا كَانَ منْ زَمَن ** لِذلِكَ الشَّخْص أَبْدَى الْبُخْلَ أَمْ جَادَا[٢]

وإذا سئلت أتيتها ** ضَرْبَ الأَمِيرِ طُلاَ الأَعَادِي[٣]

ففي الأبيات جاءت المصادر (**اهْتِزَاز – بكورًا – غرَض –سَقْيًا – ضَرْبَ**) مفعولا مطلقًا ، وإن كان البيت الأخير يجوز أن يكون المصدر مفعولاً مطلقًا لفعل محذوف أو حالاً – في نظر البحث–.ولم يأت المفعول المطلق غير مصدر إلا في بيت واحد فقط –حسب رأي البحث – حيث جاءت كلمة ألوان مفعولاً مطلقًا في قوله:

فَغنَّت الشَّرْبَ صَوْتاً مُؤْنِقاً رَمَلاً ** يُذْكِي السرور ويُبكي العَيْنَ أَلْوَانا[٤]

وهذا على رأي محقق الديوان فقد أعرب ألوانًا مفعولا مطلقًا ، ولعله مثل رأي ابن هشام في إعراب السموات مفعولاً مطلقًا.

سادسا الفاعل:

جاء الفاعل وصفًا في واحد وستين موضعًا في الديوان مثل قوله:

عجبت فطمةُ من نعتي لها ** هل يُجيدُ النعْتَ مكفُوفُ البَصَرْ[٥]

وغابت اليوم عنك حاضنتي ** فاللَّهُ لِي الْيَوْمَ مِنْكَ مُنْتَصِرُ[٦]

---

[١]) الديوان ١٩/٤ من مجزوء الكامل

[٢])الديوان ١٤٧/٣ من البسيط

[٣]) الديوان ١١٩/٣ من الكامل

[٤]) الديوان ١٩٧/٤ من البسيط التام

[٥]) الديوان ٦٨/٤ من الرمل

[٦])الديوان ١٧١/٣

فقد جاء الفاعل وصفا في الموضعين ، وهما على التوالي : وصف المفعول **(مكفوف)** ووصف الفاعل **(حاضنتي)** .

وجاء الفاعل مصدرًا في ثلاث عشرة مرة وهي **(جفاء[١] – نوح – التلاقي – اعتكار– انفرادي– التنائي– سعي –ذكره)**

مثل قوله:

تأتي المقيمَ – وما سعى – حاجاتهُ ** عَدَدَ الْحَصَى وَيَخِيبُ سَعْيُ الْخَائِبِ[٢]

وأسرةُ ثابتٍ وجموعُ كلبٍ ** سَرَى بِحمَامِهِمْ منَّا اعْتِكَارُ[٣]

مَنَعَ النَّوْمَ ذِكْرُهُ فَتَأَرَّقْ ** تُ لذكرى من شادنٍ مخضوبِ[٤]

وهنا جاء المصدر في وظيفة الفاعل في قوله **(سعي)** و**(اعتكار)** و**(ذكره)**.

سابعا: المفعول به:

وكذلك جاء المفعول به وصفا في اثنين وخمسين موضعا ومن امثلته في الديوان قوله:

سَترَى حَوْلَ سَريرِي ** حُسَّراً يَنْدُبْنَ لَطْما[٥]

إنْ كان سحراً دعوْت راقيةً ** أوْ كان سُقْماً فحسْبِيَ الْوَصَبُ[٦]

كثُر الْحميرُ وقدْ أرى في صُحْبتي ** منهنَّ أقمر منعجاً بالراكب[٧]

---

[١]) مع العلم بتكرار بعض المصادر في وظيفة الفاعل أكثر من مرة مثل كلمة جفاء ، انفرادي، ونوح

[٢]) الديوان ١٩١/١

[٣]) الديوان ١٥٥/٣

[٤])ديوان بشار ٢٩١/١من الخفيف

[٥]) الديوان ١٧٩/٤

[٦])الديوان ٢١٧/١

[٧]) الديوان٣٨٧/١

ففي الأبيات جاء وصف المبالغة **حسرًا** في البيت الأول ، ووصف الفاعل **راقية** في البيت الثاني في وظيفة المفعول به.و **أقمر منعجاً** مفعولى أرى، فالأول وصف التفضيل والثاني وصف الفاعل. أما المصدر فقد وقع في وظيفة المفعول به في ثمانية وعشرين موضعًا ومن أمثلته قول بشار:

فاترك مشاغبةَ الحبيبِ إذا أبى ** ليس المحبُّ على الحبيبِ بشاغبِ[١]

لا أستطيع احتمال الحب مهتجرا ** قد كنت أضعف منه غير مهتجر[٢]

قد تبت مما كرهت فاحتسبي ** غُفْرَانَ مَا جِئْتُ غَيْرَ مُعْتَمِدِ[٣]

يَخَوِّفُنِي مَوْتَ الْمُحبِّينَ صَاحِبي ** فَطُوبَى لَهُمْ سيقُوا إِلَى جَنَّة الخُلْد[٤]

ففي الأبيات المصادر(**مشاغبة – احتمال – غفران – موت**) في وظيفة المفعول به .

ثامنا التمييز:

أما التمييز فقد جاء جامدًا في بضع مواضع ولم يقع البحث عليه مشتقًا في الديوان وهذا مثاله:

يَا أَطيبَ النَّاسِ رِيقاً غير مُخْتَبِرٍ ** إلاَّ شهادة أطرافِ المساويكِ[٥]

وَيَرُوحُ أَطْوَلَهُمْ يَداً ** في فعلهم وعليك شاهد[٦]

فُضُولُ فَتًى أَسْخَى يَداً فِي سَبِيلِهَا ** ففاضت عباباً أو حواريَّ ينسج[١]

---

[١]) الديوان ١٩١/١

[٢]) الديوان ٢٤٣/٣

[٣])) الديوان ٧/٣

[٤])الديوان٣١٣/٣

[٥]) الديوان ١٢٣/٤

[٦])الديوان ٢٥٣/٢

وهنا تجد **ريقا ويدا** وقعا تمييزًا وهما على الأصل في التمييز أنه جامد.

ومما تقدم تجد أن الصيغ العاملة لعبت دورًا مهمًا في شكل الأبواب النحوية ، فقد ارتبط الوصف بأبواب مخصوصة ، واختص المصدر بأبواب أخرى، وجاءت أبواب أخرى لم يشترط فيها شرط الصيغة الصرفية ، وتقارضت هذه الصيغ الوظائف النحوية فيما بينها فجاء الوصف بدلا من المصدر ، وجاء المصدر بدلا من الوصف ، مما فتح الباب على مصراعيه للتعدد والتنوع بكل صوره أمام أرباب اللغة ، وكون مجالاً خصبًا للنحاة في التفنن والترف النحوي .

الخاتمة

١- كانت الصيغ الصرفية العاملة من وصف ومصدر شرطًا صرفيًا لبعض الأبواب النحوية. مثل النعت ، والحال ، والمفعول المطلق ، والمفعول لأجله.

٢- قد تتقارض الوظائف النحوية الشرط الصرفي فيما بينها ، فيأتي الحال مثلاً مصدرًا ويأتى المفعول لأجله، أو المفعول المطلق مشتقًا.

٣- كثر مجئ الحال وصفًا في الديوان ، كما جاء مصدرًا في عدد من المواضع ، وجاء جامدًا في مواضع أخرى.

٤- ولم يقف البحث على شواهد مجئ النعت مصدرا في الديوان.

٥- جاء المفعول المطلق غير مصدر في موضع واحد في الديوان على غير الأصل.

٦- لم يأت التمييز مشتقًا في الديوان على حسب علم البحث.

---

[١])الديوان ٢/٩٠

النبر فى اللغة الفارسية واللغة العربية من خلال أشعار الثورةالإيرانية١٩٧٩م، وأشعار الثورة المصرية٢٠١١م(دراسة تقابلية)

الباحثة: هند فتح الباب أحمد فتح الباب

مقدمة:

يتناول البحث أحد أهم الفونيمات التطريزية ألا وهو؛ النبر والذى لم يحظ بقدر كبير من الدراسة في اللغة الفارسية مقارنة بما تناوله علماء اللغة والصوتيات فى اللغة العربية، ويأتي هذا البحث في محورين:

المحور الأول :النبر فى اللغة الفارسية من خلال أشعار الثورة الإيرانية١٩٧٩م:

١- تعريف النبر.

٢- وظائف النبر.

٣- أنواع النبر.

٤- مواضع النبر:

- نبر الاسم.
- نبر الفعل.

المحور الثاني: النبر فى اللغة العربية من خلال أشعار الثورة المصرية٢٥يناير٢٠١١م:

١- تعريف النبر.

٢- وظائف النبر.

٣- أنواع النبر.

٤- مواضع النبر داخل الكلمة.

ثم الخاتمة ، وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته، وفهرس أهم المصادر والمراجع .

المحور الأول: النبر فى اللغة الفارسية من خلال أشعار الثورة الإيرانية ١٩٧٩م

لم يكن للنبر قدر واسع من الدراسة اللغوية لدى اللغة الفارسية ،فقد ظهر الاهتمام به مؤخرًا حينما تعرض له "المرحوم علي نقوزيربفى كتابه "آكسان تنيك" خلال العلامات الموسيقية ،وخلفه حسن فؤادى الذى كتب مقالة عن النبر فى اللغة الفارسية من حيث التناغم اللفظى ، ثم جاء الدكتور خانلرى لعرض النبر من الجانب الاصطلاحى ، ومن بعده منصور اختيار عرفة من الجانب الصوتى فى كتابه "فونتيك از تكيه".[١]

و"هناك اختلافات بين المقاطع والأخرى ...ولكن بعض المقاطع تتميز عن المقاطع الأخرى بالنبر.[٢] " ، فالنبر يعنى "إعطاء مقطع بين مقاطع متتابعة مزيدًا من الضغط أوالعلو".[٣]

متفقًا مع ذلك ؛تعريف الدكتور پرويزخانلربللنبر ،وهو:"عندما نتلفظ بكلمة أو بعبارة فإنّ كل مقاطعها لا تؤدى بدرجة واحدة من الوضوح والبيان ، بل يتضح مقطع أو عدة مقاطع أكثر من غيرها ، وتكون نتيجة ضغط النفس ؛ أى أن يخرج النفس بشدة أكبر فى أثناء نطق مقطع من عدة مقاطع متوالية".[٤]

ولم يختلف تعريف العالم اللغوى جليل ساغروانيان عن التعريفات السابقة ،فقد عرّف النبر قائلاً أنه:" وضوح لصوت فى كلمة ، أو فى مقطع معين عن بقية الأصوات ، أو المقاطع فى الكلام".[٥]

---

[١] فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى–توصيفى)، ص:١٠٨.

[٢] منابع: دانشكده ادبيات وعلوم انسانى–دانشگاهاصفهانى /١٣٥٤هـ.ش ،شماره ١٢،(بر رسيهاى جديد در مرد تكيه زبان فارسى).

[٣] دستور زبان فارسى معاصر ، ژيلبرلازار ، ترجمة : ماهستى بحرين، نشر:هرمس ، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.ش، تهران ،ص: ٤٨ .

[٤] أوزان الشعر الفارسى ، د/پرويز نايل خانلرى ، ترجمة:د/محمد نور الدين عبد المنعم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م ،ص:١٤٤ .

[٥] فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى–توصيفى)، ص:١٠٩ .

وظائف النبر[١]:

١- وظيفة التميز:

علماء اللغة الأمريكيين يروا أنه وفقًا لاختلاف النبر فى الكلمة الواحدة ، يختلف معه المعنى ويتغير ، وبالتالى يظهر دور النبر التمييزى هنا، وعادة يكون هذا هو الدور الرئيسى الذى يلعبه النبر .

٢- وظيفة التباين:

يقع النبر على جزء من الجملة ؛وهذا يؤدى إلى اختلاف معنى الجملة كاملاً .

٣- وظيفة التأثر:

ترتبط وظيفة التأثر للنبر بالتنغيم ، فيقع النبر على جزء من الجملة مثل الدور التباينى للنبر .

٤- وظيفة الثبات:

والفارسية ليست من تلك اللغات النبرية ،لأن النبر فيها متغير وليس ثابتًا .

٥- وظيفة نحوية:

للنبر دور نحوى فى اللغة الفارسية؛ حيث إن كل اسم يقع النبر عليه تتغير نغمته .

أنواع النبر[٢]:

١- النبر الرئيسى:

[١]فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص:١٠٩ :١١١

[٢]فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص:١١١ :١١٢.

إن النبر الرئيسى أقوى الأنواع ، ويرمز له الصوتيون بخط قصير مائل (') يوضع فوق نواة المقطع ، أو الصوت الصامت الذى يسبق نواة المقطع المنبور ، وهو مماثل لشكل الفتحة العربية كما فى المثال التالى:

	الجملة	الكتابة الصوتية	الترجمة
قبل إضافة علامة النبر	من كار دارم	man kârdâram	أنا الذى أرى
بعد إضافة علامة النبر	من 'كار دارم	man'kârdâram	أنا الذى أرى

ووقع النبر على كلمة (كار) هنا لأنها منطوقة بارتكاز أكبر ، وتغيرت درجة تردد الذبذبات الصوتية ، لتصبح واضحة أكثر للسامع .

٢- النبر الثانوى :

وهو أضعف من النبر الرئيسى ...ويرمز له الصوتيون بالرمز(̀) ، وهذا النوع يظهر فى اللغة الانجليزية كثيرًا عن أى لغة أخرى .

٣- النبر الثالث(الضعيف):

النبر الثالث هو أضعف أنواع النبر ، ولم يحدد له رمز صوتى كالنوعين السابقين.

٤- وهناك نوع رابع يطلق عليه **النبر التأكيدى**[١] :

وهو يظهر داخل سلسلة صوتية معينة ،مع ازدياد ضغط النفس ، وحدوث تغيير فى ذبذبات الصوائت ، ورمز لها الصوتيون بخطان مائلان قصيران(")

[١]فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص:١١١.

،ويوضع هذا الرمز فوق نواة المقطع ، أو الصوت الصامت الذى يسبق نواة المقطع المنبور ،كما فى المثال :

	الجملة	الكتابة الصوتية	الترجمة
قبل إضافة علامة النبر	می رفتم	mi-raftam	ذهبْتُ
بعد إضافة علامة النبر	"می رفتم	"mi-raftam	ذهبْتُ

فهى تتكون من ثلاثة مقاطع صوتية :الأول مقطع قصير مفتوح والثانى والثالث مقطعين متوسطين مغلقين ، ووقع النبر على المقطع الأول .

خصائص النبر[١] :

١- شدة النبر:

النبر هو ازدياد شدة الصوت ، وارتفاع نغمته ، وامتداد مدته ؛مما يؤدى إلى وضوح نسبى لصوت أو لمقطع من دون غيره من الأصوات أو المقاطع المجاورة ، أى يخرج النفس بشدة أكبر فى أثناء نطق مقطع من عدة مقاطع متوالية ، إذ إن العامل الأصلى فى هذا الموضع هو النفس فإن اصطلاح نبرة النفس مستخدم أيضًا.

٢- ذبذبات النبر:

يهتم هذا النبر بتغير الذبذبات للكلمة الواحدة، وله دور مهم فى النبر الفارسي، فنتيجة التغيرات الذبذبية التى طرأت على الكلمة يحدث ارتفاع لأحد مقاطع

[١]فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص:١١٣.

الكلمة من دون غيرها، وتكون النبرة نتيجة ارتفاع الصوت، أى أن ينخفض الصوت أكثر عند نطق أحد المقاطع، ويسمى هذا النوع بنبر الارتفاع أيضًا .

٣- ضغط النبر:

يعتمد هذا النبر على ضغط الهواء، بحيث يختلف مكان النبر داخل الكلمة باختلاف ضغط الهواء، وهذا متضح في اللغة الانجليزية، والتى تعتمد بشكل أكبر على ضغط الهواء أثناء نطق الكلمات .

٤- وصف النبر:

فالنبر يعمل على تأكيد معنى الكلمة ومدى المبالغة فيها ، فالنبر يعتمد على مدى قوة الامتداد والارتفاع للكلمة ، وعواملها فى المقام الأول .

مواضع النبر:

يقع النبر على وحدة صوتية داخل الكلمة الواحدة ، كما يمكن أن يقع النبر على كلمة واحدة داخل جملة مكونة من وحدات صوتية مختلفة ، و"النبر لا يقع على الصوت الصامت أبدًا ؛فهو مقتصر على الصوت الصائت فقط ، أى أن النبر يقع على نواة المقطع ، والتى تتكون من صائت واحد [١]."

النبر داخل الكلمة:

ويعد كتاب "صرف ونحو"الذى نُشر عام ١٨٥٢م باللغة الفرنسية ، للعالم اللغوى "الكساندر خوتشكو*[٢]*" أول كتاب يشمل الحديث عن النبر فى اللغة الفارسية محددًا أنواعه ،ويرى أن "النبر لا يخص الفعل فقط ،بل يخص أيضًا الأسماء

[١]فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى–توصيفى)، ص: ١٠٩.

[٢] الكساندر خوتشكو: وفى مواضع أخرى قيل اسمه بطريقة أخرى (الكساندر شودزكو) وهو عالم آثار بولندى ،له اكتشافات كثيرة فى منطقة جيلان شمال غرب ايران ، وهو أول عالم لغوى مستشرق تحدث عن النبر فى اللغة الفارسية .

البسيطة ،المشتقة ، المركبة ، والصفات ، المصادر ،والأسماء المضاف لها لواحق كلها منبورة[١]."

أولاً: نبر الاسم:

يقع النبر فى اللغة الفارسية على المقطع الأخير للأسماء البسيطة ،والمشتقة ، والمركبة ، والصفات البسيطة ، والمشتقة ، والمركبة، والمصادر ، والأسماء التى أُضيف إليها لاحقة الجمع ، سواء أكانت الكلمات طويلة أم قصيرة [٢]."، ويتبين ذلك من خلال الوصف التطبيقى للكلمات الفارسية داخل أشعار الثورة الإيرانية ١٩٧٩م.

١- الأسماء البسيطة:

يقع فيها النبر على المقطع الأخير مثال ذلك:

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
بدون علامة النبر	زندان [٣]	zendân	ص ح ص/ص ح ح ص	السجن
بإضافة علامة النبر	زند'ان	zen'dân		

[١]شناختنوای‌گفتار زبان فارسوکاربرد آن در بازسازی وباز شناسرایانهای‌گفتار ، پایان نامه اتدکتری ،گروه زبان شناسی ،اسلامی محرم ، دانشگاه تهران ،١٣٧٩ هـ.ش ، ٣٠٤ .

[٢]پژوهشهای زبان وادبیات تطبیقی ، مقاله تکیه در واژهادروسوفارسی وتداخل آن ها از منظر زبان آموزانفارسی زبان ، محمد رصا محمدبوهمکار ، دوره١ ،شماره٣، ١٣٨٩هـ. ش،ص:١٥٥.

[٣] (با هر نفسی مژدهدیدار تو مىآورد
در مدرسه ، در بازار،
در مسجد ، در میدان
در زندان ، در زنجیر .)
الترجمة: حضرت بُشری رؤیاکمع کل نفس
فی المدرسة ، فی السوق
فی الجامع ، فی المیدان
فی السجن ، فی القید .
شعر: آزادی ، هوشنك ابتهاج ، شعر نو از آغاز تا امروز ، ٦٤٣ .

فكلمة(زندان) تتكون من مقطعين هما:(cvc– cvvc) الأول مقطع طويل مغلق ، والثانى مقطع طويل مغلق ولأن الكلمة عبارة عن اسم بسيط لذلك يقع النبر على المقطع الأخير ، كما هو موضح فى الجدول السابق

ملحوظة : (ان) الواقعة فى نهاية الاسم (زندان)أصلية داخل بنية الكلمة وليست لاحقة للجمع .

٢-الأسماء المشتقة:(صفة + لاحقة التفضيل):

تتكون صيغة التفضيل بإضافة اللاحقة التفضيل (تر) إلى الصفة ،وتتكون صيغة التفضيل المطلق من الصفة+ اللاحقة (ترين)[١]."والتى يمكن أن تأتى مخففة أحيانًا كأن تأتى (ترى) فقط ، ويقع النبر فيها على المقطع الأخير ؛كالآتى:

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الصفة بدون لاحقة التفضيل	به	'bah	ص ح ص	حسن
بدون علامة النبر	بهترين [٢]	bahtarin	ص ح ص/ص ح /ص ح ح ص	الأحسن/ الأفضل
بإضافة علامة النبر	بهتَرين	bahta'rin		

[١]فرهنگ زبان فارسى واعد ، الدكتور/عبد الوهاب علوب ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان - ١٩٩٦،ط١ ،ص:١٢-١٣ .

[٢](اين جاودانصداى صداها
اين بهترين سروش .)
الترجمة: هذا صوت الأصوات الأصوات الخالدة
هذا أفضل ملاك .
شعر: باران انقلاب ، طه حجازى ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٧٥ .

فكلمة(بهترين) تتكون من ثلاثة مقاطع هى:(cvc– cv–cvvc) الأول: مقطع متوسط مغلق والثانى:مقطع قصير، والثالث:مقطع طويل مغلق ، ولأن الكلمة عبارة عن صفة +لاحقة التفضيل –ليست مخففة– فهى أصلها (به= حسن)وأضيفت لها لاحقة التفضيل المطلقة (ترين) فأصبحت(بهترين بمعنى الأحسن /الأفضل)؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير بعد أن كان واقعًا على الصفة نفسها ، كما هو موضح فى الجدول السابق.

٣–الاسم +لاحقة الجمع (ان/ها):

"أداة الجمع فى الفارسية هى اللاحقة (ها)منبورة تضاف إلى الاسم المفرد ، و إذا دل على ذى روح يجمع بإضافة (ان)[١]."، ويظهر ذلك من خلال الأمثلة الآتية داخل أشعار الثورة الإيرانية:

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الاسم مفردًا	تبهكار	tabah'kâr	ص ح/ص ح ص/ص ح ص	مجرم
بدون علامة النبر	تبهكاران[٢]	tabahkârân	ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص	مجرمين
بإضافة علامة النبر	تبهكا'ران	tabahkâ'rân		

[١]فرهنگ زبان فارسى واعد ، الدكتور/عبد الوهاب علوب ،ص:٤-٥ .
[٢] (بخت تبهكاران شد واژگون از ما .)
الترجمة: حظ/نصيب المجرمين انقلب بفضلنا
شعر: بانـگـآزادى ، حميد سبزاوى ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٩٩ .

كلمة(تبهكاران) مكونة من أربعة مقاطع هى: (cv–cvc–cvv–cvvc) الأول:مقطع قصير ،والثانى: مقطع قصير مغلق،والثالث:مقطع متوسط مفتوح، والمقطع الرابع: طويل مغلق ، ولأن الكلمة عبارة عن اسم (تبهكار=مجرم)+لاحقة الجمع (ان) لتصبح (تبهكاران=مجرمين) ؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير وهو (ران) بعد أن كان واقعًا على المقطع الأخير من الاسم نفسه(كار) قبل إضافة لاحقة الجمع ، كما هو موضح فى الجدول السابق .

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الاسم مفردًا	تفنگ	to'fanḵ	ص ح/ص ح ص ص	بندقية
بدون علامة النبر	تفنگها[1]	tofanḵhâ	ص ح/ص ح ص ص /ص ح ح	بنادق
بإضافة علامة النبر	تفنگها	tofanḵ'hâ		

كلمة(تفنگها) مكونة من أربعة مقاطع هى: (cv–cvc–cv–cvv) الأول:مقطع قصير ،والثانى: مقطع متوسط مغلق ،والثالث:مقطع قصير، والمقطع الرابع: متوسط مفتوح ، ولأن الكلمة عبارة عن اسم (تفنگ=بندقية)+لاحقة الجمع (ها) لتصبح (تفنگها=بنادق) ؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير وهو (ها) بعد أن

[1] (شبى كه پايانش ،طلوع ديـگر داشت
تفنـگها در دست ،جنازه ها بردار .)
الترجمة: ليلة كان لنهايتها بداية أخرى
فالبنادق فىالأيادى والنعوش محمولات .
شعر : شب انقلاب ، بهمن صالحى ، شعر امروز – دفتر غزل - ، ساعد نيكومحمدى رضا ومحمد باقرى ، ٨٢ .

كان واقعًا على المقطع الأخير من الاسم نفسه(فانگ) قبل إضافة لاحقة الجمع ، كما هو موضح فى الجدول السابق .

٤- الاسم + علامة النداء:

إذا لحق الاسم أداة نداء (الف آخر) ،فإن النبر يقع على المقطع الأخير[١] ، كما فى المثال:

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الاسم مفردًا	مادر [٢]	mâ'der	ص ح ح/ص ح ص	أم
بدون علامة النبر	مادرا	mâderâ	ص ح ح/ص ح/ص ح ح	ياأماه
بإضافة علامة النبر	مادٌرا	mâde'râ		

٥- العدد +اللاحقة النسبية للعدد:

يقع النبر على المقطع الأخير من العدد ،غير أنه عندما تضاف لاحقة النسبة العددية (ـُم) أو (ـُمين) سيقع النبر على اللاحقة العددية كمقطع أخير للكلمة

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
العدد مفردًا	'دو [٣]	'du	ص ح ص	اثنين

[١]تكيه در زبان فارسى ،غلامعلى امير نورى -گوينه راديو ، منابع/ راديو ١٣٨٢هـ.ش ، شماره ١٧ ،سال سوم، شماره هفدهم ،ص:٣١.

[٢] (بايدگلوى مادر خود را
او بانگ رود رودبسوزانيم.)
الترجمة: لابد أن صياح ابن عزيز من حلق أمه أحرقنا .
شعر: شعرى برابجنگ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٢٩ .

[٣] (به سوى دشمنديرينه
دو باره حمله مىآغازيم)
الترجمة: نستهل الهجوم ثانية ،فى اتجاه خصم جديد .
شعر: در چار راه شهادت ، طاهره صفار زاده ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٦٧ .

بإضافة لاحقة العدد النسبية	دوم	dum	ص ح ص/ص ح ص	الثانى
بإضافة النبر	'دوم	'dum		

العدد(دو) مكونة من مقطع واحد: (cvv) هو :مقطع متوسط مفتوح ، ووقع النبر على العدد ،وإذا أضيفت لها لاحقة النسبة العددية تظل مقطعًا واحدًا ،ويبقى موضع النبر مكانه كما هو موضح فى الجدول السابق .

٦- السابقة الإيجابية (bâ+الصفة):

	الكلمة	**الكتابة الصوتية**	**الكتابة المقطعية**	**الترجمة**
الصفة	ما'خصم	mâ'ħeṣm	ص ح ح/ص ح ص ص	خصمنا
بإضافة السابقة الإيجابية	با ما خصم	bâmâħeṣm	ص ح ح/ص ح ح/ص ح ص ص	خصمنا
بإضافة النبر	باما'خصم[١]	bâmâ'ħeṣm		

كلمة(ماخصم) مكونة من مقطعين هما: (cvv–cvcc) الأول:مقطع متوسط مفتوح ، والثانى: مقطع طويل مزدوج الإغلاق ، ولأن الكلمة عبارة عن صفة (خصم=عدو) فيقع النبر على المقطع الأخير ، وأُضيفت له السابقة الإيجابية (با) ؛ويظل النبر على المقطع الأخير، كما هو موضح فى الجدول السابق .

٧- السابقة المنفية (الصفة + نـ/بى):

[١] (رو سپیدی باد مارا اندرین میدان " حمید"
زان سیهکاری که باما خصم دون داردهمی .)
الترجمة: فعار علينا يا "حميد" ما يفعله ذلك الخصم فينا
من سوء، فى هذا الميدان .
شعر: جنـگ أز مون ، حميد سبزاوى ، ديوان «كاروانسپيده» ،٣٢.

يقع النبر فى الصفات على المقطع الأخير للكلمة ، وإذا أُضيفت إليها السوابق المنفية يتغير التركيب المقطعى للكلمة ،بينما يظل النبر على ذات المقطع الأخير لها؛كما هو موضح فى الأمثلة الآتية من خلال أشعار الثورة الإيرانية:

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الصفة	'ياز	'yâz	ص ح ح ص	عزيمة
بإضافة السابقة المنفية	نياز [1]	nayâz	ص ح / ص ح ح ص	بلا عزيمة
بإضافة النبر	نـ'ياز	na'yâz		

كلمة(ياز) مكونة من مقطع واحد هو: (cvvc) الأول: مقطع طويل مغلق ، ولأن الكلمة عبارة عن صفة (ياز=عزيمة) فيقع النبر على المقطع الأخير ، وأُضيفت لها السابقة المنفية (نـَ)،ويتغير التركيب المقطعى للكلمة إلى مقطعين هما: (cv– cvvc) ؛ويظل النبر على المقطع الأخير، كما هو موضح فى الجدول السابق .

٨- الأسماء المركبة:

هناك أسماء بسيطة، ويقع فيها النبر على المقطع الأخير -كما هو موضح سابقًا بالأمثلة- كما يمكن أن تتكون كلمة من هذه الأسماء البسيطة لتصير اسمًا مركبًا ،وفى هذه الحالة يقع النبر على المقطع الأخير من الاسم البسيط الثانى باعتبارهما كلمة واحدة الآن ،والأمثلة الآتية توضح ذلك من خلال أشعار الثورة الإيرانية:

---

[1] (دلها اجازه داسته باشند
هرجا نياز داشته باشند
بشكنند .)
الترجمة:قد امتلكوا القلوب
ولكنهم ينكسرون حينما لا يمتلكون العزيمة .
شعر: روزنا گزير ، قيصر امين بور ، گزينه اشعار ،٦٤.

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الاسم البسيط الأول	شها'دت	ŝahâ'dat	ص ح/ص ح ح/ص ح ص	الشهادة
الاسم البسيط الثانى	خا'نه	ħâ'nah	ص ح ح/ص ح ص	بيت
الاسم المركب بإضافة النبر	شهادتخا'نه[١]	ŝahâdatħâ'nah	ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ ص ح ص	صحيفة

كلمة (شهادت=الشهادة)اسم بسيط وقع عليه النبر على المقطع الأخير ولأنها تتكون من ثلاثة مقاطع فقد وقع النبر على المقطع الثالث، وكلمة(خانه=بيت) اسم بسيط أيضًا وقع النبر على المقطع الأخير فيه(المقطع الثانى) ، وحينما تجمع الاسمان البسيطان داخل كلمة واحدة لتصير اسمًا مركبًا هو (شهادت خانه=بيت الشهادة) وقع فيه النبر على المقطع الأخير فقط مرة واحدة .

٩- الصفة البسيطة:

يقع النبر فى الصفات البسيطة على المقطع الأخير كما فى الأمثلة الآتية:

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
بدون علامة النبر	روشن[٢]	ruŝan	ص ح ح/ص ح	مضىء

[١](عيد را گو باز گرد از كوچههاشهرما
كاينشهادتخانههردمعيدخونداردهمى.)
الترجمة: فقل للعيد يعود من بين أزقة مدينتنا ،
فبيت الشهادة هذا يدمى فى أعقاب كل عيد .
شعر: جنـگ أز مون ، حميد سبزاوى ، ديوان «كاروانسپيده» ،٣١.
[٢] (چيانكه خون زمان در رگ زمين جارى است
هميشه نام تو روشن به ذهن دوران است.)
الترجمة: وكما أن دم الزمان يجرى فى عروق الأرض
يبقى اسمك مضىء دائمًا فى ذهن الزمان .

			ص	
بإضافة علامة النبر	رو'شن	ru'ŝan		

فكلمة(روشن) تتكون من مقطعين هما:(cvv– cvc) الأول متوسط مفتوح والثانى متوسط مغلق ، ولأن الكلمة عبارة عن صفة بسيطة؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير كما هو موضح فى الجدول السابق .

١٠- الصفة المشتقة:

ويقع فيها النبر على المقطع الأخير ، كما فى الأمثلة الآتية:

	الكلمة	**الكتابة الصوتية**	**الكتابة المقطعية**	**الترجمة**
بدون علامة النبر	ويرانـگر[١]	wirânk̲ar	ص ح ح/ص ح ح ص/ص ح ص	مدمرة
بإضافة علامة النبر	ويران'گر	wirân'k̲ar		
مشتقة من المصدر	ويران كردن	wirânkardan	ص ح ح/ص ح ح ص/ص ح ص/ص ح ص	خراب/تدمير

فكلمة(ويرانـگر= مدمرة) تتكون من ثلاثة مقاطع هى :(cvv– cvvc–cvc) الأول:مقطع متوسط مفتوح ، والثانى: طويل مغلق ،والمقطع الثالث: متوسط

شعر: صداى خون تو ، نصر الله مردانى ، ديوان " قيام نور " ، شعر امروز– دفتر غزل - ، ساعد نيكومحمدى رضا ومحمد باقرى ، ٩١.

[١](بر سر ويرانه هانجنـگـويرانـگر،غراب.)
الترجمة: وذاك هو غراب فوق أنقاض الحرب المدمرة .
شعر: جنـگ أز مون ، حميد سبزاوى ، ديوان «كاروانسپيده» ،٣١.

مغلق، ولأن الكلمة عبارة عن صفة مشتقة من المصدر (ويرانـگر=خراب/تدمير)؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير كما هو موضح فى الجدول السابق .

١١- الصفة المركبة:

والتى تتكون من كلمتين فى الأساس هما منفصلين ، ويقع فيها النبر على المقطع الأخير ، والأمثلة الآتية توضح ذلك:

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الكلمة الأولى	'سيه	se'yâh	ص ح/ص ح ح ص	أسود
الكلمة الثانية	كا'رى	kâ'ri	ص ح ح/ص ح ح	أمر/عمل/صنعة
الصفة المركبة بإضافة النبر	سيهكا'رى[١]	seyâhkâ'ri	ص ح ص/ ص ح ح ص	سيء

كلمة (سيه=أسود)اسم بسيط وقع عليه النبر على المقطع الأخير (المقطع الثانى)*[٢]*، وكلمة(كارى=أمر) ووقع النبر فيها على المقطع الأخير(الثانى) ، وحينما تجمع الاسمان البسيطان داخل كلمة واحدة لتصير صفة مركبة هى (سيهكارى=سيء) ووقع فيه النبر على المقطع الأخير فقط مرة واحدة .

---

[١](رو سـپيدى باد مارا اندرين ميدان "حميد"
زان سيهكارى كه با ما خصم دون داردهمى.)
الترجمة: فعار علينا يا"حميد" ما يفعله ذلك الخصم فينا
من سوء ، فى هذا الميدان .
شعر: جنـگ أز مون ، حميد سبزاوى ، ديوان «كاروانسـپيده» ،٣٢.

[٢] كلمة سيه أصلها كتابةً (سياه) وحذفت الألف تخفيفًا للتسهيل ؛ومع ذلك فإن الألف منطوقة ، لذلك فإن الكتابة الصوتية لاتختلف مع حدوث التخفيف للألف ، وبالتالىفهى مكونة من مقطعين وليس واحدًا فقط ،وبالتالى فإن النبر يقع على المقطع الثانى .

١٢- المصدر:

يقع النبر فى المصادر على المقطع الأخير ، كما فى الأمثلة الأتية:

	الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
المصدر	شكستن [١]	ŝakastan	ص ح/ص ح ص/ص ح ص	تحطم
المصدر بإضافة النبر	شكسـتن	ŝakas'tan		

المصدر (شكسـتن =تحطم) مكون من ثلاثة مقاطع-cv-cvc) (cvcهم:الأول:مقطع قصير والثانى : مقطع متوسط مغلق ، والثالث أيضًا متوسط مغلق، ووقع عليه النبر على المقطع الأخير(الثالث) .

ثانيًا: نبر الفعل:

تقع النبرة (التركيز الصوتى) فى الأزمنة على المقطع الأخير من المصدر المرخم ؛ما عدا فى حالة زمن المستقبل[٢].

***الفعل الماضى:**

[١] (شب شهادت بود شب مسلسلها
شروع پيروزى ، نهايتپيكار
شكستن آهن ،گستن زنجير .)
الترجمة: فقد كانت ليلة الشهادة ، ليلة الرشاشات
بداية النصر ، ونهاية المعركة
وتحطم الحديد ، وتفكك السلاسل .
شعر : شب انقلاب ، بهمن صالحى ، شعر امروز – دفتر غزل - ، ساعد نيكومحمدى رضا ومحمد باقرى ، ٨٠ .

[٢]فرهنگ زبان فارسى واعد (فارسى- عربى) ،دكتور:عبد الوهاب علوب ،ص:٢١.

١) ففى صيغة الفعل الماضى البسيط(المطلق) يكون فيها النبر على ما قبل الآخر*[١]* ومع ذلك يخرج عن هذه القاعدة بعض الشواذ ،وتتضح القاعدة وشواذها فى الأمثلة الآتية من خلال كلمات أشعار الثورة الإيرانية:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الماضى المطلق	المصدر المرخم+نهايات الأفعال(م،ى،-يم،يد،ند)	جستيم[٢]	جس'تيم	gos'tim	ص ح ص/ص ح ح ص	بحثنا

المصدر (جستن=أن يبحث)تم تصريفه فى زمن الماضى المطلق مع الضمير نحن(ما) ليصير شكله(جستيم)مكونًا من مقطعين(cvc–cvvc) هما:مقطع متوسط مغلق ،والثانى:مقطع طويل مغلق ،ووقع النبر على المقطع قبل الأخير أى المقطع الأول .

- **فى حالة تصريف الماضى البسيط(المطلق)مع المفرد الغائب:**

---

[١] تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.

[٢] (در كوچه تو را جستيم
بربام تو را خوانديم
آزادى!
آزادى!
آزادى! .)
الترجمة: فى حارتك بحثنا
على سطحك نادينا
الحرية!
الحرية!
الحرية! .
شعر: آزادى ، هوشنك ابتهاج ، شعر نو از آغاز تا امروز ، ٦٤٥.

يقع النبر فى الفعل المصرف فى زمن الماضى المطلق مع المفرد الغائب(او) فى نهاية الفعل[١]؛مثل:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الماضى المطلق	المصدر المرخم+نهايات الأفعال(م،ى،-يم،يد،ند)	باريد[٢]	با'رید	bâ'rid	ص ح ح/ص ح ح ص	أمطرَ

المصدر (باريدن=أن يمطر) تم تصريفه فى زمن الماضى المطلق مع الضمير نحن(او) ليصير شكله(باريد) مكونًا من مقطعين هما (cvv-cvvc):الأول:مقطع متوسط مفتوح ، والثانى:مقطع طويل مغلق ، ووقع النبر على المقطع الأخير .

٢) فى صيغة الفعل الماضىالاستمرارى يكون فيها النبر على السابقة (مى)

**[٣]*مثل:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الماضى الاستمرارى	السابقة(مى)+المصدر المرخم+نهايات	مى داشت [٤]	'مى داشت	meidâŝt	ص ح ح/ص ح ح ص	كانت تملك

[١] تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.
[٢](باران انقلاب كه باريد
سيل عظيم مردم .)
الترجمة: مطر الثورة الذى أمطرَ
فيضان عظيم من الشعب.
شعر: باران انقلاب ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ،٧٥ .
[٣] تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.
[٤](اما اگر ستاره زبان مى داشت
چه شعرها كه از بدشبمىگفت

	الأفعال(م،ی،- ،یم،ید،ند)					

المصدر (داشتن=أن يملك) تم تصريفه فى زمن الماضىالاستمرارى مع الضمير (او) ليصير شكله(می داشت) مكونًا من مقطعين هما(cvv–cvvcc) هى:الأول:مقطع متوسط مفتوح ،والثانى:مقطع مديد مزدوج الإغلاق ، ووقع النبر على المقطع الأول .

٣- فى صيغة الفعل الماضىالنقلى يكون فيها النبر على آخر جزء أصلى فى الفعل(أى على اسم المفعول)[١] ، مثل:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الماضى النقلى	اسم المفعول من المصدر المرخم+الرابطة (ا)+ النهايات (م،ی،ست،یم،ید،ند)	استاده است [٢]	استا'ده است	›estâ'de›ast	ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ص ص	وقف

گو باتر از زبان من گنگ .)
الترجمة: لكن؛لو كانت النجوم تملك لسانًا
لكانت قد قالت شعرًا كثيرًا من شر الليل
فلسانى عاجزًا عن القول .
شعر: شعرى براىچنگ ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ،١٩ .
[١] تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.
[٢](اينجا
ديوارهم
ديكرپناهپشت كسى نيست
كاينگورديگرى است كه استاده است
در انتظار شب .)
الترجمة: هاهنا
جدارى
حتى مأمن ظهرى اختفى
كأن تكون واقفًا فى قبرٍ منتظرًا الليل .
شعر: شعرى براىچنگ ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ،١٧ .

المصدر (استادن=أن يقف) تم تصريفه فى زمن الماضىالنقلى مع الضمير (او) ليصير شكله(استاده است) مكونًا من أربعة مقاطع (cvc–cvv–cv–cvcc) هى:الأول:مقطع متوسط مغلق ، والثانى:مقطع متوسط مفتوح ، والثالث: مقطع قصير ،والرابع:مقطع طويل مزدوج الإغلاق ، ووقع النبر فيه على المقطع الرابع أى المقطع الأخير من الفعل الأصلى .

٣) فى صيغة الفعل الماضى البعيد يكون فيها النبر على آخر جزء أصلى فى الفعل(أى على اسم المفعول)[١] ، مثل:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الماضى البعيد	اسم المفعول من المصدر المرخم+الماضى البسيط من الفعل(بودن)+ النهايات (م،ى،–، يم، يد، ند)	برده بود [٢]	بر'ده بود	bar'de bud	ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص	كانت قد ضاعت

المصدر (بردن=أن يقف) تم تصريفه فى زمن الماضى البعيد مع الضمير (او) ليصير شكله(برده بود) مكونًا من ثلاثة مقاطع (cvc–cv–cvvc) هى:الأول:مقطع متوسط مغلق ، والثانى:مقطع قصير ، والثالث: مقطع طويل مغلق ،ووقع النبر فيه على المقطع الثانىأى المقطع الأخير من الفعل الأصلى .

---

[١] تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.

[٢] (اين زن كه بود
كه بانـگ" خوانـگربو"محلى را
از باد برده بود؟.)
الترجمة: من هذه المرأة التى تصيح
"خوانـگربو" منطقتى قد ضاعت من ذاكرتى؟.
شعر: اين سبزسرخ كيست ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٣٩ .

٤) فى صيغة الفعل الماضىالشكى يكون فيها النبر على آخر جزء أصلى فى الفعل(أى على اسم المفعول)[١] ، مثل:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الماضىالشكى	اسم المفعول من المصدر المرخم+باش+ النهايات (م،ى،–، يم، يد، ند)	داشته باشند [٢]	داشتهباشند	dâštebâšnad	ص ح ح ص/ص ح/ص ح ح ص/ص ح ص	قد يكونوا ملكوا

المصدر (داشتن=أن يملك) تم تصريفه فى زمن الماضىالشكى مع الضمير (ايشان)، ليصير شكله(داشته باشند) مكونًا من أربعة مقاطع (–cvvc–cv cvvc–cvc) هى:الأول:مقطع طويل مغلق ،والثانى: مقطع قصير ، والثالث: مقطع طويل مغلق ،والمقطع الرابع:متوسط مغلق ،ووقع النبر فيه على المقطع الثانىأى المقطع الأخير من الفعل الأصلى .

***الفعل المضارع:**

١) المضارع الالتزامى(الشكى):

١) ويقع فيه النبر على آخر الكلمة[٣] ، مثل:

---

[١] تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.

[٢] (آن روز ناگزير كه مىآيد
روزى كه عابران خميده
يـک لحظه وقت داشته باشند
تا سر بلندباشند
وآفتاب را.)
الترجمة:ويجىء ذلك اليوم الإجبارى
اليوم الذى كان سخرية المشاة
فقد يكونوا امتلكوا لحظة،طالما اعتلوا القمة والشمس.
شعر: روزنا گزير ، قيصر امين بور ، گزينه اشعار ،٥٩.

[٣] تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
المضارع الالتزامى	باء الزينة+ المادة الأصلية من المصدر+ النهايات (م،ى،د، يم، يد، ند)	خيزد [١]	خيـزد	ħi'zad	ص ح ح/ص ح ص	ينهض

المصدر (خاستن=أن ينهض) تم تصريفه فى زمن المضارع الالتزامى مع الضمير (او)، ليصير شكله(خيزد) مكونًا من مقطعين (cvv–cvc) هى:الأول:مقطع متوسط مفتوح ،والثانى: مقطع متوسط مغلق ، ووقع النبر فيه على المقطع الثانىأى المقطع الأخير من الفعل

٢) المضارع المستمر:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
المضارع الاستمرارى	مى+المادة الأصلية من المصدر+ النهايات	مىبينى [٢]	'مىبينى	'meibini	ص ح ح/ص ح ح/ص ح ح	ترى

المصدر (ديدن=أن يرى) تم تصريفه فى زمن المضارع الاستمرارى مع الضمير (تو) إليه، ليصير شكله(مىبينى) مكونًا من ثلاثة مقاطع (cvv–cvv–cvv)

[١] (بارى دگرزخشمبپاخيزد .)
الترجمة: الحكاية باختصار ، ينهض حارس الغضب مرة أخرى .
شعر: باران انقلاب ، طه حجازى ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٨٧ .
[٢] (وسوگوارى ما را مىبينى.
عظيم ترين)
الترجمة: ونريك عزاءنا الأعظم
شعر: در چار راه شهادت ، طاهره صفار زاده ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٦٣ .

كلها:مقطع متوسط مفتوح ، ، ووقع النبر فيه على المقطع الأول على السابقة الاستمرارية(مى) .

***فعل الأمر :**

يقع النبر فى آخر الكلمة إذا لم يسبقه الباء المؤكدة ،أما إذا جاءت قبل الفعل فيقع عليها النبر *[1]* ، مثل:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
الأمر	المادة الأصلية من المصدر فقط مع(تو) أما إذا جاء مع (شما) فيضاف للمادةالأصلية النهاية (يد)	باور كنيد [2]	'باور كنيد	'bâvar konid	ص ح ح /ص ح ص/ص ح ص ح ح /ص	صدقونى

المصدر (كردن=أن يعمل) تم تصريفه فى صيغة فعل الأمر مع الضمير (شما) إليه ، ليصير شكله(باور كنيد) مكونًا من أربعة مقاطع (cvv–cvc–cv–cvvc) هى:مقطع متوسط مفتوح، والثانى: مقطع قصير، والثالث: مقطع قصير، والرابع: مقطع طويل مغلق، ووقع النبر فيه على المقطع الأخير .

***النفى والنهى فى الأفعال:**

---

[1] تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.

[2] (باوركنيد

من بادوچشم مات خودم ديدم

كه كودكنزترس خطر تندمىمى دويد .)

الترجمة: صدقونى

لقد رأيت نفسى بعيونى ميتًا

كطفل يجرى خائفًا من الخطر

لكنه لا يملك رأسًا .

شعر : شعرى برابجنـگ ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٢٥ .

إذا أُضيفت للأفعال سابقة النهى/ma/ أو سابقة النفى/na/ يقع عليها النبر*[١]* ،فهى حروف قوية لذلك يقع عليها*[٢]* ، مثل:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
ماضى منفى	سابقة النفى+فعلماضى	نداشت [٣]	'نداشت	'nadâŝt	ص ح/ص ح ح ص ص	كان لايملك

المصدر (داشتن=أن يملك) تم تصريفه فى صيغة فعل ماضى مع سابقة النفى (نَ) إليه ، ، ليصير شكله(نداشت) مكونًا من مقطعين (cv–cvvcc) هما: مقطع قصير، والثانى :مقطع مديد مزدوج الإغلاق، ووقع النبر فيه على المقطع الأول على سابقة النفى .

***السابقة(نَ للنفى)+السابقة(مى الاستمرارية):**

إذا اجتمعت السابقة/mi/ و /na/ فى فعل واحد ، يقع النبر على المقطع الأول*[٤]*، مثل:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
ماضىاستمرارى منفى	سابقة النفى+سابقة الاستمرارية+فعل	نمى نمود [٥]	'نمى نمود	'naminemud	ص ح/ص ح ح ص ص	لم يظهر

[١] دستور زبان فارسى از ديدگاه رده شناسى ، شهرزاد ماهوتيان ،ص: ٣٠٧.
[٢] تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.
[٣] (كه كودكى ز ترس خطر تندممى دويد
اما سرى نداشت! .)
الترجمة: طفل يجرى خائفًا من الخطر
لكنه لا يملك رأسًا .
شعر : شعرى برانجنگ ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٢٥ .
[٤] دستور زبان فارسى از ديدگاه رده شناسى ، شهرزاد ماهوتيان ،ص: ٣٠٧.
[٥] (خشم بزرگ مردم را
باور نمى نمود .)

المصدر (نمودن=أن يظهر) تم تصريفه فى صيغة فعل ماضىاستمرارى مع سابقة النفى (نَ) إليه ، ، ليصير شكله(نمى نمود) مكونًا من أربعة مقاطع(cv– cvv–cv–cvv–cvc) هى:مقطع قصير ،والثانى: مقطع متوسط مغلق،والثالث:مقطع قصير ، والمقطع الرابع: متوسط مغلق، ووقع النبر فيه على المقطع الأول على سابقة النفى .

***الفعل فى المستقبل:**

فى حالة صيغة المستقبل ،تقع النبرة على المقطع الأخير من الفعل المساعد (خواه)؛ أى على حرف الهاء *[1]*،مثل:

زمن الفعل	تركيب الفعل	مثال	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية	الترجمة
المستقبل	خواه+النهايات+ المصدر المرخم من المصدر	خواهم آويخت [2]	'خواهم آويخت	›'ĥâhmâviĥt	ص ح ح ص ص/ص ح ح/ص ح ح ص ص	سوف أعلقها

المصدر (آويختن=أن يعلق) تم تصريفه فى زمن المستقبل مع الضمير(من)، ليصير شكله(خواهم آويخت) مكونًا من ثلاثة مقاطع(cvcc–cvv–cvvcc) هى:الأول: مقطع مزدوج الإغلاق، والثانى: متوسط مفتوح ، والثالث: مقطع مديد مزدوج الإغلاق ، ووقع النبر فيه على المقطع الأول .

الترجمة: وظلمه للشعب بشدة
لم يظهر صدقه .
شعر : باران انقلاب ، طه حجازى ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٧٩ .
[1]) تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.
[2]) (وين حلقه بازو را
در گردنمغرورت
خواهم آويخت.)
الترجمة: وهذه حلقة ساعدك
سوف أعلقها
فى رقبة مغرور.
شعر: آزادى ، هوشنك ابتهاج ، شعر نو از آغاز تا امروز ، ٦٥١ .

المحورالثانى: النبر فى اللغة العربية من خلال أشعار الثورة المصرية٢٠١١م

تخلو الدراسات اللغوية العربية من بحوث عند العلماء العرب القدامى ، حول قيم النبر وقواعده ووظائفه ، فلم يستعمل العلماء العرب مصطلح النبر:stress بهذا المعنى ، على الرغم من وروده فى بحوثهم الصوتية ، للدلالة على تحقيق نطق الهمزة عند بنى تميم(١).

فالنبر هو: المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب ، وإنّ كليهما يتطلب نشاطًا متحدًا من أعضاء النطق : الرئتان ،ة عضلات الصدر ، أقصى الحنك ، الشفتان ، اللسان ؛مما يؤدى إلى تعاظم مساحة السعة فى الذبذبات الصوتية(٢).

فالنبر هو :أحد الفونيمات فوق التركيبية ، ولا يدخل مباشرة فى تركيب البنى اللغوية ، لكنه يفضى إلى أغراض المتكلمين النطقية ، من قوة وضعف ومن شدة وليونة ، تقتضى طاقة وجهدًا عضليًا(٣).

وقد اختلف مفهوم النبر عند المحدثين عن القدماء، فقد احتوت الدراسات الصوتية الحديثة تعريفات مختلفة لهذه الظاهرة ، فيرى الدكتور/كمال بشر: بما أن المقاطع الصوتية تعين الدارس على تحديد ظاهرة النبر بدقة ، فإن المقاطع الصوتية تتفاوت فى النطق قوةً وضعفًا ، فالصوت أو المقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكثر نسبيًا ، ويتطلب من أعضاء النطق مجهودًا أشد ، مثل كلمة(ضَرَبَ)'التى ينطق مقطعها الأول بارتكاز أكبر من المقطعين الثانى والثالث(٤) ."

---

١) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث ،د/حسام البهنساوى ،ص:١٧٦.
٢) علم الصرف الصوتى(MORPHO- PHONOLOGY)، الدكتور/عبد القادر عبد الجليل-أستاذ مشارك /جامعة آل بيت-سلسلة الدراسات اللغوية –دار:أزمنة ، ط١ ،١٩٩٨م ،ص:١١٣.
٣) علم الصرف الصوتى(MORPHO- PHONOLOGY)، الدكتور/عبد القادر عبد الجليل ، ص:١١٣.
٤) الأصوات العربية ،د/كمال محمد بشر،ص:٢١٠.

متفقًا معه تعريف الدكتور/أنيس موضحًا كيفية نطقه ،والذى قال فيه أن: النبر عبارة عن نشاط فى جميع أعضاء النطق فى وقت واحد حيث تنشط عضلات الرئتين عند النطق بمقطع منبور نشاطًا كبيرًا ،كما تقوى حركات الوترين الصوتيين وتقتربان أحدهما من الأخرى ، ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء ، فتعظم لذلك سعة الذبذبات ، ويترتب عليه أن يصبح الصوت عاليًا واضحًا فى السمع –هذا فى حالة الأصوات المجهورة–أما فى حالة الأصوات المهموسة، فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادها مع الصوت المهموس غير المنبور، وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء[١]

وعرفه د/أحمد مختار عمر أنه"القوة أو الجهد النفسى الممنوح لنطق مقطع معين ؛ليُسمع أوضح من باقى المقاطع [٢]."

وظائف النبر[٣]:

١- التفريق بين المعانى .

٢- الدلالة على معانٍ إضافية ،كالتأكيد ويسمى النبر حينئذ emotioal stress.

٣- يساعد الكلمة أو الوحدة المنبورة ، لأن تتباين عن الوحدات الأخرى ، من النوع ذاته الموجود فى الكلام.

---

١) الأصوات اللغوية،د/إبراهيم أنيس ،ص:١٦٩ ،وانظر أيضًا:الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث ،د/حسام البهنساوى،ص:١٦٨.

٢) دراسة الصوت اللغوى ،د/أحمد مختار عمر ،ص:٢٢٠.

٣)انظر:الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث ،د/حسام البهنساوى،ص:١٧٠:١٧٢.

أنواع النبر[١]:

نبر الكلمة، يمكن أن ينقسم بحسب الشدة والقوة إلى نوعين اثنين:

١- النبر الرئيسى (الأول) ويرمز له بالرمز:_'_ فوق قمة المقطع أو ذروته أى فوق الحركات ، قصيرة أم طويلة.

٢- النبر الثانوى ويرمز له بالرمز:_"_ فوق قمة المقطع أو ذروته ،أى فوق الحركات القصيرة أو الطويلة كذلك .

مواضع النبر الرئيسى[٢]:

أولاً: يكون النبر الرئيسفى الكلمة على المقطع الأخير ،إذا كان هذا المقطع من النوع الرابع: (ص ح ح ص)المديد المغلق،أو من النوع الخامس: (ص ح ص ص)الزائد الطويل المغلق.ولا يمكن أن يوجد هذان المقطعان فى اللغة العربية الفصحى إلا فى حالتين:

١) فى حالة التقاء الساكنين على حدهما(كما يقول العلماء العرب)أى إن الصامت الأخير فى نهاية المقطع ، هو نفسه الصامت الأول فى بداية المقطع التالى.

٢) فى حالة الوقف .

ومثال ذلك من خلال أشعار الثورة المصرية٢٠١١م:

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
ذليلْ [٣]	ذ'ليل	ḏa'lil	ص ح/ص ح ح ص

[١] الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث ،د/حسام البهنساوى،ص:١٧٩.
[٢] الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث ،د/حسام البهنساوى،ص:١٨٠:١٨٥.
[٣] (رغم أن العمرَ منكسرٌ ذليلْ
لا تعجبى
إن صار وجه الشمس .)

تتكون الكلمة من مقطعين(cv–cvvc) هما:الأول: مقطع قصير ،والثانى:مقطع مديد مغلق ، وقد وقع النبر على المقطع الأخير.

الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
طَلْقتيْنْ [١]	ṭalqatayn	ص ح ص/ص ح/ص ح ص ص

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (cvc–cv–cvcc) هى:الأول: مقطع طويل مغلق ، والثانى: مقطع قصير، والثالث: مقطع زائد طويل ، وقد وقع النبر على المقطع الأخير.

<u>ثانيًا</u>: يكون النبر على المقطع قبل الأخير ،إذا لم تكن منتهية بالنوعين السابقين، وذلك فى الحالات الآتية:

١) إذ كان المقطع قبل الأخير طويلاً والمقطع الأخير قصيرًا:

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
غَدْرِ [٢]	'غَدْرِ	'ġadre	ص ح ص/ص ح

تتكون الكلمة من مقطعين(cvc–cv) هما:الأول: مقطع طويل مغلق ، والثانى:مقطع قصير، وقد وقع النبر على المقطع قبل الأخير.

قصيدة:ثمن الرصاصة يشترى خبزًا لنا ،الشاعر :فاروق جويدة ، منتدى فاروق جويدة ، ص:١ .
[http://Kanoun.roo7.biz /T10287-topic]

[١] (دمٌ يَجرى جَديدٌ !
كلَّ لحظة شَهيدٌ
ودَوِىُّ طَلْقتينْ ! .)
قصيدة: غاش ومغشوش ، الشاعر: حسن طلب ، ديوان : إنجيل الثورة وقرآنها(ثلاثية شعرية) ، الطبعة الأولى٢٠١١ ، ص: ١٠١.

[٢] (لكنَّـا أفْلتنا
مِن غدْرِ القنَّاصةِ ..
نَجـَّانا من نجـَّـى .)
قصيدة: زوار وثوار ، الشاعر: حسن طلب ، ديوان : إنجيل الثورة وقرآنها(ثلاثية شعرية) ، الطبعة الأولى٢٠١١ ،ص:١٤٢.

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
سَلبوكَ [١]	سَلـ'بوكَ	sala'buka	ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cv–cv–cvv–cv) هى:الأول: مقطع قصير ، والثانى:مقطع قصير ، والثالث:مقطع طويل مفتوح ،والرابع:مقطع قصير ، وقد وقع النبر على المقطع قبل الأخير.

٢) إذا كان المقطع قبل الأخير طويلاً والمقطع الأخير طويلاً مثله:

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
للضحايا [٢]	للضـ'حايا	lelḍa'ḥâyâ	ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ح

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cvc–cv–cvv–cvv) هى:الأول: مقطع طويل مغلق، والثانى: مقطع قصير، والثالث: مقطع طويل مفتوح ،والرابع: مقطع طويل مفتوح ، لذلك وقع النبر على المقطع قبل الأخير.

الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
أشلائى[٣]	›aŝlâ›i	ص ح ص/ص ح ح/ص حح

---

[١] (سلبوكَ يا وطنى وكانوا غمة نشوا الفساد وصاحبوا إذعانى .)
قصيدة: فى ميدان التحرير ،الشاعر: محمد رفيق السنوسالمنفلوطى ،صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية العدد(٣٩) ذو الحجة١٤٣٢هـ ،نوفمبر٢٠١١م ،ص:٥٤ .

[٢](هل ما يراه الناس ضحكى أم بكايا؟!
الخوف يحفر حول قصرك ألف قبر للضحايا.)
قصيدة: شكوى الفلاح الفصيح ...إلى فرعون مصر ،الشاعر:فاوق جويدة ،ص:٤.
[http://Kanoun.roo7.biz /T10287-topic]

[٣] (قد مزقوا جسدى.. وداسوا أعظمى
ورأيت أشلائى على الأبوابِ .)
قصيدة: هذا عتاب الحب للأحباب ، الشاعر : فاروق جويدة ، ص:٤.
]
/.php?name=sh3er&dowhat=shaqas&qid=84973&r=&rc=156moduies
[http://www.adab.com

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (cvc–cvv–cvv) هى:الأول: مقطع طويل مغلق ، والثانى:مقطع طويل مفتوح ،والثالث:مقطع طويل مفتوح ، وقد وقع النبر على المقطع قبل الأخير.

٣) إذا كان المقطع قبل الأخير قصيرًا ، والأخير قصيرًا مثله:

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
تَركُضُ [١]	تَر'كُضُ	tar'qoḍo	ص ح ص/ص ح/ص ح

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (cvc–cv–cv) هى:الأول: مقطع طويل مغلق ، والثانى:مقطع قصير ، والثالث:مقطع قصير ، وقد وقع النبر على المقطع قبل الأخير.

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
نُضمِّدُ[٢]	نُضم'مدُ	noḍm'medo	ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cv–cvc–cv–cv) هى: الأول: مقطع قصير، والثانى: مقطع طويل مغلق ، والثالث: مقطع قصير ،والرابع: مقطع قصير ، لذلك وقع النبر على المقطع قبل الأخير.

ثالثًا: يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر ، فى الحالات الآتية:

١) إذا كان المقطع الثالث الآخر قصيرًا متلوًا بقصيرين:

---

[١] (حينما كانت خيول المجد
تركض فى رحابكْ .)
قصيدة: الشعب المصرى ، الشاعر: إبراهيم إبراهيم حجاج ، خواطر عاشق مصر ، ص:٣ .
[http://www.forsanhaq.com/showthead.php?t=212906]

[٢] (ونحنُ كنَّا بِيَدٍ
نُضمِّد الجَرحَى.)
قصيدة: حياد مريب ، الشاعر: حسن طلب ، ديوان : إنجيل الثورة وقرآنها(ثلاثية شعرية) ، الطبعة الأولى٢٠١١ ، ص: ١٣٤.

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
سَقَطَ [١]	'سَقَطَ	'saqaṭa	ص ح/ ص ح/ص ح

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (cv –cv–cv) من نوع المقطع القصير، لذلك وقع النبر على المقطع الأول .

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
اشتعلَ [٢]	اشْتَعَلَ	eŝ'ta‹ala›	ص ح ص/ص ح /ص ح /ص ح

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cvc–cv–cv–cv) هى:الأول:مقطع طويل مغلق،والثانى: مقطع قصير ، والثالث:مقطع قصير ،والرابع:مقطع قصير ، لذلك وقع النبر على المقطع الثانى.

٢) إذا كان المقطع الثالث من الآخر قصيرًا متلوًا بقصير وطويل:

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
يُطارِدُنى[٣]	يُطا'رِدُنى	yoṭâ'redoni	ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ح

تتكون الكلمة من خمسة مقاطع (cv–cvv–cv–cv–cv) هى:الأول:مقطع قصير ، والثانى: مقطع طويل مفتوح ، والثالث:مقطع قصير ،والرابع:مقطع قصير ،والمقطع الخامس:طويل مفتوح لذلك وقع النبر على المقطع الثالث.

---

[١] (سقطَ النظامُ وقام شعبٌ صامد يعلو لمصرَ بشامخ البنيان .)
قصيدة: فى ميدان التحرير ،الشاعر: محمد رفيق السنوسىالمنفلوطى ،صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية العدد(٣٩) ذو الحجة١٤٣٢هـ ،نوفمبر٢٠١١م ،ص:٥٣ .

[٢] (ردَّدْنا معهمْ
وأعدنا التَرْدادَ .. وزِدنا
حتى اشتعلَ الميدانُ بمن فيهِ .. .)
قصيدة: زُوار وثوار ، الشاعر: حسن طلب ، ديوان : إنجيل الثورة وقرآنها(ثلاثية شعرية) ، الطبعة الأولى٢٠١١ ، ص: ١٤١.

[٣] (أسلمتُ نفسى للطريق.. ولم أزل أجرى..
يطاردُنى قناع.. ثم يصفعنى قناع .)
قصيدة: الأرض قد عادت لنا ، الشاعر: فاروق جويدة ، مدونة مصر٢٥ يناير ، ص:٣ .

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
اِنتَفَضَتْ[١]	اِنـ'تَفَضَتْ	›en'tafaḍat	ص ح ص/ص ح /ص ح/ص ح ص

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cvc–cv–cv–cvc) هى:الأول:مقطع طويل مغلق ، والثانى: مقطع قصير، والثالث:مقطع قصير ،والرابع:مقطع طويل مغلق ،لذلك وقع النبر على المقطع الثانى.

٣) إذا كان المقطع الثالث من الآخر طويلاً متلوًا بقصيرين:

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
يَهتفُ [٢]	'يَهتفُ	'Yahtefo	ص ح ص/ص ح/ص ح

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (cvc–cv–cv) هى:الأول: مقطع طويل مغلق ، والثانى:مقطع قصير ، والثالث:مقطع قصير ،لذلك وقع النبر على المقطع الأول.

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
طوارئً [٣]	ط'وارئً	ṭa'wâre›a	ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح

[١] (لم يركعوا لمواكبِ الطغيان.. لم يستسلموا كانوا رجالا عندما انتفضتْ حشود الفجرِ.. قاموا يهدرون .)
قصيدة:إلى كل جلاد طغى ، الشاعر : فاروق جويدة ، ص:١ .
[http://hassanheha.forumn.org/t9204-topic]

[٢] (قم يا أحمسُ
واشهدْ شعبَكَ يهتفُ باسمك.)
ملحمة: تمرّد ، الشاعر: حسن طلب ،ص: ١.
[http://www.vbralrakoba>net/t138528.html]

[٣] (كان يلقنه الهواءِ
حتنقاءقوانينَطوارئً، .)
قصيدة: يختصر الضباب ..يُعِنْونُ المسافة ، الشاعر: إيهاب خليفة ، جريدة: القبس ، الأحد 10 ربيعالأول١٤٣٢هـ - ١٣فبراير٢٠١١-السنة٣٩ – العدد١٣٥٤٦.

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cv–cvv–cv–cv) هى:الأول: مقطع قصير ، والثانى:مقطع طويل مفتوح، والثالث:مقطع قصير ،والمقطع الرابع:قصير أيضًا ،لذلك وقع النبر على المقطع الثانى.

٤) إذا كان المقطع الثالث من الآخر طويلاً:متلوًا بقصير وطويل:

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
تَصَدّعتْ [١]	تَ'صَدّعتْ	ta'ṣadda‹at	ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cv–cvc–cv–cvc) هى:الأول: مقطع قصير ، والثانى:مقطع طويل مغلق، والثالث:مقطع قصير ،والمقطع الرابع:طويل مغلق ،لذلك وقع النبر على المقطع الثانى.

الكلمة	**بإضافة النبر**	**الكتابة الصوتية**	**الكتابة المقطعية**
تَشرّدوا [٢]	تَ'شرّدوا	ta'ŝarradu	ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cv–cvc–cv–cvv) هى:الأول: مقطع قصير ، والثانى:مقطع طويل مغلق، والثالث:مقطع قصير ،والمقطع الرابع:طويل مفتوح ،لذلك وقع النبر على المقطع الثانى.

---

[١] (تهاوت قلاع الإستبداد
تصدعتْ صروح الجلادِ .)
قصيدة: الشعب المصرى ، الشاعر: إبراهيم إبراهيم حجاج ، خواطر عاشق مصر ، ص:٢ .
[http://www.forsanhaq.com/showthead.php?t=212906]

[٢](حتى الصغار تشردوا بين الأزقةِ..
يبحثون عن الطعام.)
قصيدة: شكوى الفلاح الفصيح ...إلى فرعون مصر ،الشاعر:فاوق جويدة ،ص:٢.
[http://Kanoun.roo7.biz /T10287-topic]

٥) كما يقع النبر على المقطع الثالث قبل النبر الأول ،وإذا كان هذا المقطع المذكور ،يكوِّنمع اللذين يليانه، فيقعان بينه وبين النبر الأولى ،مثل:

الكلمة	بإضافة النبر	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
المقهورينْ [١]	'المقهو'رينْ	ˈalmaqhu'rinˌ	ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح ص

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cvc–cvc–cvv–cvvc) هى:الأول: مقطع طويل مغلق ، والثانى:مقطع طويل مغلق ،والثالث:مقطع طويل مفتوح ،والمقطع الرابع:مديد مغلق ،لذلك وقع النبر على المقطع الأول والأخير.

الكلمة	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
'المُفسِدونْ [٢]	ˈalmofse'dunˌ	ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (cvc–cvv–cv–cvvc) هى:الأول: مقطع طويل مغلق، والثانى:مقطع طويل مغلق ،والثالث:مقطع قصير ،والمقطع الرابع:مديد مغلق ،لذلك وقع النبر على المقطع الأول والأخير.

رابعًا: يقع النبر على المقطع الرابع من الآخر ،إذا كان الأخير طويلاً والرابع من الأخير قصيرًا ،وبينهما قصيران:

١- (لكن ضحايا الساحة
ظلوا فوق ثراها يبتسمون
ويُمدون سواعِدهم
بوصايا الوطنِ المعزولة
من أحلام البُسطاء
ومن غضبِ المقهورينْ.)
قصيدة: مشاهد من ملحمة الثورة ، الشاعر:أحمد سويلم ، الإثنين:٦ يونيو٢٠١١م،ص:٤.
[الثورة قصيدة...أحمد سويلم.429049/../2011/story/com.youm7.www1]

٢ (كم عشت أصرُخ بين أشباح الظلام.. متى بفيق النائمونْ
أرض يضاجعها الفساد.. وساد فيها المفسدونْ .)
قصيدة:إلى كل جلاد طغى ، الشاعر : فاروق جويدة ، ص:٢ .
[http://hassanheha.forumn.org/t9204-topic]

وفى هذه الحالة يغلب فى المقطع الأخير أن يكون تنوينًا أو إضمارًا أو إشباعًا ،ولا يقع النبر على مقطع يسبق هذا الرابع من الآخر ،وفى هذه الحالة من النبر تعد من الحالات النادرة الوقوع فى اللغة العربية.

مواضع النبر الثانوى:

تنحصر مواضع النبر الثانوى على الكلمة أو الكلمات التى تزيد على مقطعين ، حيث يقع النبر ، بعد تمتع المقطع بالنبر الأولى الرئيسى..ومواضع النبر الثانوىفى الكلمة العربية تتنوع وتتعدد على الوجه الآتى[١]:

أولاً: يقع النبر الثانوى على المقطع الذى قبل المقطع المنبور نبرًا رئيسيًا ، إذا كان المقطع الثانوى طويلاً من النوع الرابع :(ص ح ص ص)،وهى نادرة .

ثانيًا: يقع النبر الثانوى على المقطع الذى بينه وبين المقطع المنبور نبرًا رئيسيًا مقطع آخر، إذا كان المقطع الثانوى المنبور، يكونّ مع الذى يفصل بينه وبين المقطع المنبور نبرًا رئيسيًا أحد الأنساق الآتية:

١) مقطع طويل+مقطع طويل؛مثال ذلك:

الكلمة	بإضافة النبر بنوعيه: الرئيسوالثانوى	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
التَّحريرْ[٢]	"التَّحْ'ريرْ	"attaḥ'rir›	ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

[١] الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتىالحديث،د/حسام البهنساوى ،ص: ١٨٥:١٨٧.

[٢] (تودُّ لو أنَّ بالإعدام عاقبكمْ
قاض إلى (ساحة التحرير) يُنتسبُ .)
قصيدة:المكتئب ، الشاعر: محمد فايد عثمان ،عنوان الكتاب:ركعتان للعشق وضوءهما دم ،للشعر:محمد فايد عثمان،الطبعة الأولى،١٤٣١هـ - ٢٠١١م ، السبت :٢٠١١/٥/٢٤م ،ص:٤٦ .

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (cvc–cvc–cvvc) هى:الأول: مقطع طويل مغلق ، والثانى:مقطع طويل مغلق ،والثالث:مقطع مديد مغلق ، لذلك وقع النبر الرئيسى على المقطع الأخير ، ووقع النبر الثانوى على المقطع الأول

٢) مقطع طويل+مقطع قصير ؛ومثال ذلك:

الكلمة	بإضافة النبر بنوعيه: الرئيسوالثانوى	الكتابة الصوتية	الكتابة المقطعية
المُخيفْ [١]	"المُ'خيفْ	"ɔalmo'ħif	ص ح ص/ص ح/ص ح ص

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (cvc–cv–cvvc) هى:الأول: مقطع طويل مغلق ، والثانى:مقطع قصير ، والثالث:مقطع مديد مغلق ، لذلك وقع النبر الرئيسى على المقطع الأخير ، ووقع النبر الثانوى على المقطع الأول .

ثالثًا: يقع النبر الثانوى على المقطع قبل المنبور نبرًا رئيسيًا ،إذا كانت المقاطع الثلاثة السابقة لهذا المقطع المنبور نبرًا رئيسيًا تكون نسقًا فى صورة:

(مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع قصير أو طويل)ولم توجد فى اللغة إلا على أوزان معينة.

رابعًا: لا يقع النبر الثانوىفى الكلمة العربية على المقطع الرابع السابق للمقطع المنبور نبرًا رئيسيًا .

---

[١] (وَنشرْتَ أشرعتى تُحلقُ تنتشى
على أُجاوزُ مُنحنى الدربِ المخيفْ ً .)
قصيدة:العباءة ، الشاعر: محمد فايد عثمان ،عنوان الكتاب:ركعتان للعشق وضوءهما دم ،للشعر:محمد فايد عثمان،الطبعة الأولى،١٤٣١هـ - ٢٠١١م ، السبت :٢٠١١/٥/٢٨م ،ص:٥٣ .

خاتمة:

بان من العرض السابق ما يلى:

١- لم يحظ النبر بدراسة مفردة قديمًا سواء فى اللغة الفارسية ،أو على مستوى اللغة العربية .

٢- ولم يختلف تعريف النبر فى اللغة الفارسية عما هو فى اللغة العربية ،فهو عبارة عن: وضوح لصوت فى كلمة ، أو فى مقطع معين عن بقية الأصوات ، أو المقاطع فى الكلام، حيث إن المقاطع الصوتية تتفاوت فى النطق قوةً وضعفًا .

٣- اتفقت اللغتان أيضًا فى وظائف النبر اللغوية من حيث التمييز بين المعانى والدلالة على معانٍ إضافية كالتأكيد ومساعدة الكلمة أو الوحدة المنبورة ، لأن تظهر عن الوحدات الأخرى ، من النوع ذاته الموجود فى الكلام .

٤- اختلفت اللغتان فى أنواع النبر ،حيث اتفقا فى نوعين هما :

- النبر الرئيسي .
- النبر الثانوى .

٥- أما اللغة الفارسية فقد تميزت عنها بنوعين آخرين هما :النبر الضعيف ،والنبر التأكيدى.

٦- اختلفت اللغتان من حيث تحديد مواضع النبر داخل الكلمة:

*حيث اهتمت اللغة الفارسية بالكلمة صرفيًا من حيث كونها اسمًا أم فعلاً ، أم كانت ضميرًا أو أداة استفهام ،فلا يتأثر النبر بنوع المقاطع الصوتية الموجودة

فى الكلمة الواحدة سواء أكان المقطع الأخير خفيف أم كان ثقيلاً ،ولا بعدد مقاطع الكلمة.

*أما اللغة العربية فقد اهتمت بالكلمة من حيث التركيب المقطعى لها ، ولم تنظر إلى نوع الكلمة .

لذلك فقد تميزت اللغة الفارسية بالتميز فى دراسة النبر من خلال عدة نقاط مختلفة عنها فى الدراسة الفونيمية للنبر فى اللغة العربية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع الفارسية:

١- أوزان الشعر الفارسى ، د/پرويز نايل خانلرى ، ترجمة:د/محمد نور الدين عبد المنعم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م .

٢- دستور زبان فارسى معاصر ، ژيلبرلازار ، ترجمة : ماهستى بحرين، نشر:هرمس ، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.ش، تهران .

٣- فرهنگ زبان فارسى واعد ، الدكتور/عبد الوهاب علوب ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان -١٩٩٦،ط١.

٤- منابع: دانشكده ادبيات وعلوم انسانى – دانشگاه اصفهانى /١٣٥٤هـ.ش ،شماره ١٢،(بر رسيهاى جديد در مرد تكيه زبان فارسى).

ثانيًا:المراجع العربية:

١- الأصوات اللغوية ، د/إبراهيم أنيس ، دار النهضة العربية ، ط ٣ ، القاهرة ،١٩٦١م

٢- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث ، أ.د: حسام البهنساوى ، الطبعة الأولى، القاهرة،(٢٠٠٥م).

٣- دراسة الصوت اللغوى ، د/أحمد مختار عمر، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة ،١٩٩٧م – ١٤١٨هـ .

٤- علم الصرف الصوتى(MORPHO- PHONOLOGY)، الدكتور/عبد القادر عبد الجليل-أستاذ مشارك /جامعة آل بيت-سلسلة الدراسات اللغوية -دار:أزمنة ، ط١ ،١٩٩٨م .

القياس عند صدر الشريعة الأصغر ت ٧٤٧ هـ

إعداد

الباحث / محمود فتحي ربيع يوسف

يناير ٢٠١٥

القياس عند صدر الشريعة الأصغر ت ٧٤٧ هـ

الباحث / محمود فتحي ربيع يوسف

الاستدلال القياسي وأنواعه:

تمهيد: القياس المنطقي صيغة شكلية لإثبات حقائق سبق العلم بها، ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها، إذ يأتي القياس المنطقي منبهاً عليه، أو ملزمًا الخصم بالتسليم بها إذا هو أنكرها.

أما حقائق المعرفة التي تتألف منها قضايا الاقيسة فهي المواد الأساسية للصيغ الشكلية التي يتألف منها القياس، وطريق الوصول إليها أحد الطرق الموصلة إلي المعرفة التي سبق بيانها.

تعريف القياس: لغَة واصطلاحًا: "رد الشيء إلى نظيره، و في (علم النفس) عمل عقلي يترتب عليه انتقال الذهن من الكلي إلى الجزئي المندرج تحته كما إذا انتقل الذهن من مفهوم أن زوايا كل مثلث تساوي زاويتين قائمتين إلى أن زوايا هذا المثلث المرسوم أمامي الآن تساوي زاويتين قائمتين، و في (الفقه) حمل فرع على أصل لعلة مشتركة بينهما كالحكم بتحريم شراب مسكر حملا على الخمر لاشتراكهما في علة التحريم وهو الإسكار"[١].

---

[١] انظر بتصرف [المعجم الوسيط]: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤سنة(١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٧٧٠. وانظر كلًا من [نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الأصول]: عيسي مينون، مطبعة التضامن الأخوي، شارع كفر الزغاري بمعطفه الشماع نمرة ٨ بمصر، ط١ سنة ١٣٤٥هـ، ص (٩ - ١٢)، [مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول للشيخ محمد بن فراموز بن علي المعروف بملا خسرو]: رسالة دكتوراه، أحمد بن محمد

وقال الآمدى : "القياس فهو في اللغة عبارة عن التقدير ومنه يقال قست الأرض بالقصبة وقست الثوب بالذراع أي قدرته بذلك وهو يستدعي أمرين يضاف أحدهما إلى الآخر بالمساواة فهو نسبة وأضافه بين شيئين ولهذا يقال فلان يقاس بفلان ولا يقاس بفلان أي يساويه ولا يساويه"[٢].

مما تقدم نستطيع أن نعرف أن مادة قاس ترد لتقدير الشيء بالشيء ومساواته به، وهذا المعني اللغوي هو الذي جاء به الشرع واعتبره في أمثاله التي يضربها وأقيسته التي أوردها في إثبات الأحكام.

وذهب إلي ذلك أيضًا ابن تيمية(رحمه الله)بقوله: هو انتقال الذهن من حكم معين إلي حكم معين لاشتراكهما في ذلك المعني المشترك الكلي، وقال في موضع آخر: أن ينص علي حكم لمعني من المعاني ويكون ذلك المعني موجودًا في غيره فإذا قام دليل من الأدلة علي أن الحكم متعلق بالمعني المشترك بين الأصل والفرع سوي بينهما، وقال أيضًا: قياس التمثيل إلحاق الشيء بنظيره، وقال أيضًا: القياس تمثيل الشيء المعين بشيء معين"[٣].

بن صالح عزب، ص١١٤. [الاعتراضات الواردة علي القياس]: رسالة دكتوراه، محمد يوسف آخند جان نيازي، إشراف د/أحمد فهمي أبو سنة سنة (١٤١٦ – ١٩٩٥م)، ص٣

[٢] [الإحكام في أصول الأحكام]: علي بن محمد الآمدى أبو الحسن، علق عليه عبد الرازق عفيفي، دار الصميعي ،الرياض السعودية ط١سنة(١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م)، ج٣،ص٢٢٧. تحقيق : د. سيد الجميلي

[٣] أنظر [مجموع الفتاوى]: ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين، الرياض السعودية، بدون عدد الطبعة أو تاريخها، ج٩، ص(١٢٠، ٢٨٦، ٢٥٩)، ج١٤، ص٥٤.

وفي المنطق: عرّفه ارسطو بقوله: "قول إذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد، لزم شيء ما آخر من الاضطرار؛ لوجود تلك الأشياء الموضوعة بذاتها"[٤]، فالقياس هنا قول مركب يتألف من جزأين، جزء يشكل لنا ما تقدم به من أشياء، وهو ما يسمي بمقدمات القياس، وجزء آخر يلزم عن هذه المقدمات وهو ما يسمي بنتيجة القياس. فالقياس يتألف من مقدمات ونتيجة وهذه النتيجة تلزم بالضرورة عن تلك المقدمات بمعني أن مجرد التسليم بهذه المقدمات سواء كانت صادقة بالفعل ،أو كاذبة لا بد أن يستلزم ذلك التسليم بالضرورة.

"وقد لاحظ المناطقة أن هذا التعريف واسع إلي حد بعيد حيث لم يحدد فيه أرسطو عدد المقدمات وكذلك لم يحدد نوع العلاقة التي تربط بين موضوع ومحمول قضاياه"[٥] .

أي إذا كان أرسطو لم ينص علي عدد المقدمات فلماذا ذكر ابن تيمية أنه اشترط مقدمتين فقط؟ وذلك لأن ارسطو ومن تبعه من الفلاسفة طبقوا ذلك في أشكال القياس.

ومن الغريب أن نجد فلاسفة المسلمين يتابعون هذا التعريف الواسع عندما يقدمون تعريفًا للقياس، وقد التزم نهج أرسطو كل من: (الفارابي، وابن سينا، والغزالي، وابن ملكا) ، حيث يبدو ذلك جليًا من قول الفارابي: " والقياس قول توضع فيه أشياء أكثر

---

[٤] [منطق ارسطو]: عبد الرحمن بدوي، ج١، كتاب التحليلات الأولي، ص١٤٢.

[٥] [نظرية العلم الارسطية]: مصطفي النشار، دار المعارف كورنيش النيل القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، ص١٢٣.

من واحد، إذا ألّفت لزم عنه لذاتها، لا بالعرض شيء آخر غيرها اضطرارا، واللازم عن القياس يسمي النتيجة ويسمي الردف"[٦].

ويقول ابن سينا: والقياس هو قول مؤلف من أقوال، إذا سلم ما أورد فيه من القضايا، لزم عنه لذاته قول آخر"[٧]، وقد جاء تعريف القياس عند الغزالي وابن ملكا[٨] موافق لتعريف المناطقة يؤكد ذلك قوله: وحدُ القياس أنه مؤلف إذا سلم ما أورد فيه من القضايا لزم عنه لذاته قول آخر اضطرارًا"[٩].

والواضح من تلك التعريفات بأنه ليس هناك أي تحديد لتلك القضايا أو المقدمات بعدد ما بل كل هذه التعريفات تدور حول القول بأنها أكثر من واحدة دون تحديد أو ذكر لعدد تلك المقدمات أو الحدود.

---

[٦] [المنطق عند الفارابي]: رفيق العجم ، دار المشرق بيروت، ط١، ١٩٨٦م،كتاب القياس، ج ٢، ص١٩.

[٧] [الاشارات والتنبيهات]: ابن سينا، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، بمصر،ج١، ص٣٧٠.

[٨] [المعتبر في الحكمة]: ابن ملكا البغدادي، الطبعة الاولي تحت ادارة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة (١٣٥٧هـ – ١٩٣٣م)،ج ١، ص ١١٠، وانظر أيضًا [البصائر النصيرية]: زين الدين عمر ابن سهلان الساوي، ط١ بالمطبعة الكبري الاميرية ببولاق (١٣١٦ هـ – ١٨٩٨م) مصدر سابق،ص٧٨، ٧٩.

[٩] [معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر ١٩٦١ م،، ص ٨٦.

رأي صدر الشريعة الأصغر: إلا أن صدر الشريعة جاء تعريفه موافقًا لمن سبقه من المنطقيين، ولكن حدد عدد هذه القضايا بقوله: "قضيتان يلزمهما أخري ذاتا"[١٠]. وهو بذلك يقف موقف المناقض لابن تيمية في نقضه للقياس، وخاصَة في تحديد مقدمتين فقط للقياس، وعلل ابن تيمية ذلك بقوله: " وذلك إن احتياج المستدل إلى المقدمات مما يختلف فيه حال الناس فمن الناس من لا يحتاج إلا إلى مقدمة واحدة لعلمه مما سوى ذلك كما أن منهم من لا يحتاج في علمه بذلك إلى الاستدلال بل قد يعلمه بالضرورة ومنهم من يحتاج إلى مقدمتين ومنهم من يحتاج إلى ثلاث ومنهم من يحتاج إلى أربع أو أكثر"[١١]. وذكر صدر الشريعة قضيتين يلزمهما أخري ذاتًا احترازا عن قياس المساواة[١٢] وبيان ذلك قوله: "وإنما قال: ذاتا ليخرج محذوف المقدمة فانه لا يلزمه قضية ذاتًا بل إنما يلزم المجموع المركب من المذكورة

---

١٠ [شرح تعديل العلوم] : صدر الشريعة الأصغر، ص٩٤ب.

١١ [الرد على المنطقيين]: ابن تيمية، حققه عبد الصمد شرف الدين، مؤسسة الريان بيروت لبنان، ط١ سنة(١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، ص١٥١.

١٢ قياس المساواة وهو: كل قياس يتركب من قضيتين بحيث يكون متعلق محمول أولاهما موضوع الأخرى كقولنا : (أ) مساو (لب) و (ب) مساو (لج) ويلزم من هذين القولين أن (أ) مساو (لج) لكن لا لذاتيهما بل بواسطة مقدمة أجنبية وهي أن كل مساوي المساوي لشيء مساو لذلك الشيء، وحيث لا تصدق المقدمة الأجنبية لا يتحقق الاستلزام كما في قولك (أ) نصف (لب) و (ب) نصف (لج) فلا يصدق (أ) نصف (لج) لأن نصف النصف ليس بنصفه بل ربعه . ولهذا قياس المساواة خارج عن القياس المعرف عند المنطقيين بقول مؤلف من قضايا يلزم لذاته قول آخر .انظر [دستور العلماء]: القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، مصدر سابق، ج٣، حرف القاف، ص(٧٧، ٧٨). وسمي قياس المساواة لأن النتيجة تحتاج لصدقها إلى مقدمة خارجة عن ذلك القياس، وهي أن مساوي المساوي لشيء مساو لذلك الشيء.

والمحذوفة فلهذا قال فمحذوف المقدمة قياس معها وهي إما غير أجنبية نحو جزء الجوهر ما يوجب ارتفاعه وما ليس بجوهر ليس كذا فجزء الجوهر جوهر بواسطة عكس النقيض"([١٣]). ومن ذلك نصل إلي أن (لذاته) أي لمادته وصورته لا لشيء آخر، بحيث لا تتخلف النتيجة عنه؛ لأن ما بالذات لا يتخلف، ويُخرج بهذا القيد قياس المساواة: وهو كل قياس مركب من مقدمتين متعلق محمول أولاهما موضوع الثانية مثل: (محمد مساو لأشرف)، (وأشرف مساو لخالد)، ينتج (أن محمدًا مساو لخالد) فإن هذا قياس مؤلف من مقدمتين لزمه قول آخر، ولكن لا لذات القياس، بل بواسطة مقدمة أجنبية، ومجمل ذلك انه: ذكر صدر الشريعة لفظ **(لذاته)** في تعريف القياس احتراز عمّا يلزم لا لذاتها بل بواسطة مقدمة غريبة كما في قياس المساواة. ولكي يكون قياس المساواة منتجًا أبطل شرط اتحاد الوسط الذي قال به (الغزالي[١٤] والارموي[١٥])، بقوله: " لا يتكرر الوسط معها وقيل لزومها أن متساوي "ج" والمحذوفة (أن كل مساوي ج مساوي ج). وبناء عليه فلا يضع صدر الشريعة اتحاد الوسط شرط لإنتاج قياس المساواة، ومراده من قوله يلزمهما أخري هو: يلزمها قضية تقتضي نسبه مغايرة المذكورة في القضيتين.

ثانيًا: أقسام القياس: ينقسم القياس إلي قسمين: قياس استثنائي، قياس اقتراني

---

[١٣] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص٩٤أ

[١٤] [معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي، ص(٨٦، ٨٧).

[١٥] [مطالع الانوار مع شرحه لوامع الاسرار]: سراج الدين محمود بن ابي بكر الارموي، دار الطباعة العامرة بدار الخلافة الظاهرة، بنظارة محمد لبيب، ١٢٧٧هـ، ص(١٧٨، ١٧٩).

أولًا: القياس الاستثنائي: هو ما ذُكرت فيه النتيجة أو نقيضها بمادتها وصورتها، وهذا ما أكد عليه المناطقة بقولهم: "لأن القول الآخر إما أن يكون مذكورًا في القياس بمادته وهيئته أولا: فإن كان القول الآخر أي النتيجة (مذكورًا فيه) أي في القياس (بمادته) أي طرفيه (وهيئته) أي صورته (فاستثنائي) أي كقولنا: (إن كانت الشمس طالع فالنهار موجود)، (لكن الشمس طالعة فالنهار موجود) فالقول الآخر وهو (النهار موجود) مذكور في القياس بمادته وهيئته"[١٦]. ولكنها خالية من الحكم، وأيضًا في القياس ليست قضية قائمة بذاتها، وإنما هي جزء قضية؛ ولذلك لا يصح الاعتراض بأن فيه مصادرة علي المطلوب، وهي أخذ الدعوي في الدليل ومثل: (كلما كان هذا جسمًا كان متحيزًا)، (لكنه ليس بمتحيز)(إذًا هو ليس بجسم)، وهذه النتيجة قد ذكر في القياس نقيضها بالفعل وهو: (هذا جسم). وسمي هذا القياس استثنائيا لذكر أداة الاستثناء فيه وهي: (لكن)،وعّبر عنه **صدر الشريعة** قائلًا: " ثم إن ذكر النتيجة أو نقيضها فاستثنائي"[١٧].

ثانيًا القياس الاقتراني: هو الذي لم تذكر فيه النتيجة ولا نقيضها بالفعل، وهذا ما ذهب إليه المناطقة بقولهم: "أن يكون ما يلزمه ليس هو ولا نقيضه مقولًا فيه

---

١٦ [تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي علي التهذيب]: عبد المتعال الصعيدي، الناشر مكتبه الآداب بالجما بيزت القاهرة، المطبعة النموذجية القاهرة، ط٣، بدون تاريخ طبع، ص١٢٢.

١٧ [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص(٩٥أ).

بالفعل بوجه ما، بل بالقوة. ويسمي قياسًا اقترانيًا، كقولك:(كل جسم مؤلف)، (كل مؤلف محدث)، (فكل جسم محدث)"[١٨].

سمي هذا القياس بالقياس الاقتراني لاقتران أجزائه، وهي حدوده، من الأصغر والأكبر والوسط"[١٩]. وسمي اقترانيًا أيضًا نسبة إلي "كونه مؤلفًا من مقدمتين مقترنتين بينهما حد أوسط، يربط بين الحدين الأكبر والأصغر"[٢٠] .أي لاقتران الحدود فيه، أو لذكر أداة الاقتران فيه، وهي (الواو). ويمتاز القياس الاقتراني بأن نتيجته موجودة في مقدمتيه بالقوة لا بالفعل، أي بالمادة لا بالصورة والهيئة. ولم يختلف صدر الشريعة عمّن سبقه في تعريف القياس الاقتراني بقوله:" ثم إن ذكر النتيجة أو نقيضها فاستثنائي وإلا فاقتراني"[٢١].

وينقسم القياس الاقتراني إلي قسمين:

١. القياس الحملي الاقتراني. ٢- القياس الشرطي الاقتراني.

وسنبدأ الكلام بعون الله علي القياس الحملي نظرًا لأهميته من ناحية، ولكثرة تناوله من قبل المناطقة، ولأن الحملي أبسط من الشرطي.

١- القياس الحملي الاقتراني:

---

[١٨] [النجاة في المنطق والإلهيات] ابن سينا تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار الجيل مصدر سابق، ص ٤٣، وانظر أيضًا: القياس [المنطق عند الفارابي] ج٢، ص٢٠، [معيار العلم]: الغزالي، ص٨٧.

[١٩] [شرح الكوكب المنير]: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (ت : ٩٧٢هـ)، مصدر سابق، باب الاستدلال، ج٤، ص٣٩٨.

[٢٠] انظر بتصرف[المنطق عند الفارابي]: رفيق العجم، كتاب القياس، ج ٢، ص٢٠.

[٢١] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر ص(٩٥أ).

أ- **تعريفه:** هو "ما ألّف عن قضايا حمليه" مثل: (النحو مفيد)،(وكل علم مفيد)إذًا:(النحو مفيد)"[٢٢]، فإن المقدمتين في هذا القياس حمليتان فقط، ولذلك سمي هذا القياس حمليًا.

ب- **أجزاء القياس الحملي:**

اتفق المناطقة بدءًا من أرسطو ومرورًا بالفارابي وابن سينا علي أن القياس الحملي يتألف من مقدمتين مقترنتين تشتركان معًا في حدٌ واحد، وتفترقان في حدين[٢٣] ، "وكل مقدمة تشتمل على موضوع ومحمول، فيكون مجموع الآحاد التي تنحل إليه هذه المقدمات أربعة، إلا أن واحدًا منها يتكرر، فالمجموع إذن ثلاثة وهو أقل ما ينحل إليه قياس، إذ أقل ما يلتئم منه القياس مقدمتان، وأقل ما ينتظم منه المقدمة معنيان: أحدهما موضوع والآخر محمول.

ولا بد أن يكون واحد مكررًا مشتركًا في المقدمتين، فإنه إن لم يكن كذلك تباينت المقدمتان ولم تتكلم في المقدمة الثانية عن الجسم ولا عن المؤلف، بل قلت مثلا (كل إنسان حيوان) لم تلزم نتيجة من المقدمتين. فإذا عرفت انقسام كل قياس إلى ثلاثة أمور مفردة فاعلم أن هذه المفردات تسمى حدودا، ولكل واحد من الحدود الثلاث اسم مفرد ليتميز عن غيره أما الحد المشترك فيسمى الحد الأوسط، وأما

---

[٢٢] انظر بتصرف: القياس [المنطق عند الفارابي] ج٢،ص٢٠.

[٢٣] [منطق ارسطو]: عبد الرحمن بدوي، ج١، كتاب التحليلات الأولي، ص١٤٨، وانظر القياس [المنطق عند الفارابي] ج٢،ص٢١.

الآخران فيسمى أحدهما الحد الأكبر والآخر الأصغر، والأصغر هو الذي يكون موضوعًا في النتيجة والأكبر هو الذي يكون محمولًا فيها."[٢٤].

- وقد وافق صدر الشريعة المناطقة علي ذلك موافقة تامة، فلم يخرج عما اصطلحوا عليه في تأليف القياس؛ إذ يري أنه مركب من "مقدمتين شاركتا في وسط تعدي الأكبر وهو المنسوب في النتيجة إلي الأصغر وهو المنسوب إليه فيها والتي هي فيها صغري والأخرى كبري"[٢٥].

فالقياس الحملي إذًا يتكون من ثلاثة حدود:

١- الحد الأكبر، وهو الذي تشمله المقدمة الكبرى، ويكون محمول النتيجة.

٢- الحد الأوسط، وهو الحد المشترك بين المقدمتين.

٣- الحد الأصغر، وهو الذي تشمله المقدمة الصغرى، ويكون موضوع النتيجة.

ت- **أشكال القياس الحملي:**

أشكال القياس الحملي تتحدد بحسب كيفية وضع الحد الأوسط في مقدمتيه، وهي ثلاثة ، وهذا ما اتفق عليه المنطقيون أمثال ارسطو[٢٦] والفارابي[٢٧]. وكذلك ابن

---

[٢٤] [معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي، مصر سابق، ص ٨٧.

[٢٥] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر ص٩٥أ.

[٢٦] وقد ميّز ارسطو بين ثلاثةُ أشكالٍ علي أساس اختلاف وضع الحد الأوسط في المقدمتين، لأننا إذا أردنا أن نبرهن علي ثبوت (أ) لـ (ب) بطريق القياس، فينبغي أن نأخذ شيئًا مشتركًا بينهما وذلك ممكن علي أنحاء ثلاثة، فإما أن نحمل أ علي ج ونحمل ج علي ب، وإما أن نحمل ج علي الاثنين، وإما أن نحمل الاثنين علي ج ، ويلزم من ذلك أن أ هو المحمول وأن ب هو الموضوع في النتيجة التي نريد إثباتها عن طريق القياس، والحد الأوسط يكون في الشكل الأول هو موضوع المقدمة الكبرى، ومحمول المقدمة الصغرى، وفي الشكل الثاني

سينا يري أن تأليف صغري وكبري يسمي (قرينة). وهيئة الاقتران تسمي (شكلًا). والحد الأوسط إن كان محمولًا في مقدمة، وموضوعًا في الأخرى، سمي ذلك الاقتران شكلًا أولًا، وإن كان محمولًا فيهما يسمي شكلًا ثانيًا. وإن كان موضوعًا فيهما يسمي شكلًا ثالثًا[٢٨]. وعبر الغزالي عن هذه الإشكال بقوله: والحد الأوسط إما أن يكون محمولًا في إحدى المقدمتين موضوعًا في الأخرى كما أوردناه من المثال، فيسمى شكلا أولًا، وإما أن يكون محمولًا في المقدمتين جميعًا ويسمى الشكل الثاني، وإما أن يكون موضوعًا فيهما ويسمى الشكل الثالث"[٢٩]. وقد تابع هذا الفريق كل من (ابن ملكا[٣٠]، والساوي)، فقد أقره الساوي ولكنه عدل عنه لأنه بعيد عن الطبع صعبٌ في الفهم بقوله " القسمةُ الصحيحةُ علي أربعة أنحاء: فإن الأوسط إما أن يكون محمولًا علي الأصغر موضوعًا للأكبر ويسمي الشكل الأول، وإما أن يكون موضوعًا للأصغر محمولًا علي الأكبر، أو محمولًا عليهما جميعًا، أو موضوعًا

يكون محمول المقدمتين معًا. وفي الشكل الثالث موضوعهما معًا. [نظرية العلم الأرسطية]: النشار، مصدر سابق، ص(١٣٠، ١٣١).

[٢٧] [منطق ارسطو]: عبد الرحمن بدوي، ج١، كتاب التحليلات الأولي، ص١٤٨، وانظر القياس [المنطق عند الفارابي] ج٢،ص٢١.

[٢٨] [النجاة في المنطق والإلهيات] ابن سينا. مصدر سابق، ص ٤٣، وانظر أيضًا:[منطق المشرقيين] القصيدة المزدوجة، ابن سينا منشورات مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، مطبعة الولاية قم إيران، ط٢ سنة (١٤٠٥هـ، ص١٠، الهداية ابن سينا، تحقيق وتقديم وتعليق د. محمد عبده، الناشر مكتبة القاهرة الحديثة، ط٢ (١٩٧٤)، ص٩٣.

[٢٩] [معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي، مصر سابق، ص (٨٨).

[٣٠] [المعتبر في الحكمة]: ابن ملكا، مصدر سابق، ج ١، ص(١١١، ١١٢).

عليهما جميعًا. لكن القسم الثاني وان أوجبته القسمة غير مُعتبر لأنه بعيدٌ عن الطبع، يحتاج في إبانة ما يلزم عنه إلي كلف في النظر شاقة مع أنه مستغني عنه"[٣١].

ولكن ذهب صدر الشريعة: إلي أن أشكال القياس أربعة قائلًا: فالوسط إما محمول الصغرى موضوع الكبرى فشكل أول وعكسه رابع، أو محمول فثان أو موضوعها فثالث"[٣٢]. وقد اتفق معه صاحب الشمسية بقوله: الأوسط إن كان محمولًا في الصغرى وموضوعًا في الكبرى فهو (الشكل الأول)، وإن كان محمولًا فيهما فهو (الشكل الثاني). وإن كان موضوعًا فيهما فهو (الشكل الثالث). وإن كان موضوعًا في الصغرى ومحمول في الكبرى فهو (الشكل الرابع)"[٣٣].

وسار علي نهج صدر الشريعة أيضًا: (الآمدى[٣٤]، ونصير الدين الطوسي[٣٥]، والبيضاوي[٣٦]، والتفتا زاني).

---

[٣١] [البصائر النصيرية]: الساوي، مصدر سابق، ص٨٠.

[٣٢] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر ، ص ٥٩أ.

[٣٣] [تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية] : قطب الدين التحتاني (٧٦٦هـ)، تصحيح محسن بيدار، الناشر بيدار قم ط ٢ ،سنة ١٣٨٤ش – ١٤٢٦ق، ص٣٩٠، وانظر:[تجريد المنطق]: نصير الدين الطوسي، ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، ط١ ،سنة (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨)، ص٣٠.

[٣٤] وأما الشكل: فعبارة عن هيئة الحد الأوسط بالنسبة إلي الحدين المختلفين في مقدمتي الاقتران من كونه محمولًا علي الاصغر وموضوعا للأكبر، أو محمولًا عليهما، أو موضوعًا لهما، أو موضوعًا للأصغر ومحمولًا علي الأكبر. انظر: [المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين] سيف الدين الآمدى، مصدر سابق ، ص ٨٢.

[٣٥] [تجريد المنطق]: نصير الدين الطوسي، مصدر سابق، ص٣٠.

رابعًا: أشكال القياس: ينقسم القياس الاقتراني الحملي باعتبار هيئته وصورته إلي شكل وضرب.

١- الشكل: هو الهيئة الحاصلة من وضع الحد الأوسط عند الحدين الآخرين بحسب حمله عليهما أو وضعه لهما، أو حمله علي أحدهما، ووضعه للآخر تسمي (شكلًا) "[٣٧]، والشكل في اللغة الهيئة والمثل وَصُورَة الشَّيْء"[٣٨].

٢- الضرب هو: الضرب في اللغة هو النوع، و في اصطلاح المناطقة في الهيئة الحاصلة للقياس من اتفاق مقدمتين في الكم والكيف أو اختلافهما فيهما، أو في أحدهما، والضروب العقلية في كل شكل ستة عشر ضربًا، " واقتران الصغرى بالكبرى في إيجابها وسلبها وكليتها وجزئيتها يسمي (قرينة) (وضربًا)"[٣٩].

<u>الشكل الأول:</u> سبق وأن أشرنا إلي أن القياس يعتمد علي وضع الحد الأوسط في مقدمتي القياس، فإن كان الحد الأوسط موضوعًا في الكبرى، محمولًا في الصغرى،صار شكلًا أولًا، وهذا ما وضّحة ارسطو بقوله:"(أ) إن كانت مقولة علي كل (ب) وكانت (ب) تقال علي كل (ج)، فمن الاضطرار أن تقال (أ)

---

[٣٦] [طوالع الأنوار من مطالع الأنظار]: البيضاوي، تحقيق عباس سليمان، دار الجيل بيروت المكتبة الازهرية للتراث القاهرة، ط١سنة(١٤١١هـ – ١٩٩١م)، ص٦١.

[٣٧] انظر بتصرف:[تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية] قطب الدين الرازي، مصر سابق، ص (٣٨٩، ٣٩٠)، وانظر أيضًا: [المنطق الاشراقي عند شهاب الدين السهراوردي]: محمود محمد علي، مصر العربية للنشر والتوزيع، حمامات القبة القاهرة، ط١ سنة ١٩٩٩م.

[٣٨] [دستور العلماء] عبد النبي بن عبد الرسول، مصدر سابق، ج٢، ص١٥٩.

[٣٩] [تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية] قطب الدين الرازي، مصر سابق، ص (٣٨٩، ٣٩٠)،

علي كل (ج)"[٤٠]. ومن ذلك يبدو أن أرسطو قدم الكبرى علي الصغري، ويتابعة في ذلك الفارابي بقوله عن الشكل الأول: "فالأول من ضروب الشكل الأول هو أن تكون (أ) موجودة في كل ما هو (ب)، و(ب) موجودة في كل ما هو (ج)، ينتج: (أ) موجودة في كل ما هو (ج)"[٤١].

كذلك يقول ابن سينا في بيان هيئة الشكل الأول:" الضرب الأول من موجبتين .... مثاله كل (ج ب) وكل (ب أ) فهو قياس كامل علي أن كل (ج أ)"[٤٢].

ويوضح الغزالي هيئة الشكل الأول بقوله:" مثاله ما أوردناه، وحصول النتيجة منه بين، وحاصله يرجع إلى أن الحكم علىالمحمول حكم على الموضوع بالضرورة، فمهما حكم على الجسم بالمؤلف فكل حكم يثبت للمؤلف، فقد ثبت لا محالة للجسم، فإن الجسم داخل في المؤلف،وإذا ثبت الحكم بالحدوث على المؤلف فقد ثبت بالضرورة على الجسم"[٤٣].

وبناًء عليه فهناك مواضع اتفاف، ومواضع اختلاف بين المناطقة، وبيانها فيما يلي:

أ- أولًا: مواضع الاتفاق:

- اتفاق جميع المناطقة علي هيئة الشكل الأول وفيه يكون الحد الأوسط موضوعًا في الكبري، محمولًا في الصغري.
- اتفاقهم في جعل الحد الأوسط محمول الصغري ، موضوع الكبري.

---

[٤٠] [منطق ارسطو]: عبد الرحمن بدوي، ج١، كتاب التحليلات الأولي، ص١٤٨.

[٤١] [المنطق عند الفارابي]: رفيق العجم ج٢،ص٢٢.

[٤٢] [النجاة في المنطق والإلهيات] ابن سينا. مصدر سابق، ص٤٥.

[٤٣] [معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي، مصر سابق، ص ٨٨.

ب- ثانيًا: مواضع الإختلاف: ويبدو ذلك جليًا في ترتيب المقدمات، حيث اتفق الفارابي مع أرسطو في جعل المقدمة الكبري أولًا، تليها المقدمة الصغري. ولربما يكون الفارابي الوحيد الذي تابع أرسطو في ترتيب المقدمات. بينما خالفهم ابن سينا والغزالي في ذلك فتكون الصغرى أولًا، تليها الكبرى.

هيئة الشكل الأول عند صدر الشريعة: يوضح صدر الشريعة هيئة الشكل الأول بقوله:" فالوسط إما محمول الصغرى موضوع الكبرى فشكل أول"[٤٤]. ومن ذلك نستنتج اتفاقه مع المناطقة علي هيئة الشكل الأول، وأيضًا اتفاقه مع ابن سينا والغزالي علي البدء بالمقدمة الصغري أولًا، تليها الكبري.

شروط الانتاج من الشكل الأول: اتفق المناطقة أمثال (الفارابي، وان سينا، والغزالي، وعلي رأسهم ارسطو علي شروط يجب توافرها في أشكال القياس الحملي لكي يكون منتجًا، وهي:

الشرط الأول: يجب أن تكون المقدمة الكبري كلية (ك)، سواء أكانت موجبة أم سالبة.

الشرط الثاني: يجب أن تكون المقدمة الصغري موجبة، سواء أكانت كلية أم جزئية.

وقد جعل ارسطو الاخلال بشرط من هذين الشرطين سلبًا لكمال القياس، وقصورًا له عن الانتاج، فيقول:" وأما إذا وجد أحد الحدود كليًا والآخر جزئيًا، وكان الكلي هوالرأس الكبير: موجبًا كان ذلك أو سالبًا، وكان الجزئي هو الرأس الصغير، وكان

---

[٤٤] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر ، ص ٥٩أ.

موجبًا من الاضطرار أن يكون قياسًا كاملًا. وأما إذا كان الكلي هو الصغير أو وجدت الحدود علي غير ما وصفنا كائنًا ما كان، فليس يمكن أن يكون قياسًا"[٤٥].

وقد إلتزم نهج أرسطو كل من الفارابي[٤٦]، وابن سينا[٤٧] والغزالي[٤٨].

ووافقهم صدر الشريعة قائلًا:" فضروب الأول أربعة كلية مع موجبه أو سالبه وكذا الجزئية وقوله: (كلية) أي موجبه كلية صغري ولم يذكر الموجبة إذ فهم ذلك من اشتراط إيجاب الصغرى وقوله: (مع موجبه أو سالبه) أي مع موجبه كلية كبري أو سالبه كلية كبري وقد فهم الكلية من اشتراط كلية كبري ونتيجتها المحصورات"[٤٩].

الأضرب المنتجة للشكل الأول: اتفق المناطقة علي أن الاضرب المنتجة في هذا الشكل أربعة أضرب، وسوف أعرضها في الجدول التالي:

الأضرب المنتجة	**الفارابي**[٥٠]	**ابن سينا**[٥١]	**الغزالي**[٥٢]
الضرب الأول	كل إنسان حيوان كل حيوان حساس	كل ج أ كل ب أ	كل مسكر خمر كل خمر حرام

[٤٥] [منطق ارسطو]: عبد الرحمن بدوي، ج١، كتاب التحليلات الأولي، ص١٤٩.

[٤٦] [المنطق عند الفارابي]: رفيق العجم ج٢،ص٢٢.

[٤٧] [الإشارات والتنبيهات]: ابن سينا، مصدر سابق، ص(٣٨٧، ٣٨٨)، [النجاة]: ابن سينا، ص٤٥.

[٤٨] [معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي، مصر سابق، ص ٨٩.

[٤٩] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص ٩٦ب.

[٥٠] انظر بتصرف[المنطق عند الفارابي]: رفيق العجم ج٢،ص٢٤.

[٥١] انظر بتصرف[النجاة في المنطق والإلهيات] ابن سينا. مصدر سابق، ص٤٥.

[٥٢] [معيار العلم في فن المنطق]: ص ١٤٩.

ينتج	**فكل إنسان حساس**	**فكل ج أ**	**فكل مسكر حرام**
الضرب الثاني	بعض الاجسام حيوان كل حيوان حساس	بعض ج ب كل ب أ	كل مسكر خمر لا خمر واحد حلال
ينتج	**بعض الاجسام حساس**	**بعض ج أ**	**لا مسكر واحد حلال**
الضرب الثالث	كل إنسان حيوان لا حيوان واحد حجر	كل ج ب لا شيء ما هو ب أ	بعض الاشربة خمر كل خمر حرام
ينتج	**لا إنسان واحد حجر**	**لا شيء مما هو ج أ**	**بعض الاشربة حرام**
الضرب الرابع	بعض الأجسام حيوان لا حيوان واحد حجر	بعض ج ب لا شيء من ب أ	بعض الاشربة خمر لا خمر واحد حلال
ينتج	**بعض الأجسام ليس بحجر**	**ليس بعض ج أ**	**ليس كل شراب حلال**

أما عن الاضرب المنتجة عند صدر الشريعة: هي " (فالضرب الأول) أي موجبه كلية مع موجبه ينتج موجبه كلية ،و(الضرب الثاني) أي موجبه كلية مع سالبه كلية ينتج سالبه كلية، و(الضرب الثالث) أي موجبه جزئية مع موجبه كلية ينتج موجبه جزئية، و(الرابع) أي موجبه جزئية مع سالبه كلية ينتج سالبه جزئية؛ لأن كل أفراد الأصغر وبعضها إذا كانت من أفراد الأوسط فإذا حكمت علي كل من أفراد الأوسط بثبوت الأكبر، وسلبه يكون هذا حكمًا علي أفراد الأصغر وعلي بعضها، وتبين من هذا ان النتيجة تتبع اخس المقدمتين أي إن كانت إحداهما جزئية فالنتيجة جزئية، وإن كانت سالبة فالنتيجة سالبة"[٥٣].

[٥٣] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص٩٧أ.

بناء علي ما سبق عرضه، يتضح مدي الاتفاق بين صدر الشريعة والمناطقة. من حيث الشروط، ومجمل هيئة الشكل الأول هي:

الأضرب المنتجة	المقدمة الصغرى	المقدمة الكبرى	النتيجة
الضرب الأول	موجبة كلية	موجبة كلية	موجبة كلية
الضرب الثاني	موجبة كلية	سالبة كلية	سالبة كلية
الضرب الثالث	موجبة جزئية	موجبة كلية	موجبة جزئية
الضرب الرابع	موجبة جزئية	سالبة كلية	سالبة جزئية

الشكل الثاني: وهو ما يكون فيه الحد الأوسط محمولًا في المقدمتين، يوضح ذلك أرسطو بقوله:" وإذا كان شيء واحد بعينه مقولًا علي شيء بكليته، وغير مقول علي آخر، البيه، أو مقولا علي كل شيء من واحد، فإني اسمي ما كان مثل هذا: الشكل الثاني، واسمي القول علي كليهما: الأوسط، واللذين يقال هذا عليهما الرأسين، وأفرض الكبير من الرأسين: الموضوع عند الأوسط، والأوسط متقدمًا في الموضع علي الرأسين"[٥٤].

وهيئة الشكل الثاني عند ارسطو هي:

المقدمة الكبرى: ب أ المقدمة الصغرى: ج أ

النتيجة: ج ب[٥٥] .

وقد وافق أرسطو كل من (الفارابي، وابن سينا، والغزالي) علي هيئة الشكل الأول، أكد ذلك الفارابي قائلًا: "كل جسم مؤلف ولا أزلي واحد مؤلف فيلزم عنه ولا جسم

---

[٥٤] [منطق ارسطو]: عبد الرحمن بدوي، ج١، كتاب التحليلات الأولي، ص(١٥٢، ١٥٣).

[٥٥] [المنطق الصوري منذ ارسطو حتي عصورنا الحاضرة]: النشار، دار المعرفة الجامعية الازاريطة الاسكندرية، ط ٥سنة(٢٠٠٠م)، ص٩٢، ص٤٠٩.

واحد أزلي. فالمشترك في مقدمتي هذا القياس المؤلف وهو محمول علي الطرفين الباقيين، والمقدمة الصغرى ههنا هي التي موضوعها هو موضوع النتيجة، وهي قولنا: (كل جسم مؤلف)، والكبرى هي التي محمول النتيجة وهي قولنا ولا أزلي واحد مؤلف. وما كان من المقاييس ترتب فيها الحد الأوسط هذا الترتيب وهو أن يكون محمولًا علي الطرفين تسمي مقاييس الشكل الثاني، والمقدمة الكبرى في هذا القياس هي سالبة عامية والصغرى هي موجبة عامية"[٥٦]. وتابعه ابن سينا بقوله:" مثل قولك كل (ج ب)، ولا شيء من (أ ب) فنقول أنه ينتج لا شيء من (ج أ)"[٥٧]. والتزم نهجهم الغزالي بقوله:" إذا وجدت شيئين ثم وجدت شيئا ثالثا محمولا على أحد الشيئين بالإيجاب وعلى الآخر بالسلب، فيعلم التباين بين الشيئين بالضرورة، فإنهما لو لم يتباينا لكان يكون أحدهما محمولا على الآخر ولكان الحكم على المحمول حكما على الموضوع، كما سبق في الشكل الآخر، فإذن كل شيئين هذا صفتهما فهما متباينان أي يسلب هذا عن ذاك وذاك عن هذا"[٥٨].

ولم يختلف **صدر الشريعة** عمّن سبقه من المناطقة علي هيئة الشكل الثاني قائلًا:" والثاني كذا أي ضروب الشكل الثاني أربعة صغري كلية موجبه أو سالبه جزئية كذا"[٥٩]. وبناء عليه يتضح اتفاق صدر الشريعة مع المناطقة علي هيئة الشكل الثاني.

---

٥٦ [المنطق عند الفارابي]: رفيق العجم ج٢،ص٧٧.

٥٧ [النجاة في المنطق والإلهيات] ابن سينا. مصدر سابق، ص٤٦.

٥٨ [معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي، مصر سابق، ص ٩٠.

٥٩ [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص٩٧أ.

شروط الإنتاج من الشكل الثاني: لكي يكون الشكل الثاني من أشكال القياس منتجًا اشترط المناطقة شرطين لا بد منهما: الشرط الأول: كلية المقدمة الكبرى. وذلك لأنه ما دامت إحدى المقدمتين سالبة بحسب القاعدة السابقة، فلا بد أن تكون النتيجة سالبة بناًء علي أن (النتيجة تتبع أخس المقدمتين)، وبالتالي فسيكون محمولها مستغرقًا، لأن السوالب تستغرق المحمول، ولما كان هذا المحمول المستغرق هو الحد الأكبر، فلا بد أن يكون مستغرقًا في المقدمة متى ورد فيها وهي المقدمة الكبرى. ولما كان هذا الحد هو موضوع المقدمة الكبرى، فلا بد لكي يكون مستغرقًا أن تكون هذه المقدمة كلية، لأن الكليات هي وحدها التي تستغرق الموضوع"[٦٠].

الشرط الثاني: اختلاف المقدمتين في الكيف، "وذلك لأن الحد الأوسط محمولًا في المقدمتين، فلكي نستوفي شرط استغراق الحد الأوسط في إحدى المقدمتين علي الأقل، فلا بد أن تكون إحدى المقدمتين سالبة، لأن السوالب وحدها هي التي تستغرق المحمول. فإذا كانت المقدمتان موجبتين فلن يكون الحد الأوسط مستغرقًا في أي منهما"[٦١].

ما ذهب إليه صدر الشريعة الأصغر: عبّر عن ذلك صدر الشريعة بقوله: " وأما في الشكل الثاني: فانه إذا كان الصغرى موجبه فالأوسط محمول علي الأصغر كقولنا: (كل إنسان حيوان) فلا بد أن تكون الكبرى سالبه لوجوب اختلاف المقدمتين في

---

[٦٠] انظر بتصرف [مدخل إلي المنطق الصوري]: محمد مهران، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة،، ص(٢٣٩، ٢٤٠).

[٦١] [مدخل إلي المنطق الصوري]: محمد مهران، مصدر سابق، ص(٢٣٩، ٢٤٠).

الكيف فإن كان سالبه جزئية يحصل الاختلاف الموجب للعقم إذ يصدق: (ليس بعض الجسم بحيوان)، ويصدق (ليس بعض الجماد بحيوان) فالحيوان المحمول علي الإنسان في الصغرى يسلب جزئيا عن موافقة وهو (الجسم) وعن مخالفه وهو (الجماد)، والحق في الأول الإيجاب، وفي الثانية السلب، وان كانت الصغرى سالبه نحو:(لا شيء من الإنسان بجماد) فالجماد وهو المسلوب عن الإنسان (بعض الحجر جماد) والحق في الأول الإيجاب وفي الثاني السلب[٦٢].

وبتطبيق هذه الشروط ينتج أربعة أضرب، وأكد ذلك أرسطو[٦٣]، والفارابي[٦٤]، وابن سينا[٦٥] والغزالي[٦٦]، وسوف أجملها في هذا الجدول.

الأضرب المنتجة	الفارابي	ابن سينا	الغزالي
الضرب الأول	كل جسم مؤلف لا أزلي واحد مؤلف	كل ج ب لا شيء من أ ب	كل ثوب فهو مزروع لا ربوي واحد مزروع
ينتج	**لا جسم واحد أزلي**	**لا شيء من ج أ**	**لا ثوب واحد ربوي**
الضرب الثاني	لا جسم واحد منفك من حدث كل أزلي منفك من حدث	لا شيءمن ج ب كل أ ب	لا ربوي واحد مزروع كل ثوب فهو مزروع
ينتج	**لا جسم واحد أزلي**	**لا شيء من ج أ**	**لا ربوي واحد ثوب**
الضرب الثالث	موجود ما مؤلف لا أزل واحد مؤلف	بعض ج ب لا شيء من أ ب	متمول ما مزروع لا ربوي واحد مزروع
ينتج	**موجود ما ليس بأزلي**	**ليس بعض ج أ**	**متمول ما ليس بربوي**

[٦٢] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر (٩٥أ، ٩٥ب).

[٦٣] [منطق ارسطو]: عبد الرحمن بدوي، ج١، كتاب التحليلات الأولي، ص(١٥٣، ١٥٤).

[٦٤] [المنطق عند الفارابي]: رفيق العجم ج٢،ص (٧٧، ٧٨).

[٦٥] [النجاة في المنطق والإلهيات] ابن سينا. مصدر سابق، ص(٤٦، ٤٧).

[٦٦] [معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي، مصر سابق، ص (٩١، ٩٢).

الضرب الرابع	موجود ما ليس بجسم كل مترك جسم	ليس كل ج ب كل أ ب	متمول ما ليس بربوي كل مطعوم ربوي
ينتج	**ليس كل موجود متحركًا**	**ليس كل ج أ**	**متمول ما ليس بمطعوم**

الضروب المنتجة من الشكل الثاني عند صدر الشريعة: " (الضرب الأول) أن يكون الصغرى كلية موجبه، وفهم من هذا أن يكون الكبرى سالبه كلية لوجوب كلية الكبرى واختلاف المقدمتين و(الضرب الثاني) كلية سالبه فلا بد أن يكون الكبرى موجبه كلية لما ذكرنا، و(الضرب الثالث) أن يكون الصغرى موجبه جزئية فلا بد أن يكون الكبرى سالبه كلية لما مر و(الضرب الرابع) أن يكون الصغرى سالبه جزئية"[٦٧].

الشكل الثالث: هيئته عند أرسطو: فإن كانا جميعًا مقولين علي شيء واحد بعينه أحدهما موجود في كله، والآخر غير موجود في شيء منه، أو كلاهما موجودين في كله، أو غير موجودين في شيء منه. فإني اسمي هذا (الشكل الثالث)، والأوسط هو الذي يقالان عليه، والرأسان هما المقولان، والكبير منهما أبعد من الأوسط، والصغير أقربهما منه، والأوسط يوضع خارجًا من الرأسين أخيرًا في الوضع"[٦٨].

وبذلك يكون الحد الأوسط موضوعًا في المقدمتين علي النحو التالي:

المقدمة الكبرى: كل أ ب المقدمة الصغرى: كل أ ج ، ينتج: بعض ج ب"[٦٩].

---

[٦٧] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص٩٧أ.

[٦٨] [منطق ارسطو]: عبد الرحمن بدوي، ج١، كتاب التحليلات الأولي، ص١٥٨.

[٦٩] انظر بتصرف: [المنطق الصوري منذ ارسطو حتي عصورنا الحاضرة]: النشار، مصدر سابق، ص٤١٠.

وأكد ذلك كل من الفارابي[٧٠]، وابن سينا[٧١]، والغزالي[٧٢] ، **وجاء صدر الشريعة** بهيئة الشكل الثالث موافقًا من سبقه من المناطقة قائلًا:" فالوسط إما محمول الصغرى موضوع الكبرى فشكل أول وعكسه رابع، أو محمول فثان أو موضوعها فثالث "[٧٣].

وهيئة الشكل الثالث: هي المقدمة الصغرى: كل ب ج ، المقدمة الكبرى: كل ب أ النتيجة: بعض ج أ[٧٤]. وفيما سبق لا نجد خلافًا بين المناطقة علي هيئة الشكل الثالث.

ذهب صدر الشريعة إلي أن الأضرب المنتجة من الشكل الثالث ستة أضرب بقوله: " وضروب الثلاثة ستة ؛لأن الصغرى لا بد أن تكون موجبه. فان كانت كلية ينتج مع المحصورات الأربع، وان كانت جزئية ينتج من الكليتين فيكون ستة موجبه كلية مع مثلها، أو مع سالبه كلية موجبتان والصغرى والكبرى جزئية موجبه جزئية مع سالبه كلية موجبه كلية مع سالبه جزئية ونتيجة جزئية فقط موجبه وسالبه"[٧٥].

---

٧٠ [المنطق عند الفارابي]: رفيق العجم ج٢،ص ٧٩.

٧١ [عيون الحكمة] ابن سينا ، حققه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت لبنان، ط٢ سنة (١٩٨٠م)، ص٦.

٧٢ [معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي، مصر سابق، ص٩٣.

٧٣ [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص٩٥أ.

٧٤ [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص ٩٧ب.

٧٥ [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص ٩٧ب.

يتضح مما سبق الاتفاق التام بين صدر الشريعة والمناطقة في تناول الشكل الثالث، وذلك من خلال هيئته، والشروط اللازمة لإنتاجه، وضروبه المنتجة، ونتائجها الموجبة والسالبة.

الشكل الرابع[٧٦]:

هيئته وشروطه : هو أن يكون الحد الأوسط فيه موضوعًا في الصغرى ومحمولًا في الكبرى، وهو بذلك يكون علي عكس الشكل الأول، وهو ما يتضح من قول الآمدى: " الحد الأوسط بالنسبة إلي الحدين المختلفين في مقدمتي الاقتران....موضوعًا للأصغر ومحمولًا علي الأكبر"[٧٧].

يؤكد ذلك كل من (نصير الدين الطوسي، والبيضاوي[٧٨]، ونجم الدين الكاتبي[٧٩]) فيقول الطوسي:" فإن كان محمول الصغرى وموضوع الكبرى فهو أول الأشكال، وإن كان محمولهما معًا فثانيها، أو موضوعهما فثالثها، وعلي العكس الأول فرابعها"[٨٠].

وعبّر عنه صدر الشريعة بقوله:" فالوسط إما محمول الصغرى موضوع الكبرى فشكل أول وعكسه رابع"[٨١]. وبناءً عليه يبدو الاتفاق جليًا بين صدر الشريعة ومن سبقه من المناطقة علي هيئة الشكل الرابع.

---

[٧٦] لم يذكره ارسطو، والفارابي، وابن سينا، والغزالي.

[٧٧] [المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين] سيف الدين الآمدى، مصدر سابق ، ص ٨٢.

[٧٨] [طوالع الأنوار من مطالع الأنظار]: البيضاوي، تحقيق عباس سليمان، مصدر سابق، ص٦٢.

[٧٩] [تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية] قطب الدين الرازي، مصدر سابق، ص٤٠٥.

[٨٠] [تجريد المنطق]: نصير الدين الطوسي، مصدر سابق، ص٣٠.

شروط الانتاج من الشكل الرابع: اتفق المناطقة المتقدمون علي شرطًا واحدًا لإنتاج هذا الشكل وهو: إما إيجاب المقدمتين مع كلية الصغرى، واما اختلافهما في الإيجاب والسلب مع كلية إحداهما، وهذا ما أكده صاحب شرح التذهيب علي التهذيب بقوله :"وفي الرابع إيجابهما مع كلية الصغرى، أو اختلافهما مع كلية إحداهما"[٨٢].

وتابعه صاحب الشمسية بقوله:" فشرطه بحسب الكمية والكيفية إيجاب المقدمتين مع كلية الصغرى، واختلافهما بالكيف مع كلية إحداهما، وإلا يحصل الاختلاف الموجب لعدم الإنتاج"[٨٣].

والعلة من هذا الشرط: "ذلك أن الحد الأوسط في هذا الشكل محمول الكبرى وموضوع الصغرى، والحد الأوسط ينبغي أن يكون مستغرقًا في احدي المقدمتين، ولن يستغرق في الكبرى لأنه محمول فيها، وهي موجبة. والموجبة لا تستغرق محمولها، فينبغي أن تكون الصغرى كلية، حتى يستغرق فيها، لأنه موضوع فيها، والكلية هي التي تستغرق موضوعها.

اما إذا كانت احدي المقدمتين سالبة، فالكبرى كلية. والسبب في هذا أنه إذا كانت احدي المقدمتين سالبة، فالنتيجة سالبة، والسالبة تستغرق محمولها ومحمول النتيجة

---

[٨١] [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص ٩٥أ.

[٨٢] [تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي علي التهذيب]: عبد المتعال الصعيدي، مصدر سابق ص ١٣٥.

[٨٣] [تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية] قطب الدين الرازي، مصدر سابق، ص٤٠٤.

هو موضوع الكبرى فينبغي أن يكون مستغرقًا في الكبرى ولا يتأتى هذا إلا إذا كانت الكبرى كلية"[٨٤].

وأكد نفس المعني صدر الشريعة قائلًا" وفي الرابع ان لا يجتمع خستان إلا عند إيجاب الصغرى وكون الكبرى سالبه كلية حين المراد بالخسيتين (الجزئية والسلب) سواء كانتا في مقدمة واحدة أو مقدمتين وقوله حين أي حين إيجاب الصغرى، والمراد الإيجاب الجزئي وقد فهم هذا من المتن ؛ لأن الصغرى ان كانت (لا شيء من الإنسان بفرس) فالإنسان يسلب عن الصهال والجماد ويحمل جزئيا علي الكاتب والحيوان. هذا دليل علي أن الخسيتين لا يجتمعان إلا عند إيجاب الصغرى فإنها ان كانت سالبه كقولنا: لا شيء من الإنسان بفرس يجب ان لا يكون الكبرى سالبه سواء كانت كلية أو جزئية، ولا موجبه جزئية إما الأولي كقولنا: (لا شيء من الصهال بإنسان)، والحق (كل فرس صهالا) ولو قلنا: (لا شيء من الجماد بإنسان)، فالحق (لا شيء من الفرس بجماد)، وإما الثانية وهي الموجبة الجزئية كقولنا: (بعض الكاتب إنسان) فالحق (لا شيء من الفرس بكاتب) ولو قلنا:(بعض الحيوان إنسان) فالحق (كل فرس حيوان)، وان كانت هي (بعض الحيوان إنسان) يحمل الحيوان كليا وجزئيا علي الفرس والكاتب ويسلب جزئيا عن الجسم والجماد"[٨٥].

---

[٨٤] [المنطق الصوري منذ ارسطو حتي عصورنا الحاضرة]: النشار، مصدر سابق، ص(٤٤٠، ٤٤١).

[٨٥] انظر بتصرف: [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص(٩٦أ، ٩٦ب).

الأضرب المنتجة من الشكل الرابع: بتطبيق شرط الإنتاج من هذا الشكل تكون الأضرب المنتجة منه ثمانية أضرب، وذلك علي النحو التالي:

الأضرب المنتجة	المقدمة الصغرى	المقدمة الكبرى	النتيجة
الضرب الأول	موجبة كلية	موجبة كلية	موجبة جزئية
الضرب الثاني	موجبة كلية	موجبة جزئية	موجبة جزئية
الضرب الثالث	موجبة كلية	كلية سالبة	سالبة جزئية
الضرب الرابع	موجبة كلية	سالبة جزئية	سالبة جزئية
الضرب الخامس	موجبة جزئية	سالبة كلية	سالبة جزئية
الضرب السادس	كلية سالبة	موجبة كلية	سالبة جزئية
الضرب السابع	سالبة جزئية	موجبة كلية	سالبة جزئية
الضرب الثامن	كلية سالبة	موجبة جزئية	سالبة جزئية

وهو ما قال به نجم الدين الكاتبي حين قال: وضروبه الناتجة ثمانية"[٨٦]. وبيان هذه الأضرب في الجدول التالي:

الأضرب المنتجة	المقدمة الصغرى	المقدمة الكبرى	النتيجة
الضرب الأول	كل ب ج	كل أ ب	بعض ج أ
الضرب الثاني	كل ب ج	بعض أ ب	بعض ج أ
الضرب الثالث	لا شيء من ب ج	كل أ ب	لا شيء من ج أ
الضرب الرابع	كل ب ج	لا شيء من أ ب	بعض ج ليس أ
الضرب الخامس	بعض ب ج	لا شيء من أ ب	بعض ج ليس أ
الضرب السادس	بعض ب ليس ج	كل أ ب	بعض ج ليس أ
الضرب السابع	كل ب ج	بعض أ ليس ب	بعض ج ليس أ

[٨٦] [تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية] قطب الدين الرازي، مصدر سابق، ص٤٠٤.

الضرب الثامن	لا شيء من ب ج	بعض أ ب	بعض ج ليس أ

وبناءً عليه يمكن ملاحظة توفر شرط الإنتاج من هذا الشكل، وللتحقق من النتائج في الأمثلة السابقة صنعنا الجدول التالي:

الأضرب المنتجة	المقدمة الصغرى	المقدمة الكبرى	النتيجة
الضرب الأول	موجبة كلية	موجبة كلية	موجبة جزئية
الضرب الثاني	موجبة كلية	موجبة جزئية	موجبة جزئية
الضرب الثالث	سالبة كلية	موجبة كلية	سالبة كلية
الضرب الرابع	موجبة كلية	سالبة كلية	سالبة جزئية
الضرب الخامس	موجبة جزئية	سالبة كلية	سالبة جزئية
الضرب السادس	جزئية سالبة	موجبة كلية	سالبة جزئية
الضرب السابع	كلية موجبة	جزئية سالبة	سالبة جزئية
الضرب الثامن	كلية سالبة	موجبة جزئية	سالبة جزئية

وأكد ذلك الخبيصي في التهذيب[٨٧]. ثم جاء من بعده البيضاوي ليردد المعني نفسه فيقول:" أن يستدل بصدق الأصغر علي كل الأكبر، أو بعضه علي صدق الأكبر علي بعض الأصغر، أو بصدقة علي كله أو بعضه، وسلب الأوسط عن كل الأكبر علي سلب الأكبر عن بعض الأصغر، أو بسلب الاصغر عن كل الأوسط، وصدقه علي كّل الأكبر علي سلب الأكبر عن كل الأصغر"[٨٨].

---

٨٧ [تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي علي التهذيب]: عبد المتعال الصعيدي، مصدر سابق ص(١٣٦، ١٣٧).

٨٨ [طوالع الأنوار من مطالع الأنظار]: البيضاوي، تحقيق عباس سليمان، مصدر سابق، ص(٦٢، ٦٣).

ويقول صدر الشريعة في المعني نفسه:" وضروب الرابع ثمانية خمسة منها ينتج مطلقا وثلاثة منها يختص ببعض القضايا كما سيأتي ؛ وإنما انحصر في الخمسة؛ لأن الصغرى إن كانت موجبه كلية لا ينتج إلا مع السالبة الجزئية ؛لأن علي تقدير اجتماع الخسيتين لا بد أن يكون الكبرى سالبه كلية.

حصل ثلاثة اضرب – فإن كانت الصغرى موجبه جزئية يجب أن يكون الكبرى سالبه كلية لما مر، – وإن كانت الصغرى سالبه كلية يجب كون الكبرى موجبه كلية لئلا يجتمع الخستان عند سلب الكبرى ،ولا يمكن أن تكون الصغرى سالبه جزئية لهذا المعني.

موجبتان كليتان ينتج جزئية، موجبتان والكبرى جزئية ينتج جزئية. والسادس سالبه جزئية يصدق عليها العرفي الخاص مع موجبه كلية فيصدق عليها العرفي العام ونتيجته كالثاني لأنا نعكس الصغرى فيرتد إلي الشكل الثاني.

والسابع عكسه ونتيجة كالثالث، أي موجبه كلية يصدق عليها العرفي العام مع كبري سالبه جزئية يصدق عليها العرفي الخاص لأنا نعكس الكبرى ليرتد إلي الشكل الثالث.

والثامن سالبه كلية يصدق عليها العرفي الخاص مع موجبه جزئية يصدق عليها العرفي العام ينتج سالبه جزئية"[٨٩]. وبيان ذلك في الجدول التالي:

الأضرب المنتجة	المقدمة الصغرى	المقدمة الكبرى	النتيجة
الضرب الأول	كلية موجبة	كلية سالبة	جزئية سالبة
الضرب الثاني	جزئية موجبة	كلية سالبة	جزئية سالبة

[٨٩] انظر بتصرف: [شرح تعديل العلوم]: صدر الشريعة الأصغر، ص (٩٧ ب، ٩٨ب).

الضرب الثالث	كلية سالبة	جزئية موجبة	جزئية سالبة
الضرب الرابع	كلية موجبة	كلية موجبة	جزئية موجبة
الضرب الخامس	كلية موجبة	جزئية موجبة	جزئية موجبة
الضرب السادس	جزئية سالبة	كلية موجبة	جزئية سالبة
الضرب السابع	كلية موجبة	جزئية سالبة	جزئية سالبة
الضرب الثامن	كلية سالبة	جزئية موجبة	جزئية سالبة

وخالفهم في ذلك الطوسي؛ لأنه وضع خمسة شروطً للإنتاج من الشكل الرابع قائلًا: إن كانت مقدمتاه سالبتين لم تلزم منهما موجبة، لم يعرف حال الحدين: أمتلاقيان خارج الأوسط؟ أم متبائنان؟

وإن كانتا جزئيتين لم يعرف هل اتحد البعض المحكوم عليه والبعض المحكوم به من الأوسط حتي يكون مورد الحدين واحدًا أم لا؟

وان كانت الصغرى سالبة صرفة، والكبرى جزئية لم يعرف حال الأصغر هل تلاقي الأكبر خارج الأوسط، أم لا؟

وهذه هي الشروط العامة[٩٠]، ثم إن كانت صغري الموجبتين جزئية، أو اجتمع السلب والجزئية فيها بحيث لا ينعكس، وكانت الكبرى لا محالة موجبة كلية تعلق الحكم في كل مقدمة بجزء من الأوسط، ولم يعرف اهما متحدان، أم لا؟ وبالعكس في الاخير يتعلق الحكم بجزئين من الحدين الأخيرين، ولم يعرف امتلاقيان، ام لا؟"[٩١].

---

[٩٠] وبيان ذلك أنه أشترط ثلاثة شروط عامة هي: إيجاب إحدى المقدمتين، كلية إحدى المقدمتين، أن لا تكون الصغرى سالبة بسيطة والكبرى جزئية.

[٩١] [تجريد المنطق]: نصير الدين الطوسي، مصدر سابق، ص٣٨.

وبناءً علي ما ذكر الطوسي من شروط تكون الأضرب المنتجة من الشكل الرابع هي خمسة فقط وبيانها قوله: " فالضرب الأول من موجبتين كليتين، كقولنا: (كل إنسان حيوان)،(وكل ناطق إنسان).

والثاني: من موجبتين كبراهما جزئية، وتنتجان جزئية، لاحتمال أن يكون الأصغر أعم من الأكبر.

والثالث من كليتين صغراهما سالبة، وينتج كلية. والرابع من كليتين كبراهما سالبة. والخامس من صغرى موجبة جزئية، وكبري سالبة كلية، وتنتجان جزئية أيضًا لما مر"[٩٢]. وبيان ذلك في الجدول التالي:

الأضرب المنتجة	المقدمة الصغرى	المقدمة الكبرى	النتيجة
الضرب الأول	كلية موجبة كل ج ب	كلية موجبة كل أ ب	جزئية موجبة بعض ب أ
الضرب الثاني	كلية موجبة كل ج ب	جزئية موجبة بعض أ ج	جزئية موجبة بعض ب أ
الضرب الثالث	كلية سالبة لا شيء من ج ب	كلية موجبة كل أ ج	كلية سالبة لا شيء من ب أ
الضرب الرابع	كلية موجبة كل ج ب	كلية سالبة لا شيء من أ ج	جزئية سالبة ليس بعض ب أ
الضرب الخامس	جزئية موجبة بعض ج ب	كلية سالبة لا شيء من أ ج	جزئية سالبة ليس بعض ب أ

[٩٢] [تجريد المنطق]: نصير الدين الطوسي، مصدر سابق، ص٣٨، [الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد]: جمال الدين حسن ابن يوسف الحلي، مصدر سابق، ص١٣٤، وما بعدها.

أوجه الاتفاق والاختلاف:

بمقارنة الجداول السابقة يتضح الاتفاق التام بين صدر الشريعة، ونجم الدين، والبيضاوي، والخبيصي، في هيئة الشكل الرابع والشروط، وعدد الأضرب المنتجة من الشكل الرابع.

مواضع الاختلاف:

- ❖ اختلف المناطقة فيما بينهم في ترتيب الأضرب، ويعلل ذلك صاحب الشمسية بقوله: وترتيب هذه الضروب ليس باعتبار إنتاجها، لأنها لبعدها عن الطبع لم يعتد بإنتاجها، بل باعتبار أنفسها"[٩٣].
- ❖ اختلف صدر الشريعة مع المناطقة علي هيئة الضرب الثامن حيث جعل المقدمة الصغرى من كلية سالبة، وجزئية موجبة، وهو بذلك يكرر الضرب الثالث عنده، ولعل ذلك خطأ من الناسخ، واعتقد أن الأصح هو كلية سالبة صغرى، وكلية موجبة كبرى.
- ❖ وضع الطوسي شروط للإنتاج من الشكل الرابع وليس شرطًا واحدًا، وبناءً علي هذه الشروط، أصبح عدد الأضرب خمسة فقط.
- ❖ اختلف صدر الشريعة مع المناطقة في ترتيب الضروب.
- ❖ واختلف مع الطوسي في الشروط وعدد الأضرب المنتجة من الشكل الرابع.

---

[٩٣] [تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية] قطب الدين الرازي، مصدر سابق، ص٤٠٨.

المصادر والمراجع

[الإحكام في أصول الأحكام]: علي بن محمد الآمدى أبو الحسن، علق عليه عبد الرازق عفيفي، دار الصميعي ،الرياض السعودية ط١سنة(١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م).

[الإشارات والتنبيهات]،ابن سينا: تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، بمصر.

[الاعتراضات الواردة علي القياس]: رسالة دكتوراه، محمد يوسف آخند جان نيازي، إشراف د/أحمد فهمي أبو سنة سنة (١٤١٦ – ١٩٩٥م).

[البصائر النصيرية في علم المنطق] القاضي الزاهد زين الدين عمر ابن سهلان الساوي، ط١ بالمطبعة الكبري الاميرية ببولاق سنة(١٣١٦ هـ – ١٨٩٨م).

[الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد]: جمال الدين حسن ابن يوسف الحلي، الناشر انتشارات بيدار ١٣٦٣هـ، بدون عدد طبعة،

[المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين] سيف الدين الآمدى ،تحقيق د/حسن الشافعي، مكتبة وهبة القاهرة، ط٢ سنة١٤١٣هـ – ١٣٩٣م .

[الرد على المنطقيين]: ابن تيمية، حققه عبد الصمد شرف الدين، مؤسسة الريان بيروت لبنان، ط١ سنة(١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).

[المعتبر في الحكمة]: ابن ملكا البغدادي، الطبعة الاولي تحت ادارة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة (١٣٥٧هـ – ١٩٣٣م).

[المعجم الوسيط]:تحقيق : مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤سنة(١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م).

[المنطق الاشراقي عند شهاب الدين السهراوردي]: محمود محمد علي، مصر العربية للنشر والتوزيع، حمامات القبة القاهرة، ط١ سنة ١٩٩٩م.

[المنطق عند الفارابي]: رفيق العجم، دار المشرق بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

[النجاة]: ابن سينا، تحقيق عبد الرحمن عميره، دار الجيل بيروت لبنان،ط١، (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

[تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي علي التهذيب]: عبد المتعال الصعيدي، الناشر مكتبه الآداب بالجما بيزت القاهرة، المطبعة النموذجية القاهرة، ط٣، بدون تاريخ طبع.

[تجريد المنطق]: نصير الدين محمد ابن الحسن الطوسي(ت ٦٧٢هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، ط١ ،سنة (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨).

[تحرير القواعد المنطقية، مع شرح الرسالة الشمسية] لنجم الدين عمر بن علي القزويني: قطب الدين محمود بن محمد الرازي، ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، (ب.ت).

[دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون]، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول تحقيق : حسن هاني، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – (١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م) ط الأولى.

[شرح الكوكب المنير]: ابن النجار (ت : ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط٢،(١٤١٨هـ – ١٩٩٧م).

[طوالع الانوار من مطالع الانظار]: البيضاوي، تحقيق عباس سليمان، دار الجيل بيروت المكتبة الازهرية للتراث القاهرة، ط١سنة(١٤١١هـ – ١٩٩١م).

[مجموع الفتاوى]: ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين، الرياض السعودية، بدون عدد الطبعة أو تاريخها.

[مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول للشيخ محمد بن فراموز بن علي المعروف بملا خسرو]: رسالة دكتوراه، أحمد بن محمد بن صالح عزب.

[مطالع الانوار مع شرح لوامع الاسرار]: سراج الدين محمود بن ابي بكر الارموي، دار الطباعة العامرة بدار الخلافة الظاهرة، بنظارة محمد لبيب، ١٢٧٧هـ.

[معيار العلم في فن المنطق]: الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر ١٩٦١ م.

[منطق ارسطو]: عبد الرحمن بدوي، ج١، كتاب التحليلات الأولي.

[منطق المشرقيين]: ابن سينا، المكتبة السلفية السكة الجديدة بمصر، القاهرة،١٩١٠.

[نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الاصول]: عيسي مينون، مطبعة التضامن الأخوي، شارع كفر الزغاري بمعطفه الشماع نمرة ٨ بمصر، ط١ سنة ١٣٤٥هـ.

[نظرية العلم الارسطية]: مصطفي النشار، دار المعارف كورنيش النيل القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

[المنطق الصوري منذ أرسطو حتي عصورنا الحاضرة] علي سامي النشار، دار المعرفة الجامعية الازاريطة الاسكندرية، ط ٥سنة(٢٠٠٠م).

[عيون الحكمة] ابن سينا ، حققه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت لبنان، ط٢ سنة (١٩٨٠م).

[مدخل إلي المنطق الصوري]: محمد مهران، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩٤.

[النجاة]: ابن سينا، تحقيق عبد الرحمن عميره، دار الجيل بيروت لنان،ط١، (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

الرضاع والحضانة بين المسلمين وغير المسلمين

الباحث

عبد الفتاح عبد القادر جمعة النجار

يناير ٢٠١٥

الرضاع والحضانة بين المسلمين وغير المسلمين

إعداد الباحث
عبدالفتاح عبدالقادر جمعة النجار

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ثم أما بعد

كثيرا ما نجد اشكاليات عن المسلمين حينما توجب الظروف أن تكون غير المسلمة زوجة للمسلم ويترتب على ذلك أن تكون مرضعة أو حاضنة لأولاد المسلمين الذين يعيشون في البلاد غير الإسلامية ومعلوم أن الأم أقرب الناس إلى ولدها وأكثرهم شفقة وحنانا عليه، ولبنها أفضل له مما عداه باتفاق الأطباء، لما يشتمل عليه من العناصر التى تلائم حال الولد، وتتناسب ودرجات سنه، والله تعالى يمد المرأة إذا ولدت باللبن الكافى لتغذية مولودها، وقد أودع فى قلبها من الشفقة والحنان ما يحملها على المواظبة والسهر على إرضائه، وعدم التضرر من ذلك، لأنه ولدها خرج من بطنها وهو جزء منها، لذا نجد النصوص الشرعية جاءت تأمر

الوالدات بإرضاع أولادهن كقوله تعالى {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة:٢٣٣]

قد جاء فى الأثر: ((ليس لبن يرضع به الصبى أعظم بركة عليه من لبن أمه))[١]. فيجب على الأم أن ترضع وليدها من باب التدين، سواء كانت فى عصمة أبيه أم مطلقة منه، فإن امتنعت عنه مع القدرة عليه كانت مسئولة عن ذلك أمام الله تعالى، وهناك خلاف بين الفقهاء فى الحالات التى تجبر فيها الأم على إرضاع ولدها لا حاجة للدخول فى تفاصيلها ، لأنها ليست موضع بحثنا ، والذى يعنينا هنا أن بعض هذه الحالات قد تقع ويحصل مع تنافر بين الزوجين يكون ضحيته الطفل الرضيع، وحالات أخرى كوفاة الأم أو إصابتها بالمرض لا تستطيع معه أن ترضع وليدها مما يترتب عليه أن يجبر أولياء الطفل على إيجاد مرضعة له تقوم مكان أمه فتكفله وترضعه ، فهل يشترط فى المرضعة أن تكون مسلمة إذا كان الولد مسلما؟ وهل يجوز للمسلمة أن ترضع أولاد غير المسلمين؟ وما هو حكم حضانة غير المسلمة للمسلم هذا ما سنبحثه فى هذا البحثبفضل الله وتوفيقة.

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة

المبحث الأول: الرضاع بين المسلمين وغير المسلمين وفيه مطلبان:

المطلب الأول:حكم إرضاع المسلمة أولاد غير المسلمين

المطلب الثاني : حكم إرضاع غير المسلمة أولاد المسلمين

المبحث الثانى : الحضانة بين المسلمين وغير المسلمين وفيه مطلبان

المطلب الأول : تعريف الحضانة ومشروعيتها

المطلب الثانى : حضانة غير المسلمة للمسلم

(١)أورده ابن رشد بصيغة التمريض عن النبىﷺ ، وبحثت عنه فى كتب الحديث فلم أجده لكن معناه صحيح ، وقول الأطباء يؤيده ، ينظر المقدمات الممهدات (١ /٤٩٦).

المبحث الأول
الرضاع بين المسلمين وغير المسلمين وفيه مطلبان

المطلب الأول : حكم إرضاع المسلمة أولاد غير المسلمين

نص الحنفية والمالكية والحنابلة[١] ، على جواز إرضاع المسلمة أولاد غير المسلمين.

جاء فى حاشية ابن عابدين: (يجوز للمسلمة أن تؤجر نفسها لإرضاع ولد الكافر[٢]).

وسئل الإمام مالك عن المرأة المسلمة ترضع ولدا نصرانيا؟ فقال: أما أن تعطيه ثديها، فلا أرى بذلك بأسا، وأما أن تذهب فتكون عندهم فى بيوتهم فلا يعجبنى، وكرهه[٣].

وعن مهنا بن يحيى الشامى: أنه سأل الإمام أحمد بن حنبل عن المرأة المسلمة تدخل على النصرانىواليهودى ترضع لهم الصبى من صبيانه؟ فرخص فيه[٤]، يقول الإمام المرداوى: (رخص الإمام أحمد –رضي الله عنه–فى مسلمة ترضع طفلا لنصارى بأجرة، لا لمجوسى .... وسوى غيره بينهما لإستواء البيع والإجارة[٥].

فكأنهم استدلوا على ذلك بجواز البيع والإجارة معهم، فإن النبىﷺ تعامل معهم وكذا الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وهذا ما صرح به صاحب المحيط البرهانى بقوله: (يجوز للمسلمة أن ترضع ولد الكافر بالأجر، فقد صح أن عليا رضي الله عنه أجرّ نفسه من كافر، ليسقى له[٦]).

---

(١)نظر: المحيط البرهانى (٧ /٤٥١)، الفتاوى الهندية (٤ /٤٣٤)، البيان والتحصيل (٥/١٥٤)، الإقناع فى فقه الإمام أحمد بن حنبل (٢/٢٨٧).

(٢)حاشية ابن عابدين (٦ /٥٣)، وينظر الفتاوى الهندية (٤ /٤٣٤).

(٣)ينظر: البيان والتحصين (٥ /١٥٤).

(٤)ينظر: أحكام أهل الملل ص ٣٨٧ .

(٥)الإنصاف (٦ /١٦)، وينظر: كشاف القناع (٣ /٥٥٣).

(٦)المحيط البرهانى (٧ /٤٥١) بتصرف.

المطلب الثاني :حكم إرضاع غير المسلمة أولاد المسلمين

للفقهاء فى هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: يجوز للمسلم أن يتخذ مرضعة غير مسلمة لولده الصغير.

وبه قال: إبراهيم النخعى والحسن البصرى، وإليه ذهب: الحنفية وهو وجه عند المالكية وبه قال الشافعية[١].

القول الثانى: يكره اتخاذ المسلم مرضعة لولده من غير المسلمين.

وبه قال: عمر بن عبد العزيز وهو الراجح عند المالكية وبه قال: الحنابلة والإمامية[٢].

القول الثالث: يجوز للمسلم أن يتخذ مرضعة كتابية لولده، ويحرم عليه اتخاذ مرضعة مشركة ذهب إلى ذلك: الظاهرية[٣].

الأدلة وأقوال الفقهاء:

أولا: أدلة الفريق الأول : واستدلوا على الجواز بجملة أدلة منها:

١- إن الكفر الذى تحمله المرضعة الكافرة لا يؤثر فى اللبن الذى يعطى للطفل، فلا يضر الرضيع[١].

---

(١)المبسوط (١٢٧/١٥)، بدائع الصنائع (٤ /١٧٦)، البناية على الهداية (١٠ /٢٩٣)، المقدمات الممهدات (١ /٤٩٦)، الأم (٥ /٢٨)، أسنى المطالب (٢ /٤١٠)، حاشية البيجيرمى على المنهج (١٧٧/٣) ينظر: مصنف عبد الرزاق سعيد بن منصور (١ /٢٨٣)، لأبى عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراسانىالجوزجانى (ت ٢٢٧ هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، الدار السلفية – الهند، ط١ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢ م ،(٤٨١/ ٧).

(٢)ينظر: المدونة (٢ /٣٠٣)، المبدع (٧ /١٤٠)، دليل الطالب لنيل المطالب ص ٢٨٧، تأليف: مرعى ابن يوسف بن أبى بكر المقدسىالحنبلى (ت ١٠٣٣ هـ) تحقيق: أبى قتيبة نظر محمد الفاريابى، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ، منار السبيل فى شرح الدليل (٢ /٢٩٢)، لإبنضويان إبراهيم بن محمد بن سالم (ت ١٣٥٣ هـ) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامى، بيروت، ط ٧، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م، شرائع الإسلام (٢٨/٤)، كشف الرموز (١٨١/١).

(٣)ينظر: المحلى (١٨٨/١٠:١٨٩).

٢- إن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام منهم من أرضع بلبن الكوافر، فدلّ ذلك على الجواز[٢].

يقول الإمام السرخسى: (ولا بأس بأن يستأجر المسلم الظئر الكافرة أو التى قد ولدت من الفجور، لأن خبث الكفر فى اعتقادها دون لبنها والأنبياء – عليهم السلام – والرسل، صلوات الله عليهم –فيهم من أرضع بلبن الكوافر، وكذلك فجورها لا يؤثر فى لبنها[٣]) .

ويقول حسن البصرى:(لا بأس أن يسترضع الرجل لولده اليهودية والنصرانية والفاجرة[٤]).

وسئل النخعى عن امرأة مرضع بلبن ولد الزنا ؟ قال : ((لا بأس به اليهودية والنصرانية والمجوسية ترضع المسلم[٥])) .

ثانيا :- أدلة أصحاب القول الثانى : وقد استدلوا بجملة أدلة منها:

١- ما أثر عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : (اللبن يشتبه فلا تستق من يهودية ولا نصرانية ولا زانية[٦]) .

٢- إن غير المسلمة تأكل الخنزير ، وتشرب الخمر ، فيخشى منها أن تطعم الولد الرضيع من الخمر والخنزير[٧].

٣- إن ارتضاع الطفل من غير المسلمة يجعلها أما لها حرمة الأم مع كفرها ، وربما مال إليها الولد فى محبة دينها[٨]

سئل الإمام مالك عن المراضع النصرانيات ؟ قال : لا يعجبنى اتخاذهن ، وذلك لأنهن يشربن الخمر ويأكلن لحم الخنزير ، فأخاف أن يطعمن ولده مما يأكلن من ذلك[١].

---

(١)ينظر: بدائع الصنائع (٤ /١٧٦)، تبيين الحقائق (٥ /١٢٨) الفتاوى الهندية (٤ /٤٣٢)

(٢)ينظر المبسوط (١٥ /١٢٧).

(٣)ينظر: المبسوط (١٥ /١٢٧).

(٤)سنن سعيد بن منصور (١ /٢٨٣).

(٥)مصنف عبد الرزاق (٧ /٤٨١).

(٦)المغنى (٨ /١٩٤).

(٧)ينظر: المدونة (٢ /٣٠٣).

(٨)ينظر: المغنى (٨ /١٩٤)، الشرح الكبير (٩ /٢٢٨).

إلا أن ابن حبيب المالكى نقل عن الإمام مالك أنه قال : إذا آمن المسلم أن غير المسلمة لا تطعم ولده الرضيع الخمر والخنزير فلا بأس فى اتخاذها مرضعة له[٢].

ويقول أبو القاسم الحلى: (ويستحب أن يتخير للرضاع المسلمة الوضيئة العفيفة العاقلة، ولو اضطر إلى الكافرة استرضع الذمية، ويمنعها من شرب الخمر ولحم الخنزير، ويكره تمكينها من حمل الولد إلى منزلها، ويكره استرضاع المجوسية، ومن لبنها عن زنى[٣].

ثالثا: أدلة أصحاب القول الثالث:

وقد احتجوا على جواز اتخاذ المرضعة الكتابية دون غيرها، بأن الشارع الحكيم أحلّ للمسلم نكاح الكتابية، وأوجب على الأم ارضاع ولدها، وقد علم الله تعالى أنه سيكون لنا أولاد منهن، فدلّ ذلك على جواز اتخاذها مرضعة، أما غير الكتابية، فلا يحل لنا استرضاعها، لأنها ليست مما أبيح لنا اتخاذهن أزواجا وطلب الولد منهن[٤].

الترجيح :

بعد استعراض أقوال الفقهاء وأدلتهم يميل الباحث إلى ترجيح ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، لقوة الأدلة التى أوردوها، كما أن الطفل الصغير أيضا لا خطر عليه من المرضعة فى هذا العمر، لأنه فى مرحلة ليس عنده شىء من التمييز أو الإدراك، وهذا الأمر يجعله بعيدا عن التأثر بدين المرضعة أو أخلاقها لكن ينبغى على المسلم أن يختار لولده مرضعة عفيفة شريفة أمينة تقوم به وترعاه، وإذا ما استرضع غير المسلمة فيجب عليه أن يشترط عليها أن لا تسقيه خمرا ولا تطعمه خنزيرا، ويأخذ منها على ذلك عهدا، ولا بأس لمراقبتها بين الحين والآخر.

ولا شك أن القول بجواز إرضاع المسلمة أولاد غير المسلمين، وإرضاع غير المسلمة أولاد المسلمين فيه دليل واضح على أن الشريعة الإسلامية أعطت مساحة واسعة للتعايش مع غير المسلمين ، ومدت يدها البيضاء لهم، لأن هذا

---

(١)المدونة (٢ /٣٠٣).

(٢)ينظر المقدمات الممهدات (١ /٤٩٦).

(٣)شرائع الإسلام (٤ /٢٨)، وينظر: كشف الرموز (١ /١٨١).

(٤)ينظر: المحلى (١٠ /١٨٨:١٨٩).

الإرضاع ليس مجرد إجارة ظئر من إمرأة أو تبرع تقوم به للطرف الآخر، بل يترتب على هذا الإرضاع آثار شرعية كثيرة، فإذا أرضعت المرأة طفلا رضاعا محرما، صار الطفل المرتضع ابنا للمرضعة، بغير خلاف، وصار أيضا ابنا لمن ينسب الحمل إليه، فصار فى التحريم وإباحة الخلوة إبنا لهما، وأولاده من البنين والبنات وأولاد أولادهما، وإن نزلت درجتهم، وجميع أولاد المرضعة من زوجها ومن غيره، وجميع أولاد الرجل الذى انتسب الحمل إليه من المرضعة ومن غيرها، إخوة المرتضع، وأخواته، وأولاد أولادها أولاد إخوته وأخواته، وإن نزلت درجتهم، وأم المرضعة جدته وأبوها جده، وإخوتها أخواله، وأخواتها خالاته، وأبو الرجل جده، وأمه جدته، وإخوته أعمامه، وأخواته عماته، وجميع أقاربهما ينتسبون إلى المرتضع كما ينتسبون إلى ولدهما من النسب، لأن اللبن الذى ثاب للمرأة مخلوق من ماء الرجل والمرأة، فنشر التحريم إليهما، ونشر الحرمة إلى الرجل وإلى أقاربه، وهو الذى يسمى لبن الفحل[١]، فهذه الآثار التى وضعها الشارع لهذا الرضاع تزيد بلا شك اللحمة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، وتقرب بعضهم من بعض، ويطلع كل طرف على طبائع الآخر، وثقافاته فتكبر الثقة بينهم، وتقل خلافاتهم وربما تنعدم ولا سيما إذا كانوا أبناء مدينة واحدة أو بلد واحد.

المبحث الثانى
الحضانة بين المسلمين وغير المسلمين

المطلب الأول : تعريف الحضانة ومشروعيتها

الحضانة لغة: يقول ابن فارس: الحاء والضاد والنون أصل واحد يقاس، وهو حفظ الشىء وصيانته، والحِضْنُ: ما دون الإبط إلى الكَشْحِ[٢]، يقال إحتضنتالشىء جعلته فىحِضْنِى، وحَضَنَ الطائر بيضه، وعلى بيضه، يَحْضُنُ حَضْنا وحِضانةَ وحَضانا وحُضُونا: رخم عليه للتفريخ، وَحَضَنَتِ المرأة ولدها حَضَانَةَ، والحاضِنُ والحاضِنَةُ: الموكلان بالصبى يحفظانه ويربيانه، وورد فى الأثر عن عروة بن الزبير قال: (عجبت لقوم طلبوا العلم حتى إذا نالوا منه

---

(١)المغنى (٨ /١٧٦)، وينظر المقدمات الممهدات (١ /٤٩١).

(٢)الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لدن السرة إلى المتن، ينظر لسان العرب (٢/٥٧١)، مادة: (كشح) .

صاروا حُضانا لأبناء الملوك) [١] ، أى: مربين وكافلين، وحضان: جمع حاضن لأن المربى والكافل يضم الطفل إلى حضنه، وبه سميت الحاضنة، وهى التى تربى الطفل، والحَضانة، بالفتح: فعلها[٢].

الحضانة شرعا:هى:(حفظ من لا يستقل بأموره وتربيته بما يصلحه) [٣].

مشروعية الحضانة : وهى ثابتة فى الكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب: فقوله تعالى :

{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة:٢٣٣]

وجه الدلالة : إن الله عز وجل يأمر الأزواج بالإنفاق على المطلقات طالما أن أولادهن فى حضانتهن ، وهذا دليل على مشروعية الحضانة[٤].

أما السنة : فعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء،

---

(١)رواه الطبرانفى المعجم الأوسط (٢ /٢٦٣)، ح(١٩٣٢).

(٢)مقاييس اللغة (٢ /٧٣)، وينظر المحكم والمحيط الأعظم، (٣ /١٢٩) مختار الصحاح ص ٧٥ لسان العرب (١٣ /١٢٣)، القاموس المحيط ص (١١٩٠)، تاج العروس (٣٤ /٤٤١)، مادة:(حضن).

(٣)حاشيتا قليوبى وعميرة (٤ /٨٩)، وينظر مجمع الأنهر (١ /٤٨٠)، مواهب الجليل (٤ /٢١٤)، شرح منتهى الإرادات (٣ /٢٤٨).

(٤)ينظر تفسير القرطبى (٣ / ١٦٤).

وثديى له سقاء، وحجرى له حواء ، وإن أباه طلقنى، وأراد أن ينزعه عنى قال لها رسول الله ﷺ :((أنت أحق به ما لم تنكحى[١])) .

فالحديث : يدل دلالة واضحة على مشروعية الحضانة ، وأن الأم أحق بحضانة طفلها من أبيه ما لم تتزوج .

وقد أجمع العلماء على مشروعية الحضانة فى الجملة ، وإن اختلفوا فى تفصيلاتها[٢].

أما الحكمة من مشروعية الحضانة :

فإن من مقاصد شريعتنا الغراء حفظ النفس، وذلك من الكليات الخمس الواجب حفظها ، والطفل الصغير بحاجة إلى من يحفظه ويتولاه ويقوم بتربيته بسبب عجزه عن القيام بشئونه ، فأحيانا يحتاج إلى من يقوم بمنفعة بدنه ، وأحيانا أخرى يحتاج إلى من يقوم على أحواله ، ولا تتحقق له هذه الأمور إلا إذا وجد من يحضنه ويرعاه ، والشريعة الإسلامية تسير مع الطفل يوما بيوم وساعة بساعة من ولادته وحتى يستغنى عن الآخرين ووضعت له أحكاما من الدقة والواقعية ما تجعل الأخطار بعيدة عنه ، وتجعله سويا ومستقيما ، فالحضانة من محاسن الإسلام على الأطفال ولذا شرعت[٣].

المطلب الثانى : حضانة غير المسلمة للمسلم

توطئة:

لا شك أن مرحلة الطفولة فى حياة الإنسان من أهم المراحل ، وأكثرها حاجة إلى العناية والرعاية ، ولا سيما قبل سن الإدراك والتمييز والبلوغ ، فالصغير يحتاج إلى من تحتضنه وتعتنى به وتربيه وتحسن إليه ، ولا يحصل ذلك على أكمل وجه إلا إذا قامت به من هى أكثر الناس شفقة عليه وعطفا ألا

---

(١)أخرجه الحاكم فى مستدركه ، (٢ / ٢٢٥)، ح (٢٨٣٠)، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الإمام الذهبى .

(٢)ينظر: مراتب الإجماع ص ٧٥

(٣)ينظر البحر الرائق (٤ / ١٨٠)أحكام الحضانة فى الإسلام سياج لحماية الطفولة ص ٢٥٦ ، للأستاذ الدكتور فاروق حمادة ، وهو بحث منشور فى مجلة الأحمدية الإماراتية ، العدد الثالث شهر محرم سنة ١٤٢٠هـ

وهى الأم ، لأنها وبفطرتها التى جبلت عليها تتحمل المشاق والنكد والسهر من أجل تربية أولادها وإسعادهم ، لذا فإن الإسلام أثبت لها حق الحضانة عليهم فى مدتها التى قررها الفقهاء[١]، وهى مقدمة على الجميع فى ذلك ، وهذا الحكم للمسلمين ، لكن ما الحكم فيما إذا اختلف دين الزوجين بأن كان الزوج مسلما والزوجة غير مسلمة فوقعت الفرقة بينهما بالطلاق أو الوفاة أو الفسخ وغيرها من الأسباب انحلال الرابطة الزوجية فهل تثبت الحضانة هنا للأم الكافرة على ولدها المسلم لكونه وليدها ، وهى أكثر شفقة عليه من غيرها ؟ أو أن حقها يسقط وتستبدل بها حاضنة أخرى من المسلمين ؟ لأن الحضانة ولاية ولا ولاية لغير المسلم على المسلم ، هذا ما سأبحثه فى هذا المطلب .

اختلف الفقهاء فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول :الأم أحق بحضانة ولدها المسلم ، وإن كانت غير مسلمة بقيود تذكر لاحقا .

وبه قال : سفيان الثورى وأبو ثور ، وذهب إلى ذلك : الحنفية وجماهير المالكية وأبو سعيد الإصطخرى من الشافعية[٢].

---

(١)يقول الأحناف : يكون الغلام عند حاضنته حتى يستغنى عن الخدمة ، وقدرها بعضهم بسبع سنين ، وبعضهم بتسع ، وتكون الجارية عند الأم والجدة حتى تحيض ، وعند غيرهما حتى تستغنى ، ينظر الإختيار ، ج ٤ ص ١٥ ، أما المالكية فقالوا : يكون الصغير عند الحاضنة حتى البلوغ ، سواء كان المحضون ذكرا أم انثى ، ينظر مختصر خليل ص ١٣٨ ، وقال الشافعية : يكون الصغير بكفالة حاضنته حتى التمييز ، واختلفوا أيضا فى حد التمييز فمنهم من حده بسبع سنين ، ومنهم بثمان ، وقال بعضهم : وأحسن ما ذكر أن يصير الطفل بحيث يأكل وحده ويشرب وحده ويستنجى وحده ، ينظر كفاية الأخيار ص ٤٤٧ ، أما الحنابلة فقالوا : يكون الصغير بكفالة الحاضنة حتى يبلغ سبع سنين ثم يخير ، ينظر المغنى (٨ / ٢٣٩ ، وص ٢٤١) .

(٢)نيل الأوتار (٦ / ٣٩٢)، العرف الشذى شرح سنن الترمذى (٤ / ٨٤)، تأليف : محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميربالهندى (ت ١٣٥٣ هـ) تصحيح : الشيخ محمود شاكر ، دار التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ، تحفة الفقهاء (٢ / ٢٣١)، المحيط البرهانى (٣ / ١٧٧) ، البناية على الهداية (٦٤٦/٥

القول الثانى : لا حضانة لغير المسلمة على ولدها المسلم .
وبه قال : ابن وهب من المالكية وجماهير الشافعية والحنابلة والزيدية والإمامية[١].

القول الثالث : تثبت الحضانة لغير المسلمة على ولدها المسلم فى مدة الرضاع فقط، ويؤخذ منها بعدها ، وبه قال : الظاهرية[٢].

الأدلــة:
أولا : استدل أصحاب القول الأول بالآتى :
١-عن عبد الحميد بن جعفر ، أخبرنى أبى ، عن جدى رافع بن سنان، أنه أسلم ، وأبت إمرأته أن تسلم، فأتت النبىﷺ، فقالت: ابنتى وهى فطين أو شبهه، وقال رافع : ابنتى، قال له النبىﷺ: ((اقعد ناحية))، وقال لها : ((اقعدى ناحية))، قال :((واقعد الصبية بينهما))، ثم قال: ((ادعواها)) فمالت الصبية إلى أمها ، فقال النبىﷺ :((اللهم إهدها))،
فمالت إلى أبيها ، فأخذها[٣].

)، المدونة (٢ /٢٦٠)التاج والإكليل(٦/ ٢٣٧)، حاشية العدوى، (٢ / ١٣١)، الحاوى الكبير (١١ / ٥٠٣)، البيان فى المذهب الشافعى (٢٧٥/١١)، المجموع (١٨ /٣٢٤).

(١)ينظر المنتقى شرح الموطأ (١٨٦/٦)، منح الجليل (٤٢٦/٤)، التنبيه فى الفقه الشافعى ص ٢١١، المهذب (١٦٤/٣)، روضة الطالبين (٩٨/٩)، المغنى (٢٣٧/٨)، الفروع (٣٤١/٩)، كشف المخدرات (٦٩٨/٢)، شرح الأزهار (١٣٥/٩)، المبسوط للطوسى (٥٦/٨)، المختصر النافع للحلى ص ٢٨٢ .

(٢)ينظر: المحلى (١٤٣/١٠) .

(٣)(٣٩ /١٦٨)، ح (٢٣٧٥٧)، والحاكم فى مستدركه (٢٢٥/٢)، ح(٢٨٢٨) ، وقال الحاكم : ((هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه)) ووافقهالذهبى ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط محقق مسند أحمد : إسناده صحيح إن كان جعفر بن عبد الله والد عبد الحميد سمع من جد أبيه : فهو جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع بن سنان ، فقد قال عبد العزيز النخشبى كما فى جامع التحصيل للعلائى : هذا مرسل ، لأن جعفر بن عبد الله

فهذا التخيير يثبت شرعية حق الأم فى الحضانة وإن كانت كافرة ، وإلا لما وضعها رسول الله ﷺ طرفا فى دعوة الصبية ، فكان هذا دليلا على أن لا أثر لإختلاف الدين فى الحضانة[١].

٢ - بعموم الأحاديث التى تنهى عن التفريق بين الوالدة وولدها ، منها ما أخرجه الترمذى عن أبى أيوب قال . سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة)) [٢].

ويؤيد ذلك ما رواه البيهقىفى سننه عن عمر بن الخطاب ﷺ حين خاصم إلى أبى بكر ﷺفى ابنه، قضى به أبو بكر ﷺ لأمه، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تُولَهُ[٣] ' والدة عن ولدها[٤])) .

وجه الدلالة : النبىﷺ نهى عن التفريق بين الوالدة وولدها ، والنهى عام لم يفرق بين كون الأم مسلمة أو غير مسلمة[٥].

٣- إن مدار الحضانة على الشفقة، واعتقاد غير الإسلام لا يمنع الشفقة، كما أن الحضانة شرعت لخدمة الرضيع والقيام على شؤونه وحفظه، والأم أوفر شفقة

لم يدرك جد أبيه ، ولم يقل أحد بإرساله سواه ، وقد وقع التصريح بالسماع بينهما عند الحاكم وعنه البيهقى ، لكن انفرد بهذا التصريح الحسن بن على بن زياد عن إبراهيم ابن موسى الرازى ، والحسن بن على هذا لم نقع له على ترجمة فيما بين أيدنا من مصادر، وعلى كل فإن جعفرا هذا ثقة ، وما رواه كان قد حصل فى أهل بيته ، فهو أدرى به ، والله تعالى أعلم .

(١)ينظر:نيل الأوطار(٣٩٢/٦)، العرف الشذى(٨٤/٣)،العلاقات الإجتماعية لبدران أبوالعينين ص

(٢)رواه الترمذىفى سننه ، أبواب البيوع ، باب ما جاء فى كراهية أن يفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها فى البيع ج ٣ ص ٥٧٢ ، رقم الحديث ١٢٨٣ ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) لا توله : أى لا تلجأ إلى الوله ، والوله : ذهاب العقل ، والتحير من شدة الوجد ، ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر (٢٢٧/٥).

(٤)رواه البيهقىفى السنن الكبرى ، كتاب النفقات ، باب الأم تتزوج فيسقط حقها من حضانة الولد وينتقل إلى جدته (٨/٨)، ح (١٥٧٦٧) .

(٥)ينظر التاج والإكليل (٢٣٧/٦)، منح الجليل (٤٢٦/٤) .

على ولدها، وأقدر من غيرها على ملاحظته ورعايته من غيرها، وفى هذا تستوى المسلمة وغيرها[١].

يقول الإمام السرخسى: (ويستوى –فى الحضانة – إن كانت الأم مسلمة، أو كتابية أو مجوسية ، فإن حق الحضانة لها للشفقة على الولد ولا يختلف ذلك باختلاف الدين على ما قيل : كل شىء يحب ولده حتى الحبارى) [٢].

أما القيود التى وضعها الحنفية والمالكية فقد قال الحنفية: إن الصغير يبقى عند حاضنته غير المسلمة إلى أن يعقل الأديان، فإذا عقل الأديان سقطت حضانته، وقد قدرت هذه المدة ببلوغ الصغير سن السابعة، كما تسقط الحضانة أيضا فيما إذا خشى عليه التأثر بعقائد الكفار بأن كانت تأخذه الحاضنة معها إلى الكنيسة أو البيعة، فيسقط حقها فى الحضانة، لأن بقاءه معها فيه خطر على دينه فهو قد يألف الكفر ويعتاده[٣].

ويقول الإمام السرخسى: (ومن مشايخنا من يقول: إذا كانت كافرة فعقل الولد فإنه يؤخذ منها الجارية كانت ، أو غلاما، لأنه مسلم بإسلام الأب وإنها تعلمهما الكفر فلا تؤمن من الفتنة إذا تركت عندها فلهذا تؤخذ منها[٤]) .

وقال المالكية إن المحضون المسلم يبقى مع حاضنته غير المسلمة حتى انتهاء مدة الحضانة شرعا، فإن خيف على المحضون من الحاضنة أن تربيه على دينها أو تغذيه بخنزير أو خمر لا يسحب الصغير منها، لكن تمنع من إفساده وتوضع تحت مراقبة المسلمين للحفاظ عليه[٥].

جاء فى المدونة: أن الإمام مالكا سئل عن سر قوله بجواز حضانة غير المسلمة لأولادها المسلمين مع أنها قد تسقيهم الخمر وتغذيهم بلحوم الخنازير؟

---

(١)ينظر: تحفة الفقهاء(٢/٢٣١)، تبيين الحقائق (٣/٤٩)، العناية على الهداية(٤/٣٦٩)، فتح القدير (٤/ ٣٧٣).

(٢)المبسوط (٥/٢١٠)، والحبارى : بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة : طائر معروف يضرب بها المثل فى الحمق ، فهى على حمقها تحب ولدها فتطعمه وتعلمه الطيران كغيرها من الحيوان ، ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر (١/٣٢٨) .

(٣)ينظر بدائع الصنائع (٤/٤٢)، الجوهرة النيرة (٢/٩١) .

(٤)المبسوط (٥/٢١٠) .

(٥)ينظر منح الجليل (٤/٤٢٧) .

فأجاب قائلا: قد كانت الحاضنة عند زوجها المسلم قبل أن يفارقها وهى تغذيهم إن أحبت بلحوم الخنازير وبالخمر، ولكنى أقول: إن أرادت أن تفعل شيئا من ذلك منعت من ذلك ولا ينزع الولد منها، وإن خافوا أن تفعل ضمت إلى ناس من المسلمين لئلا تفعله[١].

ثانيا : واستدل أصحاب القول الثانيبالآتى :

١- قوله تعالى الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) ١٤١(

[النساء: ١٤١]

وجه الدلالة: أن الله سبحانه قطع الموالاة بين المسلمين والكفار، وجعل المسلمين بعضهم أولياء بعض، والكفار بعضهم من بعض، والحضانة من أقوى أسباب الموالاة التى قطعها الله بين الفريقين[٢].

يقول الإمام الماوردي:(..... ولأن افتراق الأديان يمنع من ثبوت الولاية ، كما يمنع منها على المال وفى النكاح ولاية لا يؤمن أن يفتنه عن دينه[٣]).

٢- أن الحاضن حريص على تربية الطفل على دينه، وأن ينشأ عليه، ويتربى عليه فيصعب بعد كبره وعقله انتقاله عنه ، وقد يغيره عن فطرة الله التى فطر عليها عباده، فلا يراجعها أبدا، كما قال النبىﷺ : ((كل مولود يولد على الفطرة

---

(١)ينظر المدونة (٢/٢٦٠) .

(٢)ينظر زاد المعاد (٥/٤١٠) .

(٣)الحاوى الكبير(١١/٥٠٣) .

، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه[١])) فلا يؤمن تهويد الحاضن وتنصيره للطفل المسلم[٢].

يقول ابن قدامة: (ولأنها–الحضانة–إذا لم تثبت للفاسق، فالكافر أولى، فإن ضرره أكثر، فإنه يفتنه عن دينه، ويخرجه عن الإسلام لتعليمه الكفر، وتزيينه له، وتربيته عليه، وهذا أعظم الضرر، والحضانة إنما تثبت لحظ الولد، فلا تشرع على وجه يكون فيه هلاكه وهلاك دينه)[٣].

٣- إن الحديث الذى استدلّ به المجيزون لا يصح الاحتجاج به عند أهل الحديث، ولو صح لكان الجواب عنه من ثلاثة أوجه.[٤]:

أحدهما: أن المقصود به ظهور المعجزة بإستجابة دعوته .

والثانى: أنها كانت فطيما، والفطيم لا يخير .

---

(١)رواه البخاربفى صحيحه عن أبى هريرة، كتاب الجنائز، باب ما قيل فى أولاد المشركين (١٠٠/٢)، ح (١٣٨٥).

(٢)زاد المعاد (٤١٠/٥)، وينظر سبل السلام (٣٣٣/٢)، البيان فى مذهب الشافعى (٢٧٦/١١) ، المبدع (١٨٥/٧) .

(٣)المغنى (٢٣٨/٨) .

(٤)ينظر الحاوى الكبير (١١/ ٥٠٣)، المهذب (١٦٤/٣)، يقول ابن قدامة : فأما الحديث ، فقد روى على غير هذا الوجه، ولا يثبته أهل النقل، وفى إسناده مقال، ينظر المغنى (٨/ ٢٣٨)، ويقول ابن القيم : وقد ضعفه إمام العلل يحيى بن سعيد القطان، وكان سفيان الثورى يحمل عليه، وضعف ابن المنذر الحديث، وضعفه غيره، وقد اضطرب فى القصة فروى أن المخيل كان بنتا، وروى أنه كان ابنا ، ينظر زاد المعاد (٤١١/٥)، إلا أن الإمام النووى رد هذا الكلام وقال : ولكن الحديث بأسانيده وطرقه يصلح للإحتجاج به، والإضطراب ممنوع بإعتبار محل الحجة، وهو كفر الأم وثبوت التخيير، ينظر المجموع (٣٢٤/١٨)، وأيد ذلك الشوكانىفى نيل الأوطار(٣٩٢/٦)، كما أن الإمام الزيلعى رد على من ضعف الحديث وأتى بكلام طويل جدا للدلالة على صحته قال فى خلاصته إن راوى الحديث عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع بن سنان، وعبد الحميد ثقة، وأبوه جعفر كذلك، ورد على من قال : إن فى الحديث اضطرابا فى المتن لأنه روى أن المخير كان بنتا وفى رواية أخرى أنه كان ابنا فقال :

والثالث: أنه دعى بهدايتها إلى مستحق كفالتها لا إلى الإسلام لثبوت إسلامها لإسلام أبيها، فلو كان للأم حق لأقرها عليه ، ولما دعا لهدايتها إلى مستحقها .

ثالثا: استدل الظاهرية على أن الحضانة تثبت لغير المسلمة فى مدة الرضاع فقط

لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ٧٥({ [الأنفال: ٧٥]

قالوا : دلت هذه الآية على أحقية ذى الرحم بعضهم ببعض من غير النظر إلى دينه ، بمعنى أن الأم الكافرة أحق بحضانة ولدها المسلم إلى إنتهاء مدة الحضانة وهى الاستغناء،

لكن لما ورد قوله تعالى: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٣) [البقرة: ٢٣٣]، كانت تلك المدة هى مدة الرضاع ، ومدة الحضانة الضرورية عندما يختلف الدين بين الحاضن والمحضون، إذ لا ضرر فى هذه السن على الصغير لكونه لا فهم له والحالة هذه[١].

(١)ينظر :المحلى (١٠/١٤٣)، العلاقات الاجتماعية، بدران أبو العينين، ص١٦١ .

الترجيح:

بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم يرى الباحث: أن الراجح ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائلون: إن الأم أحق بحضانة ولدها المسلم وإن كانت غير مسلمة للأسباب الآتية:

١- إن مدار الحضانة على الشفقة والقيام بمصلحة الصغير، والأم أشد شفقة على ولدها من غيرها، وأقدر على تربيته، والقيام بمصالحه، كما أن الحضانة أمر شاق على الحاضن فلا يتحملها على الوجه الأكمل أحد مثل أمه .

٢- إن القول بالجواز يأتىإنسجاما مع سماحة الإسلام ورحمته للطفل الصغير وبالوالدة، فلا يحرم الصغير من حنان الأم ولا تحرم هى من ولدها ، وقد أكد ذلك النبىﷺفى الأحاديث التى تحرم التفريق بين الأم وولدها وقد أوردنا بعضا منها آنفا .

٣- إن ما قاله المانعون: من خوف الفتنة على دين الصغير ، وخشيتهم من تأثره بعقائدهم صحيح لاحظوا ذلك ، وقد وضعوا قيودا تزيل هذا الخوف .

٤-إن الآية التى استدل بها المانعون، وهى قوله تعالى: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) عامة والحديث الذى أورده المجيزون يخصص هذا العموم كما قال الشوكانى[١].

المراجع

القران الكريم
صحيح البخارى
شرائعا لإسلام
شرحا لأزهار
الشرح الكبير
شرح منتهى الإرادات
الفروع
القاموس المحيط
كشاف القناع

(١)ينظر نيل الأوطار ، ج٦ ص٣٩٣ .

كشف الرموز
كشف المخدرات
لسان العرب
المبدع
المبسوط
المبسوط للطوسى
مجمع الأنهر
المجموع
المحكم والمحيط الأعظم
المحلى
المحيط البرهانى
مختار الصحاح
المختصر النافع للحلى
المدونة
مصنف عبد الرزاق سعيد بن منصور،الدار السلفية – الهند،ط١ ، ١٤٠٣ هـ
المعجم الأوسط
المغنى
مقاييس اللغة
المقدمات الممهدات
منار السبيل فى شرح المكتب الإسلامى،بيروت،ط ٧، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م
شرائع الإسلا

الدعم الدبلوماسي لأنشطة المنصرين الأمريكيين في تركيا (١٨٢٠-١٩٠٩م)

الباحثة

إيمان مسعود عبد التواب مفتاح

المعيدة بقسم التاريخ

كلية الآداب–جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٥م

تمهيد

شهد القرن التاسع عشر الميلادي حركة تنصير بروتستانتي واسعة النطاق توجهت إلى الأراضي العثمانية بغية تحويل سكانها إلى المذهب البروتستانتي، وقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية من أبرز الدول التي أرسلت منصريها للدولة العثمانية وأضفت عليهم حمايتها.

تعد منظمة المجلس الأمريكي لأمناء الإرساليات الأجنبية American Board of Commissioner for Foreign Missions. (ABCFM)[١] من أبرز المنظمات التي أرسلت منصريها إلى الدولة العثمانية للقيام بتحويل اليهود والمسلمين إلى المسيحية على المذهب البروتستانتي، والقيام بنقل حركة الإصلاح الديني إلى الكنائس الشرقية، وقد بدأ المجلس في إرسال منصريه إلى الدولة العثمانية منذ عام ١٨١٩م[٢].وبنهاية القرن التاسع عشر كانت الإرساليات التنصيرية الأمريكية قد عمت معظم أنحاء الإمبراطورية العثمانية، واستطاعت

---

[١] ينتمي المجلس إلى الاتحاد العام لماسوشيتس The General Association of Massachusett الذي تشكل في ٢٩ مايو ١٧٩٩م للتعريف بالإنجيل بين الوثنيين، وسكان الأجزاء البعيدة من الأراضي التي لم يصل إليها المسيح، تشكل المجلس الأمريكي لأمناء الإرساليات الأجنبية عام ١٨١٠م، وكان الهدف الرئيسي من تأسيسه في البداية العمل بين الهنود و الكاثوليك في القارة الأمريكية ، إلا أنه حدد هدفًا جديدًا بعد فترة وجيزة من تأسيسه هو "التبشير في العالم كله" Oglu, U., KendiBelgeleriyleAnadolu'dakiAmerika, Arba, Stanbul, 1989, s.22; Yetkiner, C., American missionaries, Armenian Community, and the making of Protestantism in the ottoman empire,1820-1860, A dissertation submitted to the Graduate Faculty in History in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, The City University of New York, 2010, p.73.

[2] First Ten Annual Reports of the American Board of Commissioners for Foreign Missions with other Documents of the Board, Crocker and Brewster, Boston, 1834, p.230.

تأسيس عدة مراكز تنصيرية في الشام[١]،والخليج العربي[٢]، ومصر[٣]،وتركيا[٤]، تمكنت من خلالها من تأسيس عدة مدارس ومستشفيات ودور أيتام هدفها جذب السكان المحليين للمذهب البروتستانتي[٥].

لم تكن حركة التنصير البروتستانتي الأمريكي مجرد حركة دينية هدفها نشر الدين المسيحي على المذهب البروتستانتي، وإنما انطلقت هذه الحركة إلى العالم الإسلامي لتحقيق أهداف مشتركة بين الكنائس الأمريكية، والحكومة الأمريكية تتمثل في تمهيد المنصرين الأمريكيين البلدان العربية والإسلامية للنفوذ السياسي والاقتصادي الأمريكي في مقابل حصول الكنائس الأمريكية على مركز ديني معتبر لها في العالم الإسلامي تتمكن من خلاله من منافسة الكنائس الكاثوليكية، والأرثوذكسية[٦]، لذا اكتسبت هذه الحركة طابعًا سياسيًا، وحرصت الحكومة الأمريكية على دعمها في العالم الإسلامي كله، وفي تركيا على وجه الخصوص، وقد تنوعت أساليب الحكومة الأمريكية في تقديم الدعم للمنصرين الأمريكيين، كان من أبرزها تقديم الدعم الدبلوماسي لأنشطة المنصرين.

****

---

[١]انظر عبد الرازق عيسى، التنصير الأمريكي في بلاد الشام (١٨٣٤-١٩١٤م)، رسالة دكتوراة منشورة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥م، ص٧٣-٧٥.

[٢]محمد فؤاد، سياسة الولايات المتحدة تجاه السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس،١٩٩٢، ص٧.

[٣]خالد نعيم الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ١٧٥٦-١٩٨٦م (دراسة وثائقية)، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ت، ص٦٨، ٦٩.

[4]Annual Report of the American Board of Commissioner for Foreign Missions, Riverside Press, Boston, 1876, p.21.

[٥]انظر عبد الرازق عيسى، التنصير الأمريكي في بلاد الشام (١٨٣٤-١٩١٤م)، ص٧٥-١٦٣؛ محمد فؤاد، التبشير الأمريكي في منطقة الخليج العربي (١٨٩٠-١٩٦٢م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٥٤-١٥٧، ١٩٢-١٩٤؛ خالد نعيم: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر،ص٨٢-٨٧.

[٦]محمد فؤاد، التبشير الأمريكي في منطقة الخليج العربي، ص٣١.

بداية الدعم الدبلوماسي للمنصرين الأمريكيين:

تعود بداية التمثيل الدبلوماسي للولايات المتحدة الأمريكية في تركيا إلى عام ١٨٣١م حيث قامت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بتعيين ديفيد بورتر قائمًا بأعمال الحكومة الأمريكية في استانبول ثم وزيرًا مقيمًا عام ١٨٣٩م تنفيذًا للمادة الثانية من معاهدة ١٨٣٠م التي نصت على التبادل لالدبلوماسي بين البلدين، ومن أجل تقديم رعاية أكثر للمصالح الأمريكية في تركيا تم تأسيس قنصلية عامة في استانبول وتعيين قنصل عام بها، كما تم تعيين قناصل في أرضروم Erzeroum، وخربوطHarpoot، وسيواسSivas، وسمرناSymirna، ثم تم افتتاح قنصليات أخرى في مرسينMersin، وطرابزونTrebizond[١].

وبمرور الوقت تم افتتاح قنصليات للولايات المتحدة الأمريكية في معظم أنحاء تركيا، إلا أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم ترتأي أنه من الضروري وجود قناصل في بعض المناطق التي لا يوجد بها سوى أعداد قليلة من المواطنين والمنصرين الأمريكيين واعتمدت على القناصل البريطانيين في تقديم الحماية الدبلوماسية لمواطنيها[٢].

كانت المهمة الأساسية لهؤلاء الدبلوماسيين الأمريكيين تقديم الحماية للمواطنين الأمريكيين، ومصالحهم الفردية والجماعية[٣]، وبمرور الوقت أصبح الإشراف المباشر على الإرساليات البروتستانتية الأمريكية وتقديم الدعم

---

[١]سلوى الغالبي، العلاقات العثمانية الأمريكية (١٨٣٠-١٩١٨م/ ١٢٤٦-١٣٣٧هـ)، (رسالة دكتوراة منشورة)، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢، ص١٤٧.

[2] (F. R. U. S) 1891, Government Printing Office, Washington, 1892,Turkey, From Mr. Richardson to Mr. Blaine, Erzroum, Turkey, October 13, 1891, Inclosure in No.356, p.762.

[٣]سلوى الغالبي، العلاقات العثمانية الأمريكية (١٨٣٠-١٩١٨م/ ١٢٤٦-١٣٣٧هـ)، ص١٤٧.

الدبلوماسي للمنصرين الأمريكيين من أهم أولويات المفوضية الأمريكية في القسطنطينية وأصبحت مراسلات الدبلوماسيين تدور حول حماية المنصرين الأمريكيين في الإمبراطورية العثمانية، وبدأت الحكومة الأمريكية تطلب من نظيرتها العثمانية منح الإرساليات البروتستانتية الأمريكية حرية العمل، وضمان حماية مصالحها؛ ويرجع السبب وراء ذلك إلى أن المنصرين كانوا في الغالب يتوغلون في مناطق داخلية لا يوجد بها أجانب فضلًا عن طرق المواصلات الصعبة، وعدم إمكانية الاحتفاظ باتصال مستمر بين أولئك المنصرين، والقناصل الأمريكيين، كما أصبح التدخل المستمر في امتيازات المنصرين من قبل السلطات المحلية من جهة والقوانين المقيدة التي أصدرها الباب العالي من جهة أخرى سببًا للمجادلات الدبلوماسية المستمرة بين البلدين [١].

لم يقتصر الدعم الدبلوماسي الأمريكي على المنصرين الأمريكيين فقط، وإنما امتد في بعض الأحيان للسكان المحليين بشرط أن يخدم هذا الدعم مصالح المنصرين الأمريكيين، بمعنى أنه إذا حدثت مشكلة لأحد السكان المحليين بسبب خدمته للمواطنين الأمريكيين يجب أن يتدخل القناصل الأمريكيين، وإن لم يكن فيجب ألا يتدخلوا[٢]، وقد حاول المنصرون الأمريكيون إقناع حكومتهم بتقديم الحماية للبروتستانت المحليين دون شرط ارتباط ذلك بمصالح المنصرين الأمريكيين إلا أن الحكومة الأمريكية رفضت ذلك استنادًا إلى المادة الخامسة من

---

[١] هشام سوادي، العلاقات الامريكية العثمانية (١٩٠٨-١٩٢٠) دراسة تاريخية، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٢م،ص٣٥.

[2] (F. R. U. S) 1871, Government Printing Office, Washington, 1872, Turkey, From Mr Mac Veagh to Mr. Fish, Legation of the United States, Constantinople, January 19, 1871, Received February 18, Extract, No. 22, p.891.

معاهدة ١٨٣٠م، والتي تمنع مفوضية وقنصليات الولايات المتحدة الأمريكية من حماية الرعايا العثمانيين سرًا أو علنًا[١].

بدأ الدعم الدبلوماسي الأمريكي للمنصرين البروتستانت الأمريكيين في تركيا منذ عام ١٨٦٤م حيث تميزت علاقة الدولة العثمانية بالمنصرين البروتستانت الأمريكيين قبل ذلك التاريخ بالود، فلم تُقِم أية عقبات في سبيل تقدم أنشطتهم التنصيرية، وسُمح للمنصرين ببيع الكتاب المقدس في جميع أنحاء تركيا، وسُمح للناس من جميع الأطياف بما فيهم المسلمون باعتناق المسيحية على المذهب البروتستانتي[٢]، إلا أن هذا العام شهد تحولًا جزئيًا في سياسة الباب العالي تجاه المنصرين البروتستانت بسبب ارتداد بعض المسلمين وانضمامهم للمنصرين البروتستانت وإساءتهم للمسلمين والإسلام مما أدى إلى حدوث هياج في العاصمة دفع الحكومة العثمانية إلى إلقاء القبض على بعضهم، وإغلاق المحلات التجارية التي يباع فيها الكتاب المقدس في القسطنطينية[٣]، وفرض الحراسة على مكاتب جمعية الكتاب المقدس بالقسطنطينية[٤]، مما أدى إلى لجوء المنصرين الأمريكيين للسفارة البريطانية في القسطنطينية ومطالبتها

---

(1)(F. R. U. S) 1872, Government Printing Office, Washington, 1873, Turkey, From Mr. Blaine to Mr. Hay, Legation of the United States, Constantinople, November 4, 1871, p.662; (F. R. U. S) 1872, Turkey, From Mr. Hay to Mr. Blaine, United States Consulate General, Beirut, October 11, 1871, No. 48, p. 663.

(2)Foreign Office (F. O), 1864, Correspondence Respecting Protestant Missionaries and converts in Turkey, 27A,,January 1865, From Sir Bulwer to Earl Russell, Constantinople, July 27, 1864, Received August 5, No. 6, p.7.

(3) (F. O) 1864, From Sir H. Bulwer to Earl Russel, Constantinople, July 18, 1864, Received July 30, No. 2, p.1

(4) (F. O) 1864, Extract from a Letter of Rev C. G. Curtis Dated Pera, July 20, 1864, Inclosure in No. 4, p.5.

بالتدخل لوقف عمليات اعتقال المتحولين، وبالفعل تدخلت السفارة البريطانية، وبفضل وساطتها لدى الباب العالي تم الإفراج عن المسجونين، وإعادة الكتب للمنصرين(١).

وفي عام ١٨٦٦ قامت السلطات العثمانية بمصادرة كتب المنصرين التي تحمل إساءة للإسلام أو تحريضًا على الدولة مما دفع مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاحتجاج لدى الباب العالي ومطالبة الحكومة العثمانية بالإفراج عن الكتب فما كان من الباب العالي إلا أن انصاع لرغبة المفوضية الأمريكية وأمر بالإفراج عن الكتب(٢).

وفي ١٨٧١م تدخلت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية مرة أخرى لحماية المنصرين ولكن لم تكن الحماية في هذه المرة من إجراءات الحكومة العثمانية وإنما كانت من اعتداءات الأرمن الكاثوليك، ورغم أن هذه الاعتداءات اقتصرت على المتحولين من الأرمن ولم تطل المنصرين الأمريكيين حتى ذلك الوقت، إلا أن المفوضية سارعت بمطالبة الباب العالي بحماية المنصرين الأمريكيين خوفًا من أن تنتقل هذه الاعتداءات من المتحولين إلى من يحولهم(٣).

رغم تخلي الباب العالي عن سياسة اللين والتودد للمنصرين الأمريكيين منذ عام ١٨٦٦م إلا أنه لم يُقم عوائق ذات أثر كبير على النشاط التنصيري البروتستانتي في تركيا خلال الفترة من (١٨٦٦-١٨٧٦م) ولم تتحدث وثائق الخارجية

(1)(F. O) 1864, From Sir H. Bulwer to Earl Russel, Constantinople, July 18, 1864, Received July 30, No. 2, p.1

(2)(F. R. U. S) 1866, Government Printing Office, Washington, 1867, Turkey, From Mr. Morris to Mr. Seward, Legation of the United States, Constantinople, April 25, 1866, No. 151, p.241.

(3)(F. R. U. S) 1871, Turkey, From Mr. Mac Veagh to Mr. Fish, Legation of the United States, Constantinople, April 25, 1871, Received May 23, No. 34, p. 900.

الأمريكية عن إصدار أي قانون أو اتخاذ إجراء للحد من نشاط المنصرين البروتستانت في تركيا خلال هذه الفترة، حتى قانون التمغة[١] الذي فرضته الدولة العثمانية عام ١٨٧٤م استثنت منه إيصالات التبرع للمدارس والمؤسسات الدينية والخيرية، والمنشورات الدورية المتعلقة بالعلوم[٢].

وباعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) –العدو اللدود للمنصرين الأمريكيين– عرش السلطنة عام ١٨٧٦م ظهر جليًا دور الدبلوماسية الأمريكية في حماية، ودعم المنصرين الأمريكيين في تركيا، فبمجرد اعتلائه العرش اتخذ موقفًا متشددًا تجاه المنصرين الأمريكيين، وسن القوانين والتشريعات للحد من الأنشطة التنصيرية للمنصرين الأمريكيين مما دفع المنصرون

---

(١)صدر قانون التمغة عام ١٨٧٤م وقد فرض القانون على المواد المتعلقة بالمعاملات، كالقروض، وسندات شركات التضامن، والشيكات، والإيصالات، وشهادات الإيداع، وأسهم وسندات الشركات العامة، والتذاكر، والحجج، والتقارير، وأعمال الترخيص، والأوامر القضائية، وإيصالات الرواتب العامة، وجوازات السفر، والصحف، وبوالص الشحن، وضع نسختين من طابع بريدي ثمن النسخة الواحدة عشرة قروش، واستثنى القانون الأوراق التي تمرر من إدارة عامة إلى أخرى، أو المسلمة للأفراد مقابل إيصال، وإيصالات التبرع للفقراء، و المدارس، والمؤسسات الدينية والخيرية، وأحكام المحاكم الجنائية، والمنشورات الدورية المتعلقة بالعلوم. وبالنسبة للعقود والفواتير والإيصالات يوضع طابع واحد يبدأ من ٢٠ بارة للمبالغ من ١٠٠ إلى ١٠٠٠ قرش، و ١ قرش للمبالغ من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ قرش، و٥ قروش لمبلغ ٢٠٠٠٠قرش، ويرتفع بعد ذلك ١ قرش لكل ٢٠٠٠ قرش للمبالغ أعلى من ٢٠٠٠٠. ووضع طابع على أسهم وسندات الشركات يقدر ثمنه بواحد في المائة من رأس المال. ووضع طابع على اللافتات والإعلانات ثمنه واحد قرش. ووضع طابع ثمنه ١٠ بارة على الإيصالات التي تقل قيمتها عن ١٠٠ قرش. ووضع طابع ثمنه ١٠ بارة على الشيكات. ووضع طابع ثمنه ١٠ بارة على بوالص الشحن. وطابع ثمنه ٢ قرش على العرائض المقدمة للسلطان، و١ قرش على العرائض المقدمة للأشخاص العاديين. كما نص القانون على وضع آلية لطمس الطوابع بعد استخدامها، فرض عقوبات شديدة على من يتهرب من دفع الضرائب. (F. R. U. S) 1874, Government Printing Office, Washington,1875, Turkey, From Mr. Boker to Mr. Fish, Legation of the United States, Constantinople, January 29, 1874, Received February 29, No. 186, pp.1150,1151.

(2)(F. R. U. S) 1874, Turkey, From Mr. Boker to Mr. Fish, Legation of the United States, Constantinople, January 29, 1874, Received February 24, No. 186, pp. 1148, 1149. .

الأمريكيون إلى طلب الحماية من حكومتهم لأنفسهم وللمتحولين والمعلمين المحليين(١).

ففي عام ١٨٧٩م ألقت القوات العثمانية القبض على أحد المنصرين البروتستانت بسبب قيامه بترجمة بعض الكتب الدينية إلى اللغة التركية، وتوظيف معلم تركي مسلم لمساعدته في ذلك، مما دفع قوات الأمن إلى احتجازه عدة ساعات، ومصادرة جميع الترجمات المخطوطة التيكانت معه بالقوة، واعتقال مساعده أيضًا، وتقديمها للمحاكمة، وقد حُكم عليهما بالسجن خمسة عشر عامًا(٢).

كانت هذه الحادثة إيذانًا بتغير السياسة العثمانية تجاه المنصرين تغيرًا جذريًا وإعلامًا للمنصرين الأمريكيين بعزوف السلطان العثماني عن الإصلاحات الخيرية(٣).

وفي عام ١٨٨١م تم فرض ضريبة على جميع عقارات الأجانب في تركيا وهو ما احتج عليه المنصرون الأمريكيون لدى الخارجية الأمريكية التي أوصت المفوضية بالعمل لحل هذه المسألة بالتنسيق مع ممثلين عن القوى الأخرى في القسطنطينية(٤).

---

(1) Earle, E., American Missions in the Near East, Foreign Affairs, Vol. 7, No. 3 (Apr., 1929), p. 402.

(2)(F. R. U. S) 1879, Government Printing Office, Washington,1880, Turkey, FromMr. Maynard to Mr. Evarts, Legation of the United States, Constantinople, October 15, 1879, Received November 10, No. 349, p.993

(3) (F. R. U. S) 1879, Turkey, FromMr. Maynard to Mr. Evarts, Legation of the United States, Constantinople, October 15, 1879, Received November 10, No. 349, p.993

(4)(F. R. U. S) 1881, Government Printing Office, Washington, 1882, Turkey, From Mr. Heap to Mr. Blaine, United States Legation, Constantinople, May 4, 1881, Received May 23, No. 4, p.1176; (F. R. U. S) 1881, Turkey, From Mr. Messrs Long and Pettibone to Mr. Long Street, Constantinople, March 16, 1881, Inclosure 2 in No. 4, p.1176;

وفي عام ١٨٨٢م ازداد الأمر سوءً بالنسبة للمنصرين الأمريكيين حيث تخلت الحكومة البريطانية عن تقديم الدعم الدبلوماسي لمواطني أي دولة إلا بعد تقديم طلب من حكوماتهم بذلك وهو ما استغلته الحكومة العثمانية لتضييق الخناق على المنصرين في المناطق التي تخلو من قناصل أمريكيين مما دفع الحكومة الأمريكية إلى إجراء اتصالات دبلوماسية سريعة مع الحكومة البريطانية أسفرت عن موافقة الحكومة البريطانية على تقديم الحماية الدبلوماسية للمنصرين الأمريكيين[١] .

أدرك الدبلوماسيون الأمريكيون أن عليهم العمل بجد للحفاظ على الامتيازات الممنوحة للمنصرين وحمايتهم من إجراءات وقوانين الحكومة العثمانية، وقد انصب نشاطهم خلال هذه الفترة على حماية المدارس والمؤسسات التعليمية، وحماية أنشطة الطباعة والنشر، وحماية المنصرين من السجن والطرد من تركيا.

الدعم الدبلوماسي للتعليم التنصيري.

(F. R. U. S) 1881, Turkey, From Mr. Blaine to Mr. Heap, Department of State, Washington, May27, 1881, No. 32, p. 11082.

(1) (F. R. U. S) 1882, Government Printing Office, Washington, 1883, Turkey, From Mr. Wallace to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, December 20, 1881, Received January 10 1882, No. 45, p. 495; (F. R. U. S) 1882, Turkey, From Mr. Cole to Mr. Wallace, Scutari, December 14, 1881, Inclosure 1 in No.45, p.495; (F. R. U. S) 1882, Turkey, Lord Dufferin's Circular Instructions to British Consular Officers, August 26, 1881, Inclosure 4 in No. 45, p.496; (F. R. U. S) 1882, Turkey, From Mr. Frelinghuysen to Mr. Wallace, Department of State, Washington, January7, 1882, No.32, p.497; (F. R. U. S) 1882, Turkey, From Mr. Clark to Mr. Blaine, American Board of Foreign Missions, Congregational House, Boston, December 13, 1881, pp. 497, 498; (F. R. U. S) 1882, Turkey, From Lord Dufferin to Mr. Wallace, Constantinople, January 30, 1882, Inclosure in No. 62, p. 498; (F. R. U. S) 1882, From Mr. Frelinghuysen to Mr. Wallace, Department of State, Washington, February 28, 1882, No. 40, p. 501.

بدأت جهود الحكومة الأمريكية لحماية أنشطة المنصرين ومؤسساتهم التعليمية منذ عام ١٨٨٧م ، عندما قامت السلطات العثمانية بإغلاق ثلاثة مدارس في ولاية أضنةAdana تابعة للمجلس الأمريكي لأمناء الإرساليات الأجنبية لعدم حصولهم على ترخيص، فاحتجت المفوضية الأمريكية لدى الباب العالي مما أدى إلى إعادة فتح المدارس بعد فترة قصيرة من إغلاقها[١].

وفي أواخر عام ١٨٨٧م وضع الباب العالي لائحة بالقواعد المنظمة للمدارس الأجنبية في الأراضي العثمانية لتقديمها لمجلس الوزراء وتحويلها إلى قانون، تضمنت اللائحة عدم السماح للأجانب بافتتاح المدارس في الإمبراطورية العثمانية إلا بعد الحصول على فرمان إمبراطوري صادر بمقتضى إرادة إمبراطورية، والتي يلزم الحصول عليها تقديم عريضة إلى نظارة المعارف العمومية تتضمن، موقع المدرسة، وما إذا كان المبنى سيؤسس من جديد، أم أنه قائم بالفعل وسيتم تحويله إلى مدرسة، وهل ستكون مدرسة داخلية أو مدرسة يوم واحد، وتحديد عدد صفوفها، والزي الرسمي للطلاب إذا كان زيًا موحدًا، وترفق العريضة بنسخ من الكتب التي سيتم تدريسها، وبرامج الدراسة للموافقة عليها، وتقوم النظارة أو السلطات المحلية بالتحقيق فيما إذا كان مؤسسي المدرسة، والهيئة الإدارية، وأعضاء هيئة التدريس قد أُدينوا في بلادهم بأعمال تخل بالنظام

[1](F. R. U. S) 1888, Government Printing Office, Washington, 1889, Turkey, From Mr. Straus to Mr. Bayard, Legation of the United States, Constantinople, December 30, 1887, Received January 25, No. 49, p. 1552; (F. R. U. S) 1888, Turkey, From Mr. Pringle to Mr. Straus, Consulate General of the United States, Constantinople, September, 1887, Inclosure 1 in No. 49, pp. 1553- 1555; (F. R. U. S) 1888, Turkey, From Mr. Straus to Mr. Bayard, Legation of the United States, Constantinople, February 18, 1888, Received March 5, No. 61, p. 1561.

العام أم يتمتعون بسمعة جيدة، ويُلزِم مؤسسوا المدرسة أنفسهم بتسليم نسخ معتمدة من الشهادات التي يحملها أعضاء هيئة التدريس لنظارة المعارف(١).

كما نصت اللائحة على منع التعليم الديني ومنع تعليم ما يتعارض مع مصالح الدولة والأخلاق العامة في هذه المدارس، وحظرت على الرعايا العثمانيين الالتحاق بهذه المدارس قبل أن يُكملوا تعليمهم الديني ويتعلموا عقائدهم في مدارسهم، وحظرت على الطلاب المسلمين حضور الخدمات الدينية المقامة في كنيسة المدرسة، وفرضت على المدارس الأجنبية تعليم التاريخ العثماني، وأن يكون التعليم فيها باللغة التركية(٢).

وبالنسبة للمدارس التي افتتحت استنادًا إلى تفويض رسمي فقد نصت اللائحة على أنه إذا كان فيها كتب أخرى غير التي وافقت عليها نظارة المعارف في القسطنطينية أو الحاكم العام في الولايات، أو إذا كان التلاميذ يتلقون فيها الأفكار المحرضة على الدولة فعلى النظارة أو الحاكم العام توجيه إنذار للمدرسة أولًا للالتزام بالقواعد والقوانين، وفي حالة تكرار المخالفة يتم إغلاق المدرسة بشكل دائم(٣).

(1) (F. R. U. S) 1888, Translation of Provisions Additional to the Regulations Concerning Public Instruction, Inclosure 1 in No. 47, p.1550.

(2) (F. R. U. S) 1888, Translation of Provisions Additional to the Regulations Concerning Public Instruction, Inclosure 1 in No. 47, p.1550.

(3)(F. R. U. S) 1888, Translation of Provisions Additional to the Regulations Concerning Public Instruction, Inclosure 1 in No. 47, p.1550.

ونصت اللائحة أيضًا على وجوب إغلاق المدارس الأجنبية المفتوحة بدون ترخيص رسمي من نظارة المعارف إذا لم تحصل على فرمان إمبراطوري خلال ستة أشهر بعد استيفاء الشروط المحددة[١].

رفضت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية ما جاء في اللائحة واعتبرته أداة لوضع العقبات في طريق جميع المدارس الأجنبية في الإمبراطورية، واستدعت المفوضية الأمريكية بعض المنصرين الأمريكيين للتشاور حول الموضوع، ونتج عن مشاوراتهم كتابة مذكرة اعتراضية رفعتها المفوضية إلى الصدر الأعظم تتضمن، اعتراض المفوضية على اللائحة[٢] لمخالفتها للامتيازات التي يتمتع بها الأجانب، ومخالفتها لخط همايون[٣] الذي منح الحرية للأجانب في فتح المدارس ولم يضع سوى شرط واحد هو خضوع برامج التدريس واختيار المعلمين للتفتيش والرقابة من قبل مجلس من نظارة المعارف، ورفضت

---

[1](F. R. U. S) 1888, Translation of Provisions Additional to the Regulations Concerning Public Instruction, Inclosure 1 in No. 47, p.1550.

[2](F. R. U. S) 1888, Government Printing Office, Washington, 1889, Turkey, From Mr. Straus to Mr. Bayard, Legation of the United States, Constantinople, December 27, 1887, Received January 16, 1888, No. 47, p. 1549.

(٣)إحدى القوانين العثمانية، صدر عام ١٨٥٦م) وتضمن مساواة جميع المواطنين العثمانيين في الحقوق والواجبات، وإقرار كافة الامتيازات الممنوحة لغير المسلمين في العهود السابقة، ومنح أصحاب الملل الأخرى الحق في تجديد دور العبادة الخاصة بهم، والحق في بناء دور عبادة جديدة بعد موافقة الباب العالي، ومنح معاشات للرهبان المسيحيين، والمحافظة على أموالهم، بالإضافة إلى محو كافة التعبيرات والألفاظ المتضمنة تحقير جنس لجنس آخر في اللسان أو الجنسية أو المذهب من المحررات الرسمية. ومنع استعمال كل وصف وتعريف يمس الشرف. كما كفل هذا القانون الحرية الدينية للجميع، وعدم إجبار أي شخص على اعتناق دين معين، وقبول غير المسلمين في المدارس الملكية والعسكرية بلا تمييز بينهم وبين المسلمين. ومنح الطوائف الأخرى حق فتح المدارس "كل طائفة مأذونة بإعداد مكاتب أهلية للمعارف والحرف والصنائع"، على أن تخضع مناهجها واختيار معلميها لإشراف مجلس المعارف، وإحالة الدعاوى التي تقع بين المسلمين وغير المسلمين إلى المحاكم المختلطة، وتكون وقائع هذه المحاكم علنية. ومساواة المسلمين وغير المسلمين في الخدمة العسكرية، وتأدية الخراج. وإعطاء الأجانب حق التصرف في ممتلكاتهم في الأراضي العثمانية. انظر محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق، إحسان حقي، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص٤٨١-٤٨٩.

المفوضية منع التعليم الديني في المدارس الابتدائية، ورأت أنه ليس من حق الحكومة العثمانية حظر التعليم الديني لأن ذلك يتعارض أيضًا مع خط همايون، كما أن أساس التعليم في المدارس العثمانية هو التعليم الديني، كما رفضت خضوع المدارس الأمريكية للمعاينة من قبل المسؤولين العثمانيين لأن ذلك يتعارض مع قانون وبروتوكول ١٨٧٤م، ورفضت الحكم بإغلاق المدارس الأجنبية الموجودة بالفعل إذا لم تحصل على فرمان خلال ستة أشهر مستندة إلى تعارضه مع خط همايون الذي كفل للأجانب الحق في فتح المدارس دون الحصول على فرمان، كما أن التأخير في منح هذا الفرمان لأي سبب لفترة أطول من ستة أشهر من شأنه أن يعمل على القضاء على جميع المدارس الأجنبية في الإمبراطورية[١].

وفي عام ١٨٨٨م أرسلت قنصلية الولايات المتحدة الأمريكية في سيواس خطابًا إلى المحطات التنصيرية الأمريكية في آسيا الصغرى للاستفسار عن موقف السلطات المحلية من المنصرين الأمريكيين، ومؤسساتهم التعليمية، وقد أوضح رد المنصرين على الخطابات الموجهة إليهم عدم وجود تغير جوهري في موقف الحكومة العثمانية تجاه المدارس، والمنصرين الأمريكيين، وأن موقف المسؤولين المحليين نحو المدارس الأمريكية لا يزال وديًا حتى ذلك الوقت[٢].

---

[1](F. R. U. S) 1888, Turkey, Memoranda as to the Proposed Additional Regulations Concerning Public Instruction Submitted by the Minister of the United States to the Imperial Ministry of Foreign Affairs, Inclosure 2 in No. 47, pp. 1551-1553.

[2](F. R. U. S) 1888, Turkey, From Mr. Jewett to Mr. Rives, United States Consulate, Sivas, Asia Minor, March 10, 1888, Inclosure 1 in No. 92, p.1574.

لم يستمر هذا الود طويلًا فسرعان ما بدأت السلطات المحلية في إغلاق المدارس المخالفة، ورغم اعتراض المفوضية على لائحة القواعد المنظمة للمدارس واحتمائها بالامتيازات الأجنبية ، إلا أنه يبدو أن الباب العالي لم يأبه لهذ الاعتراض وأرسل الأوامر إلى موظفي المحليات لتنفيذ ما جاء باللائحة ويدل على ذلك شكاوى المنصرين المتكررة من إغلاق السلطات العثمانية لمدارسهم، ففي "وان" Vanوبمجرد وضع القواعد المنظمة للمدارس الأجنبية أمر الوالي بإغلاق مدرسة ابتدائية مشتركة في إحدى القرى التابعة للولاية، مما دفع المنصر المسؤول عن المدرسة إلى تقديم طلب إلى مدير التعليم في "وان" بإعادة افتتاح المدرسة لافتًا نظره إلى أنها كانت موجودة منذ عدة سنوات وكانت موافقة للقانون في جميع النواحي إلا أن مدير التعليم رفض طلب المنصر بإعادة فتح المدرسة بحجة أن بعض الأرمن في القرية معترضين على وجود المدرسة[١]، فما كان من المفوضية الأمريكية إلا أن عرضت المسألة على الصدر الأعظم الذي أصدر التعليمات لوالي وان بالسماح بإعادة فتح المدرسة[٢]، واستمر العمل فيها إلى أن تم إغلاقها على يد والي "وان" مرة أخرى بعد عام ونصف من إعادة فتحهامعلنًا أنه ينفذ تعليمات وزير الداخلية العثماني[٣].

---

(1) (F. R. U. S) 1889, Government Printing Office, Washington, 1890, Turkey, Memorandum Drawn Up by Rev. H. O. Dwight, Inclosure in No. 178, p. 713.

(2)(F. R. U. S) 1889, Turkey, From Mr. Straus to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, March 15, 1889, Received March 30, No. 178, p.713.

(3) (F. R. U. S) 1891, Government Printing Office, Washington, 1992, Turkey, From Mr. Hirsch to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, March 18, 1891, Received April 6, No. 246, p.749; (F. R. U. S) 1891, Turkey, From Mr. Dwight to Mr. Hirsch, Constantinople, March 18, 1891, Inclosure in No. 246, p. 749.

و من خلال الحدث السابق يتضح أن الباب العالي كان يقوم بالموافقة على إعادة افتتاح مدارس المنصرين الأمريكيين خوفًا من إثارة الولايات المتحدة الأمريكية للمشاكل بسبب مخالفة الامتيازات الممنوحة لمواطنيها بمقتضى المعاهدات الموقعة بين البلدين، ولكنه من جانب آخر يعطي التعليمات لموظفيه بالوقوف في وجه المنصرين الأمريكيين، وتعطيل مؤسساتهم.

وفي عام ١٨٩٢م أرسل الباب العالي تعليمات إلى الولايات التركية تُلزم الولاة بعدم السماح بتأسيس أو فتح المدارس، أو أماكن العبادة في الإمبراطورية العثمانية دون الحصول على إذن رسمي، وإلزام المدارس وأماكن العبادة المفتوحة بدون إذن رسمي بالحصول على التصاريح اللازمة وإذا لم تحصل على التصاريح خلال الوقت المحدد يتم إغلاقها[١].

اعترضت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية على هذه التعليمات لدى الباب العالي ورفضت الاعتراف بأي قيود على المدارس الأمريكية غير القيود التي فرضها خط همايون، وقانون المعارف[٢] الذي أشارت المذكرة إلى التزام جميع المدارس الأمريكية في الأراضي العثمانية به فكانت تقدم الكتب المدرسية،

---

[1](F. R. U. S) 1892, Government Printing Office, Washington, 1893, Turkey, Translation of Ministerial Order Concerning Schools, Inclosure 2 in No. 379, p. 532.

[٢]صدر قانون المعارف عام ١٨٦٩م واشترط على المدارس الخاصة الحصول على ترخيص من إدارة معارف الولاية، أو الوالي إذا كانت ستفتح في أحد الولايات، ومن وزارة المعارف إذا كانت ستفتح في العاصمة، ولا يتم إعطاء هذا الترخيص إلا في حالة حصول هيئة التدريس في المدرسة على شهادة صادرة عن وزارة التعليم العام أو إدارة المعارف المحلية، وعرض البرامج الدراسية، ونصوص الكتب المدرسية التي ستدرس بالمدرسة على إدارة المعارف أو وزارة التعليم العام قبل تدريسها. (F. R. U. S) 1892, Turkey, Translation of School Low of Turkey, Inclosure with No. 499, p. 580.
ويبدو أن الحكومة الأمريكية لم تعترض على هذا القانون لأنه يتوافق مع خط همايون والذي نصت على أن تخضع طريقة التدريس واختيار المعلمين لمجلس المعارف المعين من قبل السلطان العثماني.

وبرامج الدراسة، وشهادات المعلمين للسلطات المحلية وكانت تحصل دائمًا على الموافقة[١].

رحب الباب العالي باعتراض المفوضية ولكنه طلب تقريب وجهات النظر فأرسلت المفوضية مذكرة بوجهة النظر الأمريكية طلبت فيها عدم الاعتراض على تدريس الكتب التي تمت الموافقة عليها من قبل نظارة المعارف في جميع المدارس بلا استثناء، وألا يزور مفتش الحكومة المدارس دون أن يرافقه شخص بارز من الطائفة الدينية التي تنتمي إليها الإرسالية[٢]

وافق الباب العالي على ما جاء في مذكرة المفوضية الأمريكية بشرط موافقة المفوضية على ألا يتم قبول الأطفال المسلمين في هذه المدارس إلا إذا كانت لديهم شهادات تفيد إكمال تعليمهم الديني، وهو ما رفضته المفوضية[٣]، وأدى إلى لجوئها لوزارة الخارجية الأمريكية وطلب اتخاذ التدابير اللازمة لإجبار الباب العالي على سحب هذه التعليمات[٤].

لم تؤثر جهود الدبلوماسية الأمريكية لمنع تمرير هذه الإجراءات على موقف السلطات العثمانية تجاه المنصرين الأمريكيين حيث واصلت السلطات

---

(1)(F. R. U. S) 1892, Turkey, From Mr. Hirsch to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, January 22, 1892, Received February 8, 1892, No. 379, p. 531; (F. R. U. S) 1892, Turkey, From Mr. Hirsch to the Sublim Porte, Legation of the United States, Constantinople, January 21, 1892, Inclosure1 in No. 379, pp. 531, 532.

(2)(F. R. U. S) 1892, Turkey, From Mr. Hirsch to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, March 2, 1892, Received March 22, No. 399, p.538

(3)(F. R. U. S) 1892, Turkey, From Mr. Hirsch to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, March 2, 1892, Received March 22, No. 399, pp. 538- 539.

(4)(F. R. U. S) 1892, Turkey, From Mr. Hirsch to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, March 31, 1892, Received April 16, No. 417, p. 550.

إغلاق المدارس المخالفة، ومصادرة ممتلكات الإرساليات الأمريكية في تركيا[١]، فلم يجد المنصرون الأمريكيون بديلًا عن الالتزام بالقواعد التي وضعها الباب العالي لتنظيم مدارسهم لضمان استمراريتها، فسعوا مدعومين بالدعم الدبلوماسي إلى استخراج التراخيص وانتزاع الإرادات السلطانية من أجل افتتاح المزيد من المؤسسات التعليمية الأمريكية داخل تركيا[٢].

كما لعبت الدبلوماسية الأمريكية دورًا كبيرًا في الحصول على الإعفاءات الضريبية لبعض المؤسسات التعليمية التنصيرية في تركيا، وتعد الكلية الأمريكية للبنات في القسطنطينية، وكلية مرسوف من أبرز المؤسسات التنصيرية التي تم إعفاؤها نهائيًا من جميع الضرائب نتيجة لمساعي الدبلوماسية الأمريكية[٣]

---

(1)(F. R. U. S) 1892, Turkey, From Mr. Miller to Mr. Blaine, New york, April 5, 1892, Inclosure in No. 316, p. 560- 564.

(2) (F. R. U. S) 1890, Government Printing Office, Washington, 1891, Turkey, From Mr. Mac Nutt to Mr. Blain, Legation of the United States, Constantinople, August 14, 1890, Received August 28, No. 151, p. 771; (F. R. U. S) 1895, Government Printing Office, Washington,1896, Turkey, From Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United States, Constantinople, January 16, 1895, Received February 4, No. 396, p. 1232.

(3) (F. R. U. S) 1895, Turkey, From Mr. Uhl to Mr. Terrell, Department of States, Washington, January 22, 1895, No. 319, p. 1232; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From Mr. Smith to Mr. Gresham, American Board of Commissioners for Foreign Missions, Boston, January 19, 1895, p. 1233; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United States, Constantinople, April 27, 1895, Received May 13, No. 526, p. 1233; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From Mrs. Dodd to Mr. Terrell, American College for Girls in Constantinople, Inclosure in No. 526, p. 1233; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From Mr. Olney to MavroyeniBey, Department of States, Washington, June 27, 1895, No. 21, p. 1234; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From M. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United States, Constantinople, July 10, 1895, Received July 26, No. 568, p. 1235; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From MavroyeniBey to Mr. Olney, Imperial Legation of Turkey, Washington, September 9, 1895, Received

يبدو أن الباب العالي لم يمنح الإرادات بإعفاء هذه المؤسسات من الضرائب إلا من أجل أن يأمن بوائق المنصرين الأمريكيين وحكومتهم أثناء التمرد الأرمني (١٨٩٤-١٨٩٦م) [١]، بدليل أن إعفاء المؤسستين لم يتم إلا عام

September 9, 1895, Translation, p. 1235; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United States, Constantinople, October 3, 1895, Received October 18, No. 634, p. 1235; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From Mr. Schmavonian to Mr. Terrell, Constantinople, October 1, 1895, Inclosure in No. 634, pp. 1235, 1236; ; (F. R. U. S) 1895, Turkey, Telegram From Mr. Gresham to Mr. Terrell, Department of States, Washington, April 2, 1895, p.1236; (F. R. U. S) 1895, Turkey, Telegram From Mr. Terrell to Mr. Gresham, Constantinople, April 4, 1895, p. 1236; ; (F. R. U. S) 1895, Turkey, Telegram From Mr. Terrell to Mr. Gresham, Pera, May 2, 1895, p. 1236; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From Mr. Uhl to Mr. Terrell, Department of States, Washington, May 10, 1895, No. 461, pp. 1236, 1237; (F. R. U. S) 1895, Turkey, From Rev Judson Smith to Mr. Gresham, Boston, May 7, 1895, Inclosure in No. 461, p. 1237.

[١] شجع استقلال بلغاريا والصرب الأرمن خاصة بعد إثارة المدارس الأمريكية النزعة الانفصالية في نفوسهم على محاولة الاستقلال عن الدولة العثمانية، ولكن لما لم تُبد الدول الأوروبية اهتمامًا لمطالبتهم بالاستقلال اتجهوا إلى أسلوب العنف وكونوا جمعيات ثورية أرمينية داخل الإمبراطورية العثمانية، وفي روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وقاموا بطباعة و توزع المنشورات التحريضية على الدولة العثمانية واستخدموا العنف لإثارة المسلمين ودفعهم إلى نوع من الانتقام يُرغم الدول الأوروبية على التدخل إلا أن الشرطة العثمانية استطاعت في أغلب الأوقات أن تمنعهم من تحقيق هدفهم، كما منع المسلمون من الرد بالمثل، فلجأ بعض الطلاب الأرمن في فرنسا وسويسرا إلى تكوين حزبي الهانشاك Hunchak والطاشناق Tashnak في عام ١٨٩٠م من أجل توحيد الثوار الأرمن وكانت برامجها تدور حول إنشاء وتكوين مجموعات عمل تتسلل إلى داخل الدولة العثمانية وتهاجم موظفي الحكومة والأرمن على السواء مما يؤدي إلى التدخل الأجنبي ومساعدة الثوار على إقامة جمهورية أرمينيا، وفي ١٨٩٤ بدأوا في تنفيذ خطتهم بالهجوم على المسلمين وقتل أعداد كبيرة منهم ثم ارتداء زي الأتراك وقتل أعداد من الأرمن واستخدام الدعايا الثورية لإثارة الرأي العام الأوروبي ضد الدولة العثمانية واستمرت التمردات حتى عمت معظم أنحاء الإمبراطورية وقام المتمردين بالاستيلاء على البنك العثماني باستانبول وإصابة العديد من الموظفين العثمانيين مما أدى إلى إعلان الأحكام العرفية وإنزال الجيش لإنهاء التمردات وبسبب اختلاف الدول الأوروبية حول إمكانية مساندة الأرمن انقسم المتمردين وتورطوا في منازعات أدت إلى إنهاء التمرد عام ١٨٩٦م وهروب المتمردين إلى فارس ومصر والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. سلوى الغالبي، العلاقات العثمانية الأمريكية (١٨٣٠- ١٩١٨م)، ص١٢١-١٢٣؛ محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، الطبعة الثالثة، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص١٢٠- ١٢٨.

١٨٩٥م وقد اعترفت المفوضية التركية في واشنطن بذلك عندما ذكرت في إحدى خطاباتها الموجهة للخارجية الأمريكية بخصوص إعفاء الكلية الأمريكية للبنات من الضرائب أن هذا الإعفاء مُنح من قبل السلطان كدليل على رغبته الصادقة في علاقات ودية بين البلدين(١).

لم يقتصر دور الدبلوماسية الأمريكية في حماية مؤسسات المنصرين التعليمية في تركيا على التدخل لمنع إصدار قانون أو تعطيله أو إعادة فتح مدرسة قامت السلطات العثمانية بإغلاقها، ولكن امتد أحيانًا إلى طلب حماية المؤسسات التنصيرية من السكان المحليين الذين وصل بهم الأمر أحيانًا إلى إغلاق مدارس المنصرين بأنفسهم، وطرد المنصرين الأمريكيين من قراهم، ومن ذلك ما حدث عام ١٨٨٣م في قرية شوكمازمان Shockmazman بولاية أضنة عندما أوقف السكان المحليين العمل في مبنى مدرسة تابعة لأحد الإرساليات البروتستانتية الأمريكية وهددوا المنصرين بالقتل إذا استمروا في هذا العمل وأخرجوهم من قريتهم ومنعوا عودتهم إليها مرة أخرى مما دفع القنصل الأمريكي إلى رفع مذكرة لوالي أضنة يطلب فيها التحقيق ومعاقبة المتورطين في الجريمة، وحماية المنصرين الأمريكيين، إلا أن الوالي لم يلتفت إلى المذكرة مما دفع الدبلوماسيين الأمريكيين إلى رفع المزيد من المذكرات للمسؤولين العثمانيين لإصدار الأوامر باستئناف العمل في بناء المدرسة وحماية المنصرين ولكنها لم تجدي شيئًا(٢).

---

(1) (F. R. U. S) 1895, Turkey, From MavroyeniBey to Mr. Olney, Imperial Legation of Turkey, Washington, June 12, 1895, Translation, p. 1234.

(2)(F. R. U. S) 1883, Government Printing Office, Washington, 1884, Turkey, From Mr. Wallace to Mr. Frelinghuysen, Legation of the United States, Constantinople, July 26, 1883, Received August 18, No.

بذلت الحكومة الأمريكية مساعيها لمنع تكرار مثل هذه الحوادث إلا أن معظمها باء بالفشل ففي بتليسBitlis قام السكان المحليين بتعطيل بناء مدرسة ثانوية تابعة للإرساليات البروتستانتية الأمريكية وهددوا المنصرين بالعنف إذا استمر البناء، ورغم منح والي بتليس تصريح بالبناء للمنصرين الأمريكيين إلا أنه لم يحرك ساكنًا وترك السكان المحليين يفعلون ما يريدون(١).

وفي المونستير Monastirاشترى المنصرون الأمريكيون قطعة أرض في سترومنتزا Strumnitza (إحدى القرى التابعة للموناستير) للبناء عليها وبمجرد أن شرعوا في تسييجها، تجمع حشد من الطلاب اليونانيين، وقاموا بهدم الجدار، ورفضت الحكومة العثمانية منح المنصرين إذنًا لإعادة بناء الجدار، وأحالت القضية برمتها إلى القسطنطينية(٢).

١- الدعم الدبلوماسي لنشاط الطباعة والنشر.

255, p. 871; (F. R. U. S) 1883, Turkey, From Mr. Wallace to Aarifi Pasha, United States Legation, Constantinople, July 26, 1883, Inclosure 1 in No. 255, p. 871; (F. R. U. S) 1883, Turkey, From Mr. Heap to Mr. Wallace, United States Consulate General, Constantinople, July 25, 1883, Inclosure 2 in No. 255, p. 872; (F. R. U. S) 1883, Turkey, From Mr. Robeson to Mr. Heap, United States Consulate, Beirut, July 10, 1883, Inclosure 3 in No. 255, p. 872; (F. R. U. S) 1883, Turkey, From Mr. Robeson to Abedine Pasha, United States Consulate, Beirut, April 16, 1883, Inclosure 4 in No. 255, pp. 872, 873; (F. R. U. S) 1883, Turkey, From Mr. Robeson to Abedine Pasha, United States Consulate, Beirut, May 25, 1883, Inclosure 5 in No. 255, p. 873.

(1) (F. R. U. S) 1883, Turkey, From Mr. Knapp to Mr. Wallace, Bitlis, August 21, 1883, Inclosure 1 in No. 272, p. 880.

(2) The Missionary Herald, Vol. 85, No. 12, December, 1889, Albania, p. 537.

حظي نشاط الطباعة على اهتمام كبير من قبل المنصرين البروتستانت الأمريكيين في تركيا، ومن ثم حرصت الحكومة الأمريكية على تقديم الدعم الدبلوماسي له، وعدم السماح بتمرير القوانين التي تحدده وتقيده.

بدأت أنشطة الطباعة والنشر في تركيا منذ عام ١٨٣٣م عندما قام المجلس الأمريكي لأمناء الإرساليات الأجنبية وجمعية الكتاب المقدس الأمريكية بنقل المطبعة التنصيرية من مالطة إلى سمرنا، وتولت كل من جمعية الكتاب المقدس الأمريكية، والمجلس الأمريكي لأمناء الإرساليات الأجنبية، وجمعية المنشورات الأمريكية The American Tract Society مهمة طباعة وبيع الكتب الدينية، والكتب المدرسية، والمصنفات العلمية، والمنشورات، والصحف الدينية في تركيا، وكانت هذه الجمعيات تتحمل نفقات نقل الكتب إلى كافة أنحاء تركيا، ويتم بيعها في معظم أنحاء تركيا بواسطة وكلاء الجمعيات بسعر تسويقي لكل عمل[١].

لم يكن هناك قانون محدد ينظم عملية طباعة ونشر الكتب في تركيا في بداية عمل المنصرين فيها، فنادرًا ما كان يتم نشر كتاب في ذلك الوقت إلا ما تقوم الحكومة نفسها بنشره، ورغم ذلك كانت تتعرض جميع الكتب للفحص في الجمارك وتتم الموافقة على نشرها وتُختم بخاتم رقيب الجمارك[٢].

وفي عام ١٨٧٤م صدر قانون الطباعة، وفرض ألا يتم نشر أي كتاب في الإمبراطورية دون تصريح من وزير التعليم، ويتم الحصول على التصريح بتقديم طلب للحصول على إذن لطباعته، وبعد طباعة الكتاب لا يمكن نشره قبل أن يتم فحصه مرة أخرى بغرض التحقق من مطابقته للمخطوطة التي أُذن

(1) (F. R. U. S) 1890, Memorandum of Interferences with the Book Trade of Americans in Turkey, Inclosure in No. 104, pp. 752, 753.
(2) (F. R. U. S) 1890, Memorandum of Interferences with the Book Trade of Americans in Turkey, Inclosure in No. 104, p. 753.

بطباعتها، ويُطلب من كل كتاب أن يحمل على صفحة العنوان بيان أنه مصرح به، وفي عام ١٨٨٢م أُضيف شرط أن يحتوي البيان على تاريخ ورقم التصريح[١].

ظهر دور الدبلوماسية الأمريكية في حماية أنشطة الطباعة والنشر منذ عام ١٨٨٢م عندما رفضت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية قرار الحكومة العثمانية بفحص الكتب التي تنتمي إلى جمعية الكتاب المقدس الأمريكية، وإلزام الجمعية بوضع الخاتم الخاص بها على الكتب التي تنتمي إليها، وإحالة الكتب الموجودة بالأسواق للفحص دفعة واحدة على يد موظف معين من قبل نظارة المعارف يساعده مندوب معين من قبل مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية، واستندت المفوضية في رفضها لهذا القرار على مذكرة أعدتها جمعية الكتاب المقدس توضح أن الغرض من عملية فحص الكتب الموجودة بالأسواق هو تفتيش الضباط العثمانيين للمتلكات الأمريكية، وأنه إذا سمحت الحكومة الأمريكية بتفتيش مستودعات الكتب فلن يكون لديها القوة بعد ذلك للحفاظ على الامتيازات الممنوحة للأمريكيين، كما أن إخضاع جميع الكتب التي لا تحمل ختمًا للمصادرة رغم أنها استيردت قبل صدور القانون سيتسبب في إلحاق الضرر بتجارة الكتب، واقترحت الجمعية أن يتم فحص نسخة واحدة من كل كتاب، وإذا ثبت أن محتواها غير ضار يُسمح للمستورد بطباعة مئات النسخ من

[1](F. R. U. S) 1890, Memorandum of Interferences with the Book Trade of Americans in Turkey, Inclosure in No. 104, p. 753.

شهادة بأن الكتاب قد فُحص من قبل نظارة المعارف ويتم وضعها في جميع النسخ المطروحة بالأسواق لاستخدامها كتصريح بتداول الكتاب[١].

وفي العام التالي اقترحت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية على الخارجية الأمريكية أن يتم تعيين مندوبين يمثلون الباب العالي وجمعية الكتاب المقدس الأمريكية والمفوضية الأمريكية لوضع خطة مرضية لجميع الأطراف من أجل إيقاف مصادرة كتب المنصرين، وتنفيذًا لمقترح المفوضية الأمريكية اجتمع كل هنري دوايت Henry Dwightبالنيابة عن جمعية الكتاب المقدس، والسيد جارجويلي Garguilo بالنيابة عن المفوضية وناظر المعارف العثماني،وتم الوصول إلى اتفاق حول الموضوع[٢] يتمثل في أن تشير صفحة العنوان إلى أن الكتاب نُشر بواسطة جمعية الكتاب المقدس الأمريكية لحمايته من المصادرة[٣].

رغم الوصول إلى اتفاق بين الباب العالي وجمعية الكتاب المقدس بوساطة المفوضية إلا أن مصادرات الحكومة لكتب الجمعية لم تتوقف مما دفع

---

(1)(F. R. U. S) 1883, Turkey, From Aarifi Pasha to Mr. Wallace, Ministry of Foreign Affairs, Sublim Porte, December 30, 1882, Inclosure 1 in No.166, p. 823; (F. R. U. S) 1883, Turkey, From Managers of Bible House to Mr. Wallace, Bible House, Constantinople, January 11, 1883, Inclosure 2 in No. 166, pp. 823- 825; (F. R. U. S) 1883, Turkey, From Mr. Wallace to Mr. Aarifi Pasha, United States Legation, Constantinople, January 14, 1883, No. 141, p. 827.

(2)(F. R. U. S) 1883, Turkey, From Mr. Wallace to Mr. Frelinghuysen, Legation of the United States, Constantinople, August 14, 1883, Received September 3, No. 264, p. 877.

(3)(F. R. U. S) 1883, Turkey, From Mr. Wallace to Mr. Frelinghuysen, Legation of the United States, Constantinople, August 14, 1883, Received September 3, No. 264, p. 877.

المفوضية إلى التدخل المستمر لحماية كتب المنصرين من المصادرة وكانت تنجح في الغالب في حمايتها[١].

وعلى الجانب الآخر وفر الدبلوماسيون البريطانيون الحماية لكتب المنصرين الأمريكيين في المناطق الداخلية التي تخلو من التمثيل الدبلوماسي الأمريكي[٢] حيث فرضت السلطات العثمانية قيودًا على بيع كتب المنصرين في المناطق الداخلية أقوى من القيود التي فرضتها عليهم في العاصمة، وصلت في بعض الأحيان إلى حظر بيعها تمامًا ومصادرتها حتى مع حصولها على التصريح اللازم، ومعاقبة بائعي الكتب في هذه المناطق بالسجن إذا كسروا هذا الحظر[٣].

يرجع السبب وراء تشدد السلطات العثمانية تجاه المنصرين، وإقامة الصعوبات والعوائق لمنع بيع كتبهم في هذه المناطق إلى المعارضة القوية التي لاقوها من قبل الأرمن والمسلمين بسبب إدراكهم لتأثير كتب المنصرين ومنشوراتهم على دفع الشباب الأرمن للهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية،

---

(1)(F. R. U. S) 1884, Turkey, From Mr. Frelinghuysen to Mr. Wallace, Depatment of State, Washington, May 28, 1884, No. 196, p. 561; (F. R. U. S) 1884, Turkey, From Mr. Heap to Mr. Frelinghuysen, Legation of the United States, Constantinople, June 19, 1884, Received July 7, No. 402, p. 563.

(2) (F. R. U. S) 1884, Turkey, From Lord Dufferin to Mr. Heap, Therapia, July 14, 1884, Inclosure 1 in No. 414, p. 565;(F. R. U. S) 1884, Turkey, From Mr. Heap to Lord Dufferin, Legation of the United States, Therapia, July 18, 1884, Inclosure 2 in No. 414, p. 566.

(3) (F. R. U. S) 1884, Turkey, From Mr. Everett to Lord Dufferin, Erzroum, June 26, 1884, Inclosure 4 in No. 414, pp. 566, 567

وحصولهم على الجنسية الأمريكية وترويج الدعايا السياسية للولايات المتحدة الأمريكية بعد عودتهم إلى البلاد[١].

وفي عام ١٨٨٨م ازدادت الأمور سوءً بالنسبة لنشاط الطباعة والنشر بسبب إصدار الحكومة العثمانية قانونًا جديدًا لتنظيم عملية الطباعة في الدولة العثمانية نص على إلزام الرعايا الأجانب الراغبين في إنشاء مكاتب الطباعة بالحصول على رخصة رسمية عن طريق تقديم طلب لنظارة الداخلية في القسطنطينية،أولحكام العموم في الولايات يحدد أسماءهم ومهنهم وأماكن إقامتهم، ومكان المكتب، واللغات التي سيتم نشر مطبوعاتهم بها، ويرفق بالطلب تعهد خطي بالامتناع عن طباعة أي كتابات معادية للدولة العثمانية وإغلاق أي مكتب طباعة يتم فتحه بدون ترخيص، وتغريم صاحبه ومعاقبته، وإلزام الذين يبيعون مواد الطباعة بالحصول على رخصة من حاكم المدينة[٢].

كما نص القانون على معاقبة وتغريم الذين يقومون بالطباعة سرًا في منازلهم أو في أماكن غير معروفة، وسمح لموظفي نظارة المعارف بتفقد المطابع في أي وقت وأوجب على أصحابها إظهار الترخيص عند الطلب، وألزم المطابع بعدم طباعة أي عمل دون ترخيص، وإيداع نسختين من العمل لدى نظارة المعارف العمومية قبل تداوله مرفقتا بإعلان موقع من المطبعة يوضح عنوان الكتاب وعدد النسخ المطبوعة، ومنع طباعة ونشر الكتب والنشرات دون ذكر

---

[1](F. R. U. S) 1884, From Mr. Heap to Mr. Frelinguysen, Legation of the United States, Constantinople, July 18, 1884, Received August 2, No. 414, p. 565.

[2](F. R. U. S) 1888, Turkey, Translation of Low Concerning Printing Offices, Inclosure 1 in No. 87, pp. 1592, 1593.

أسماء مؤلفيها، كما اشترط موافقة رؤساء الطوائف الدينية لمنح تصريح بطباعة الكتب الدينية غير الإسلامية[١].

أما بالنسبة للمواد المطبوعة المستوردة من الخارج فقد حظر القانون إدخالها إلى الإمبراطورية العثمانية دون حصولها على تصريح، وفحصها في القسطنطينية من قبل نظارة المعارف، وفي الولايات من قبل السلطات المحلية ، وإذا لم يكن هناك أي اعتراض عليها تُختم نسخة واحدة منها بالخاتم الرسمي، وتعاد إلى الجمارك ليتم تسليمها للمالك، ويجب على نظارة المعارف إعداد قائمة بالكتب التي توافق عليها النظارة، وترسل القائمة إلى جميع الجمارك كي يُسمح لها بالمرور دون فحص. وألزم القانون العمال الأجانب الذين يعملون في المطابع بالحصول على رخص من حاكم المدينة. كما أوجب تفتيش محلات بيع الكتب من قبل ضباط البوليس، ومفتشي التعليم، و الرقابة على الصحف في حالة الضرورة. وتغريم الذين يقومون ببيع المواد المطبوعة بدون تصريح[٢].

كما أوجب القانون مصادرة المواد المطبوعة بدون ترخيص باستثناء نسخة واحدة تختم بواسطة الضابط الذي ينفذ عملية المصادرة وتودع مؤقتًا في أقرب مقر للبوليس، أو في مكاتب السلطة البلدية، ويجب عليهم إذا اقتضى الأمر نقلها وتخزينها في المكان الذي تحدده هيئة الرقابة على الصحف ولا يمكن إعادتها إلى صاحبها بدون أمر من نظارة الداخلية أو من المحكمة[٣].

---

(1) (F. R. U. S) 1888, Turkey, Translation of Low Concerning Printing Offices, Inclosure 1 in No. 87, pp. 1592, 1593.

(2) (F. R. U. S) 1888, Turkey, Translation of Low Concerning Printing Offices, Inclosure 1 in No. 87, pp. 1593, 1594.

(3)(F. R. U. S) 1888, Turkey, Translation of Low Concerning Printing Offices, Inclosure 1 in No. 87, pp. 1594, 1595.

اعترضت المفوضية الأمريكية على إصدار القانون دون التشاور مع السفارات والقنصليات الأجنبية، واعتبرته دليلًا على عدم احترام الحكومة العثمانية لحقوق الأجانب وامتيازاتهم[١]، وانتهاكًا لنصوص المعاهدات والاتفاقيات لأنه يفرض على المطبعة التخلي تمامًا عن الامتيازات والحصانات المكفولة للأجانب بمقتضى المعاهدات[٢].

رغم اعتراض المفوضية على القانون إلا أن ذلك لم يحل دون تمريره، ويبدو أن المنصرين الأمريكيين قد أُجبروا على الامتثال لبنوده خوفًا من العقوبات والغرامات التي فرضها القانون على من يخالفه، أو خوفًا من إيقاف أعمال الطباعة والنشر الخاصة بهم من قبل السلطات العثمانية، فاستعانوا بالمفوضية لتسهيل الحصول على التصاريح من وزير التعليم لطباعة آلاف النسخ من الكتب الدينية،ومن ذلك ما حدث أواخر عام ١٨٨٨م عندما نجحت المفوضية الأمريكية في الحصول على تصريح من ناظر المعارف بطباعة خمس وثلاثين ألف (٣٥٠٠٠) نسخة من الكتاب المقدس باللغة التركية[٣].

لم يحُل حصول كتب المنصرين على تصاريح من نظارة التعليم دون مصادرتها، فكانت تتم المصادرة غالبًا بسبب احتواء الكتب على أشياء تعتبرها الحكومة العثمانية مثيرة للفتنة مثل الترنيمة المسيحية "هل أنا جندي الصليب" فتم

---

(1)(F. R. U. S) 1888, From Mr. Straus to Mr. Bayard, Legation of the United States, Constantinople, June 8, 1888, Received June 25, No. 87, p. 1519.

(2) (F. R. U. S) 1888, Note Verbal From the Legation of the United States to the Ministry of Foreign Affairs, United States Legation, Constantinople, June 6, 1888, p. 1595

(3) (F. R. U. S) 1889, From Mr. Straus to Mr. Bayard, Legation of the United States, Constantinople, December 22, 1888, Received January 7, 1889, No. 151, p. 706.

حظر كتاب لاحتوائه على هذه الترنيمة على اعتبار أنها ثورية، وتم حظر كتاب آخر يحتوي على كلمة "وطن"، وتم حظر كتاب للطفل لاحتوائه على صورة لجبل آرارات، وتم حظر كتاب آخر لاحتوائه على اسم "أرمينيا" في واحدة من خرائطه[١]، وأحيانا كانت تتم المصادرة بسبب تشكيك الرقيب في صحة التصريح المطبوع عليها، مما يستدعي إرسالها إلى القسطنطينية للتأكد من صحة التصريح[٢].

كما قامت السلطات العثمانية باحتجاز المطبوعات المرسلة للمنصرين عن طريق البريد[٣] وأخضعتها للفحص، مما أدى إلى اعتراض المفوضية الأمريكية لدى الصدر الأعظم الذي برر فعل الحكومة بأن الرقابة تكون على المطبوعات بما في ذلك الصحف الآتية إلى الإمبراطورية، فبعضها يصدر عن الأرمن في أمريكا ويحتوي على مقالات معادية للحكومة العثمانية[٤].

رغم اعتراضات المفوضية الأمريكية المتكررة على سياسة الحكومة العثمانية تجاه كتب المنصرين ومطبوعاتهم ووعود الباب العالي بإزالة العقبات

---

(1) (F R U S) 1890, Turkey, Memorandum of Interferences with the Book Trade of Americans in Turkey, Inclosure in No. 104, p. 765.

(2)(F R U S) 1890, Turkey, From Mr. Hirsch to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, March 31, 1890, Received April 16, No. 104, p. 752; (F. R. U. S) 1891, From Mr. Wharton to Mr. Mac Nutt, Department of State, Washington, October 17, 1891, No. 250, p. 757.

(3)(F R U S) 1892, Turkey, From Mr. Dwight to Mr. Hirsch, Bible House, Constantinople, February29,1892, Inclosure in No. 397, p. 537.

(4).(F R U S) 1892, Turkey, From Mr Hirsch to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, February29,1892, Received March 15, No. 397, p. 536.

مـن أمـامهم إلا أن السياسـة العثمانيـة تجـاه المطبوعـات التنصـيرية لـم تتغيـر واستمرت في وضع العقبات أمامها للحيلولة دون ترويجها[١]

يتضح من الدراسة أن النشاط التنصيري الأمريكي لم يكن نشاطًا فرديًا، ولكنه كان نشاطًا مؤسسيًا، حظي بالدعم الدبلوماسي الأمريكي الذي أضفى عليه الحماية من الإيقاف وعلى منصريه الحماية من الطرد، ورغم الدعم الدبلوماسي القوي لأنشطة المنصرين إلا أنها لم تسلم في بعض الفترات من التضييق عليها من قبل السلطات العثمانية خاصة خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني الذي وضع عدة قوانين حالت دون التقدم السريع لأنشطة المنصرين خاصة التعليمية، كان من أبرزها لائحة المدارس في أواخر ١٨٧٤م، وقانون الطباعة عام ١٨٨٨م.كانت السلطات العثمانية تلجأ في بعض الأوقات إلى مداراة الولايات المتحدة الأمريكية بالخضوع لطلباتها وسحب القيود المفروضة على أنشطة المنصرين الأمريكيين وتقوم على الجانب الآخر بإصدار التعليمات لموظفيها بتطبيق القانون ومواصلة التضييق على المنصرين.كان للدعم الدبلوماسي لأنشطة المنصرين الأمريكيين في تركيا دورًا فعالًا في استمرار هذه الأنشطة وتقدمها، خاصة مع تدهور أوضاع الإمبراطورية العثمانية، وانصياعها في أوقات الاضطرابات لرغبات الولايات المتحدة الأمريكية خوفًا من مساعدة المنصرين ودولتهم للمتمردين ضد الدولة.

---

[1] (F R U S) 1890, Turkey, From Mr. King to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, December 10, 1889, Received December 10, 1889, Received December 31, No. 59, pp. 722, 723; (F R U S.) 1890, Turkey, From Mr. Hirsch to Mr. Blaine, Legation of the United States, Constantinople, March 31, 1890, Received April 16, No. 104, pp. 751, 752.

الاسترجـــاع والاستباق فـــــى ثـلاثـيـــات حـنـا مينـة

إعــداد

أمانى جابر عبد الفتاح

دكتوراه فى الأدب والنقد الحديث

كلية الآداب – جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٥

الاسترجاع والاستباق فى ثلاثيات (١) حنا مينة

تقديم

من البدهى أن ترتيب الأحداث التى تجرى فى القصة (2) يختلف زمنيًّا عن ترتيبها فى الخطاب(3) ، فالوصول إلى الحالة المثالية (درجة الصفر) التى تقتضى التطابق التام بين زمنى القصة والخطاب أمر افتراضى، ولا وجود له فى الواقع (٤) ؛ ويعزى ذلك إلى صعوبة لغة الكتابة التى « تتكون من سلسلة مختلفة الوحدات من كلمات ، وجمل ، وفقرات ، ويصطدم هذا الترتيب الخطى للوحدات اللغوية البسيطة بمشكلات عديدة معقدة ، عند محاولة ترتيب الحوادث على نفس النسق الخطى ، حيث إن هذا الخط يقطع ، ويلتوى ، ويعود على نفسه ، ويمط إلى الإمام ، ويمط إلى الخلف ، حتى فى أبسط النصوص القصصية بساطة وسذاجة ، ذلك فإن ظهور أكثر من شخصية رئيسة فى القصة يقتضى الانتقال من واحدة إلى أخرى ، وترك الخط الزمنى الأول للتعرف على ما تفعله الشخصية الثانية أثناء معايشة الأولى لحياتها ، فالتزامن فى الأحداث يجب أن يترجم إلى تتابع فى النص » (٥) . الأمر الذى يجعل الراوى لا يتقيد بترتيب الأحداث ترتيبًا كرنولوجيًّا (*). كما يفترض أن تجرى فى الواقع ، بل يكسر تتابع قصه ، فينفتح وعيه على الماضى البعيد ، لاستحضار بعض الأحداث السالفة ، أو يقفز بالأحداث إلى المستقبل

ويسعى هذا البحث إلى الوقوف عند تقنيتين زمنيتين تسهمان فى كسر الخطية الزمنية فى تلاثيات " حنا مينة " ، وهما تقنيتا الاسترجاع والاستباق ، فتعرض الدراسة لكل منهما على حدة ، مبرزة أنماطهما ووظائفهما المتباينة ، ودورهما فى تشييد البنية الزمنية عند الكاتب .

١ _ الاسترجاع

يمثل الاسترجاع ([٦]) سمة بارزة فى المتن الروائى الكلاسيكى ، فلا تكاد تخلو رواية منه ، وكثر توظيفه في الرواية الحديثة ، حتى أصبح من أكثر التقنيات حضورًا وتجليًا، إذ تخلصت الرواية الحديثة من الحبكة التقليدية التى تعتمد على التسلسل المنطقى للأحداث ، وأضحت بنيتها تعتمد على التشظى الزمنى اللامنتظم ، والتداخل الزمنى – أحيانًا – بين الماضى والحاضر ، الأمر الذى يجعل الاسترجاع « واحدًا من أهم آليات وصور تدخل السارد ، لإعادة الترتيب الزمنى للوقائع داخل السرد ، وبذلك ينتقل دور الاسترجاع من كونه واحدًا من آليات الإنتاج السردى إلى كونه مكونًا سرديًّا ([٧]) » . من هنا فإن للاسترجاع دورًا مهمًا في رصد علاقة الراوى بمرويه ، من خلال تبنى وجهة نظر معينة ، يتخذها الراوى إزاء الأحداث التى يعيد إنتاجها داخل المتن الحكائى .

ويؤدى الاسترجاع بعض المقاصد الحكائية المهمة ، مثل ملء بعض الفجوات التى خلفها السرد وراءه ؛ مما يساعد على فهم مسار الأحداث ، أو تقديم شخصية جديدة دخلت عالم الرواية ، أو تسليط الضوء على شخصية غابت عن مسرح الأحداث ، ثم عاودت الظهور ، أو العودة إلى أحداث سبقت إثارتها برسم التكرار ([٨]).

كما يساعد الاسترجاع على « إضفاء ما يمكن أن يخدم زمن السرد الحاضر شكلاً وموضوعًا ، فيخلصه من الرتابة السببية ، وبما يسهم بدوره فى إضاءة دلالات الأحداث ، وطبيعة الشخصيات » ([٩]) .

وللاسترجاع ثلاثة أنماط رئيسة ، يقسمها النقاد تبعًا لمداه الزمنى إلى

(خارجى – داخلى – مزجى) ؛ حيث يقع الاسترجاع الخارجى خارج نطاق أحداث الحكاية الأولى ، بخلاف الاسترجاعات الداخلية التى تنحصر فى الداخل ، فتستحضر ماضيًا يحدث فى نقطة تالية لانطلاق القص الأول ، بينما تجمع الاسترجاعات المزجية بين النوعين السابقين ، إذ تمتد من نقطة خارج المنطلق الزمنى للمحكى الأول لتلتقى ببدايته ، وقد تجلت هذه الأنماط ، لاسيما الخارجية والداخلية ، حتى شكلت ملمحًا بارزًا فى ثلاثيات " حنا مينة " .

أ – الاسترجاع الخارجى

فى هذا النوع من الاسترجاع يتوقف السرد عن التنامى ، ويعود الراوى بالأحداث إلى ما قبل بداية الرواية / نقطة الصفر ، ويعد زمنيًا خارج منطلق المحكى الأول ، ويبدو أن هذا الاسترجاع أكثر شيوعًا فى الرواية الحديثة ؛ « لأن لجوء الروائى إلى تضييق الزمن السردى وحصره ، دفعه إلى تجاوز هذا الحصر الزمنى ، بالانفتاح على اتجاهات زمنية حكائية ماضية ، تلعب دورًا أساسيًا فى استعمال صورة الشخصية ، أو الحدث ، وفهم مسارها » (١٠) .

تأسيسًا على ذلك يتناسب الاسترجاع الخارجى تناسبًا عكسيًا ($\frac{1}{\alpha}$) مع الزمن الروائى فى الرواية الحديثة ، نتيجة لتكثيف الزمن السردى ، « فكلما ضاق الزمن الروائى ، شغل الاسترجاع حيزًا أكبر » (١١) .

ويشغل الاسترجاع الخارجى مساحة نصية ممتدة فى ثلاثيات حنا مينة ؛ وربما يعزى ذلك إلى طبيعة الشخصيات التى تحاول اللوذ بالفرار من حاضرها المأزوم إلى الماضى البعيد، بحثًا عن السكينة والاطمئنان ، فينصهر الحاضر في دهاليز الماضى ، خالقًا سياقات دلالية جديدة تسهم فى تخفيف وطأة

الحاضر ورتابته .

يتضح ذلك المعنى بشكل جليّ فى ثلاثية حكاية بحار (حكاية بحار ، الدقل ، المرفأ البعيد) ؛ حيث تنطلق رواية " حكاية بحار " من الحاضر السردى / لحظة استلقاء سعيد حزوم على الرمال ، واستدعائه لحادثة قريبة متمثلة في دعوة أحد الشباب له إلى التسابق فى الغوص أسفل مياه البحر : « **تقدم منه الفتى مزهوًا ، كان على يقين من النصر . إن هذا الكهل لن يصمد أمامه فى الماء ، وسوف يسبقه بغير شفقة ، وستشهد الشمس ، والبحر ، والحاضرون ، نهاية بحار شيخ يريد أن يسابق بحارًا فتى ... مد يده وأمسك بالفتى من رمانة كتفه ، جذبه نحوه وقال له :**

هذا هو البحر ... وسننزل تحت الماء ، ومن يسبق يفز ...

قتح سعيد عينيه في الماء كعادته ، كان قد نزل فى الماء بحركة قفز عمودية ، ثم استقام وقد شدّ جسمه ، وجعل يفتح ذراعيه ، ويشق بهما الماء ، مندفعًا إلى الماء بحركة إيقاعية مع انفتاح ساقيه وانغلاقهما ... غير أنه لاحظ أن قوة الدفع فى حركة ساعدىّ الفتى إلى أمام وإلى وراء من الصلابة بحيث تفوق حركة ساعديه » (١٢) .

يبدو من هذا النص أننا بإزاء زمنين متغايرين: حاضر تستشعر إزاءه الشخصية / سعيد حزوم بالوهن والانكسار ، نتيجة لعدم قدرته على إيقاف ديمومة الزمن التى امتدت بظلالها على الجسد الفتى، وماضٍ مشرق ملىء بالبطولات والقوة والشجاعة ، وكأن الاسترجاع الخارجى يرد من أجل المقارنة بين وضعيتين متباينين للبطل ؛ وضعية البطل الحالية ، ووضعيته السابقة ، فيضفى الاسترجاع الخارجى رؤية جديدة للأحداث ، تتسق مع معطيات الحاضر حيث « تتخذ الوقائع

الماضية مدلولات وأبعادًا جديدة، نتيجة لمرور الزمن ، فحركة الزمن وما تحدثه من تغيرات جسدية ونفسية ، تجعل رؤية الإنسان لأحداث مضت ، تتغير مع معطيات الحاضر وتطوره » (١٣) .

ولم يقتصر هذا الاسترجاع الخارجى_هنا_ على الكشف عن صورتين مختلفتين لشخصية واحدة (الماضى والحاضر) وحسب ، وإنما كان – أيضًا – سببًا رئيسًا فى انهمار فيض الذكريات على وعى الشخصية ، في خط تصاعدى لم يسر على غرار التسلسل التقليدى ؛ إذ إن الاسترجاع يتخلله صوت الراوى من الحاضر السردى بين آن وآخر ، مشكلاً وميضًا يعيد الشخصية إلى عالمها الخارجى / الحاضر ، حيث يتنحى الماضى جانبًا ليتراءى الحاضر السردى عبر مؤشرات زمنية دالة ، من هنا لا يكون الاسترجاع الخارجى في رواية " حكاية بحار " مجرد آلية يتخطى بها الراوى المسار الكرنولوجى فى القصة ، بل يعد مكونًا أساسيًّا من مكونات البنية السردية ، يضىء الحاضر ويفسره .

تقدم رواية " المستنقع " ماضى بعض الشخصيات ؛ بغرض الكشف عن سوابقها، مثل شخصية " عبده حسنى " الذى يستعيد الراوى ماضيه على نحو يطوى فيه نقطة انطلاق المحكى الأول الذى يتجسد فى وصول أسرة البطل إلى مدينة " إسكندرونه " : « **كان عبده هذا شابًا ضئيل الجسم ، هادئ التفكير ، ذكيًّا ، ومنطقيًّا ، وأول من تعرف العزف على العود في حينا ، فصار من بعد أحد أعمدة جوقته الموسيقية ، وكان وحيدًا لأبويه ، أو على الأصح وحيدًا لأمه ، لأن والده مات وهو صغير ، فتزوجت أمه من رجل يدعى نقولا ، كان يناديه والدى ، وكان كلا منهما محبًا للآخر بارًا به** » (١٤).

ويسترجع راوى "حدث فى بيتاخو" – كذلك – ماضى " زبيد الشجرى " مع

"مارلين" الإنجليزية ، وبدء علاقتهما سويًّا ، وهي نقطة تحدث خارج المنطلق الزمنى للحكاية الأولى ، المتمثلة في جلوس "زبيد الشجرى" على الدرج الرخامى لمطعم الأجانب : « **كانت مارلين فى بدء تعارفهما تتهمه بالتناقض ، وبأنه مبالٍ وغير مبالٍ في وقت واحد ، إلا أن زبيد ، وبأناةٍ دؤوبة كان يكشف لها ، باعتباره الأقدم في الصين ، عن الأشياء التى عليها أن تعرفها ، وعن تقنيات في عملها لا بد لها من أخذها فى الحسبان ، وعن سلوكيات يحسن ألا تغفلها ، وعن فوارق حياتية بين لندن وبكين... لأن لهذا البلد الآسيوى الكبير خصوصية فى بناء نظامه الاشتراكى، وهو سيتعلم من تجاربه ، وبصورة مغايرة لتجارب الدول الاشتراكية الأخرى** » (١٥).

وقد يأتى الاسترجاع الخارجى من أجل تفسير بعض الأحداث اللاحقة التى لم يتسن للسرد عرضها فى الحاضر ، فيستعيد راوى " المرفأ البعيد " حادثة غرق الريس "زيدان " الذى اعتبره البعض شهيدًا للوطن ، ورمزًا للفداء والعطاء ؛ نظرًا لعمله فى مجال النضال السياسى ضد الاحتلال الفرنسى ، فيبرز الاسترجاع الخارجى سر حب الناس له ، وحزنها على فقدانه : « **أفهم الآن لماذا اعتبروه شهيدًا ، عندما نسف المركب لم يمت رأسًا ، كنا على مقربة من الشاطئ، هرعت قوارب الصيد إلى مكان الحادث ، انتشلته مع بعض البحارة ، خرجنا إلى فلسطين ، هناك توفى ، ومن هناك أعدنا جثته إلى اللاذقية ، جرى له موكب تشييع لائق في المدينة ، مشى فيه الوجهاء والرياس وبحارة الميناء... ومشى قاسم أيضًا ... عجيب .. من المرجح أن يكون لهذا الرجل تاريخ لا أعرفه ، تاريخ في الجهاد ضد فرنسا ، هذا هو السبب فى هذا الأسى الذى أظهره الناس على فقده** » (١٦).

تتماثل رواية " بقايا صور " في تقديم تفسير بعض الأحداث التى تنتمى إلى المستوي الزمنى للحكاية الأولى ، فيفسر الاسترجاع أسباب كراهية الأم لابنة عمها الأرملة التى هرب معها الزوج تاركًا أسرته: « **تلك المرأة تظل ذكرى سيئة عند الأم ، كانت قريبتها ، ابنة عمها ، أرملة ، تواطأت مع الأب وأخذته وهو يزعم أنها أخفت ثيابه في المركب ، واضطرته إلى متابعة السفر معها حتى الإسكندرية ، وابنة العم أرملة .. ومهما يكن فقد ذهب ، وعاد مخفقًا ، منكسرًا ، ففرحت بعودته ، وغفرت فعلته** ... » (١٧) .

إن استدعاء الماضى وترهينه في الحاضر السردى ، لا يسهم في خلخلة النظام التتابعى للزمن وحسب ، بل إنه يفسر _أيضًا_ بعض الأحداث اللاحقة ، إذ تظل صورة الأب المستهتر الذى يتخلى كثيرًا عن مسئولياته تجاه أسرته – جريًّا وراء شهواته – ماثلة أمام ناظرى البطل/ الطفل ، تلاحقه بين آن وآخر ، حتى تغدو جزءًا من بقايا الصور المتهدلة ، القابعة في ذاكرته .

وكثيرًا ما يمتزج الاسترجاع الخارجى بالمونولوج الداخلى غير المباشر ؛ فتنطلق الشخصية بصحبة الراوى في حديث صامت ، تستدعى فيه الأحداث الماضية على غير ترتيب أو نظام ، ونجد ذلك في رواية " الدقل " ؛ إذ ينشب صراع نفسى داخل أعماق " الريس عبدوش " ، بين قتل زوجته " كاترين الحلوة " والإبقاء على حياتها ، جراء الشك فى سلوكها ، وانغماسها في علاقة محرمة مع " سعيد حزوم " ، فلا تجد شخصية " الريس عبدوش " مناصًّا سوى الحوار الذاتى التى تعبر من خلاله عما يعتمل داخلها ، مسترجعة علاقة الزوجة بوالد " سعيد حزوم " : « **الريس عبدوش ظل فى مجلسه يشرب . هاجمته الوساوس ، ماذا إذا تحقق من خيانتها ؟ صالح حزوم طردها من مرسين هو إلى أين**

يطردها ؟ ماذا إذا عاشرت غيره نكاية ؟ ، والأسوأ أن تعاشر فرنسيًّا من أولاد الكلب الذين يدوسون حرمة البلد ، فى هذه الحال يقتلها ، نظر في يديه ليستا نظيفتين على كل حال، لكن أن يلوثهما بدماء امرأة ؟ صالح حزوم لم يفعلها ، احترم رجولته ، اكتفى برحيلها ، اقتلعها من ذاته وانصرف إلى ما هو أهم ... » (١٨) .

تلعب الحواس دورًا مهمًا فى تحفيز الذاكرة على استدعاء الماضى ، واجتراره إلى اللحظة الحاضرة ، فالرؤية البصرية – مثلاً – لشخص ما أو لشىء ما ، قد تدفع الذاكرة إلى استحضار الماضى البعيد ، بطريقة لا تخضع « لتسلسل كرنولوجى متسق ، وإنما يتم الاختيار والانتقاء وفق منبهات ومؤثرات اللحظة الحاضرة » (١٩) . فرؤية البطل لباب أحد القصور الريفية فى رواية "القطاف " ، دفعته إلى تذكر باب البستان الكبير الذى عملت فيه الأسرة أجراء عند السيد " خريستو ": « **طالعنا مفرق تمتد منه درب صاعدة نحو الرابية ، ذات البيوت الفلاحية القليلة وبينها قناق (*) للسادة أصحاب القرية ، بقرميد أحمر ، وطابقين ، وواجهة حجرية ، وباب عريض صالح لمرور الدواب ... وقد ذكرنى فورًا بباب البستان الكبير الذى عملنا فيه أجراء عند السيد خريستو ، عقب هجرتنا من قرية الأكبر إلى قرية " قره أغاش " في ضواحى إسكندرونة ، فقد كانت ذكرى ذلك الباب ، وما ينفتح عليه من حوش كبير ، وما فيه من بيوت ، وأحصنة ، وبقر ، ماثلة في ذهنى ، تحكى عن طفولتنا الشقية فى ذلك البستان الذى يجاور المقبرة الفرنسية** » (٢٠) .

وإذا كانت الاسترجاعات الخارجية السابقة تظهر فى المستوى السردى الأول الذى يتصل بالراوى الابتدائى ، فإن ثمة استرجاعات أخرى تتعلق بالمستوى السردى الثانوى الذى تقوم به الشخصية السردية ، بما يشى بوجود

مستوى سردى تالٍ مغاير للمستوى السردى الأول ، ولبيان ذلك ، نتوقف عند بعض النصوص من رواية " بقايا صور " .

تتراءى هذه النوعية من الاسترجاعات الخارجية ، فى حكاية الشخصية السردية / الأم عن الخال "رزق" : « **وتابعت أمى قصة الخال ، فقالت : أيام الصيف كان يأخذنا إلى " الرغاط " فى أراضى القطن (*)، كان مقدمنا ، وهو وحده ، بين المقدمين ، يأخذ تعيينًا من الخبز للصغار ، وإذا رأى امرأة أو فتاة مقصرة في ركشها (*)، يعود من أول الصفوف و " يركش " معها حتى تلحق غيرها ... آه ... كان طيبًا ومرهوبًا ، يعرف بر الأناضول ، والغوات ، وقاطعى الطرق "ويمر من الإبرة " ... كان يحمل الخبز ، ويوزعه بيديه على اليتامى والمرضى ...** » (٢١) .

إن شخصية الخال " رزق " شخصية ماضوية ، لم تظهر في الحاضر السردى ، ولكن استرجاع الشخصية الساردة / الأم لها قد منحها الحضور والأهمية في حياة الأسرة ، بحيث أصبحت جزءًا لا يتجزأ من واقع الشخصيات النابضة بالحركة في الرواية ؛ إذ تمثل بصيصًا من الأمل أثناء ليالى الشتاء الجافة فى حاضر أفضل، بعدما كانت تعد طوقًا للنجاة في الماضى البعيد .

فالفواصل بين الماضى والحاضر استطاعت حكايات الأم المسترجعة عن الخال أن تلغيها ، ناسجة خيوطًا متسقة للماضى ، تغلف بها الحاضر المأزوم ، ببارقة أمل فى غد جديد ، ينبثق عنه واقع متغاير ، ينأى بالحاضر المنهزم ، ويطرحه – ولو على سبيل اللاوعى – بعيدًا ، فتعيش الشخصيات في الماضى البعيد الذى يحقق لها الأمن والاستكانة ، ويخلصها من رتابة الحاضر وآلامه، ومن ثم تلجأ الشخصية الساردة إلى « تحطيم المرتبية الزمنية عند الحلول فى

تلك الأحداث الماضوية المتذكرة التى برزت إلى السطح ، وحضرت في زمن غير زمنها ، ملغية كلاً من الحاضر والمستقبل » (٢٢) .

وتعد اللحظة الحاضرة من أهم محفزات الاسترجاع فى استثارة ذكريات قديمة ، واستجلابها فى الحاضر السردى، فالماضى يظل منسوجًا ومخزونًا في ذاكرة الراوى ، تستدعيه اللحظة الحاضرة بين آن وآخر ، فأثناء تواجد الأم في جنازة أحد الجيران ؛ لتقديم واجب العزاء لأسرته ، تتوارد الذكريات وصور الماضى القاتمة على وعى الشخصية الساردة / الأم ، متذكرة أخاها الذى توفى منذ زمن بعيد : « **مات جارنا فذهبت (أمى) أمس إلى الجنازة ، وبكت مع النساء الباكيات حول تابوت سُجى فيه الجار الذى لم يسمح لى بالدخول لرؤية وجهه وهو نائم كما قالت ... وتابعت أمى قصة الخال فقالت : " ... أمال رأسه جهتى ، وفتح عينيه بصعوبة ، مد يده نحوى فقال رجل: " أعطيه يدك يا مريم " ، أعطيته يدى ، فسحبها نحوه ، فوق صدره ، وقال بصوت ضعيف متقطع : " مريم ! " قلت: " أنا مريم ، يا خىّ ، كلمنى ! " ، وجاهد ليفتح عينيه ... وإذ ذاك رأيت دموعه وبكيت ، فقال الرجل الكبير : " لا تخافى ، هذا عرق من جبينه " ، ورفعنى من موضعى ، وبعد قليل تعالى البكاء، وصاحت امرأة : " مات رزق " وأخرجونى بالقوة من البيت** » (٢٣) .

فالحكاية التى استرجعها الراوى الثانوى / الأم ، تعد نتاجًا للتعرض إلى موقف مماثل فى الحاضر ، بذلك يغدو الحاضر السردى مفجرًا لكثير من الذكريات المخزونة فى ذاكرة الراوى التى يستدعيها على غير نظام أو ترتيب ، « فالاعتماد على الذاكرة يضع الاسترجاع فى نطاق منظور الشخصية ، ويصبغه بصبغة خاصة ، تعطيه مذاقًا عاطفيًا » (٢٤) .

إن التواصل بين الماضى والحاضر ، يقود إلى إنارة الحاضر ، من خلال التركيز على بعض الأحداث المسترجعة التى لم يتسنَ عرضها فى الحاضر السردى ، فيعيد الاسترجاع تشكيلها ، وتقديمها إلى المتلقى في صورة تعالق بين الماضى والحاضر ، وهذا يؤكد النظرة الحديثة التى « تنكر وجود الماضى كماضى ، بينما تؤكد بقوة وجود الماضى كحاضر ، فنحن نعيش فى الحقيقة فى سلسلة من الأزمنة الحاضرة التى تنزلق داخل بعضها ، ولكل منها ماض يرد إليها » (٢٥). فالماضى يظل قابعًا فى مساحات ممتدة من اللاوعى في الذاكرة ، حتى يستثيرها موقف مشابه ، فتطفو الذكريات على السطح عاقدة علاقة جدلية مع الحاضر .

أحيانًا يتراءى الاسترجاع الخارجى في الرواية نفسها ، بهدف تدعيم وجهة نظر الشخصية الساردة ، وتأكيد لأفكارها التى ترغب فى بثها إلى المروى عليه، عن طريق استحضار بعض القصص الدينية والتاريخية ، وتوظيفها داخل الخطاب السردى ، مما يولد سياقات دلالية جديدة ، تتخذ من الماضى مرجعًا لها ، يبدو متواشجًا مع الحاضر المهترئ ، ويتجلى ذلك في الحكاية التى ترويها الشخصية الساردة / الأم عن " نوح عليه السلام " : « **الأم حول الموقد ، تحكى عن الله والبشر ، عن نوح وسفينته والطوفان الذى حدث ... أربعون يومًا ، أربعون ليلة ، ظل المطر ، ودخل نوح الفلك ، ونجا ومن معه من الغرق ، والحمامة طارت فوق الماء ، وعادت حاملة غصن الزيتون ....** » (٢٦) .

فاستدعاء الشخصية الساردة لقصة سيدنا " نوح " عليه السلام والطوفان ، تأتى تدعيمًا لوجهة نظرها التى ترى ضرورة وجود منقذ ، يصل بالأسرة إلى بر الأمان ، ويخلصها من معاناتها ، تمامًا كما أنقذ " نوح " عليه السلام المؤمنين من الغرق ، ومن الفساد الذى حاق بالأرض ، مما يسهم – ولو على سبيل

التمنى – من التخفيف من وطأة الحاضر المتردى الذى تحيا فيه الشخصيات.

ب- الاسترجاع الداخلى

يختص هذا الاسترجاع باستحضار بعض الأحداث التى تأتى لاحقة لبداية السرد ، بقصد ملء بعض الفجوات التى تركها الراوى خلفه « شريطة ألا يجاوز مداها حدود زمن المحكى الأول ، لتصل إلى ما هو أقدم وأسبق من بدايته ، مما قد يعرض السرد لخطر التكرار والتداخل » (٢٧) . ويقل هذا النوع في الروايات الواقعية ، لأن الراوى « يتقيد فيها بالتسلسل الزمنى ، ويراعى تتابع الأحداث ، حتى يتجنب هذا النوع من الاسترجاع الذى قد ينتج عنه بعض اللبس على مستوى القراءة » (٢٨) .

بيد أن استخدام الاسترجاع الداخلى يبقى ضروريًا في ثنايا الرواية « راجعين بواسطته لتكملة حدث نسيناه ، أو تكراره ، أو استعمال التغطية المتناوبة نتيجة للتزامن » (٢٩) .

ومن ينعم النظر في ثلاثيات "حنا مينة" يلاحظ لأول وهلة ندرة الاسترجاعات الداخلية مقارنة بالنمط الخارجى ، ورغم ذلك فإنها تكتسب أهمية من الوظائف التى تنهض بها داخل الخطاب الروائى، ولمعاينة اشتعال الاسترجاع الداخلى فى ثلاثيات الكاتب كلها ، نتوقف عند بعض النماذج من النصوص موضع الدراسة .

ففى رواية " المستنقع " يتجلى الاسترجاع الداخلى بهدف إدخال شخصيات جديدة إلى مسرح الأحداث ، وإضاءة سوابقها ؛ مثل شخصية " فايز الشعلة "

الذى يستعيد الراوى نضاله السياسى ضد الاستعمار الفرنسى ، وهي نقطة تالية لانطلاق الحكاية الأولى : « **هكذا سمعت لأول مرة بفايز الشعلة ونشاطه السياسى ... وقد كان فايز موهوبًا ، ومحترمًا ، كما بدا لى ، لأنه عاد من حلب بعد سنتين قضاهما فيه ، وشاعت أقوال كثيرة في الحى عن سجنه ، ومحاكمته أمام محكمة فرنسية .. وقال هو المسئول عن توزيع المنشورات ، وتعليق الرايات فى أول آيار ، فحكموه بالسجن سنتين ، ثم أطلق سراحه ، فعاد إلى إسكندرونة ، ورجع يعمل فى البحر ، ويحرض العمال على تشكيل السنديكا** (*) » (٣٠) .

إن استدعاء ماضى " فايز الشعلة " يعد بمثابة توطئة تحفز المتلقى على تقبل ما ستؤول إليه الأحداث لاحقًا ، إذ يخوض " فايز الشعلة " غمار المعركة ضد المستعمر الفرنسى ، محاولاً إيقاظ وعي العمال ، بضرورة تشكيل نقابات لهم ، مما كان له كبير الأثر في تفتق وعي البطل فى مرحلة مبكرة ، وانفتاحه على رحاب جديدة ، لا سيما أن الراوى/البطل جعل شخصية " فايز " رمزًالأولئك الأوائل من المناضلين النقابيين ، الذين شقوا سدول الظلام ، وفتحوا فجوات صغيرة فيها ، فتكشف بصيص من نور، تهتدى عليه الأجيال اللاحقة، دون أن يُكتب لكثير منهم أن يروه .

وقد يعمد الراوى فى الرواية نفسها إلى الاسترجاع الداخلى ؛ لتغطية حدث أغفله السرد ، فيعود الراوى إلى تكملته ، وتقديمه إلى المتلقى ، حيث يقرر والد البطل الرحيل إلى بيروت بحثًا عن مورد رزق ، تاركًا أسرته تعانى الجوع والخوف ، فيستعيد الراوى شهرًا كاملاً قضاه الوالد فى رحلته ، حتى عاد خالى الوفاض: « **بعد شهر عاد الوالد من رحلته ، كان مخفقًا كعادته ، وقد باع أغراضه وثيابه حتى رجع ، وأعلم الوالدة أنه لم يصل بيروت ، لأن رجلاً خدعه**

، فزين له أن يعمل فى طرابلس ، وقد نزل فى البدء عند بعض معارفه ، ثم استأجر مع آخرين غرفة صغيرة ، كان يدفع أجرها أسبوعيًّا ، ولما كسدت مرطباته ، وضاقت به الحال باع العدة والجاكيت ، ودفع أجرة السفر من طرابلس إلى إسكندرونة ، فوصل سالمًا ، ولكن مفلسًا »([٣١]).

ففى هذا الاسترجاع نجد استدعاءً لكثير من الأحداث التى تقوم بسد فجوة قد تركها السرد ، نتيجة انشغاله بحركة الأحداث ، وتتبع مسار الشخصيات أثناء غياب الأب .

ولا يكون استجلاب الاسترجاع الداخلى بغية إدخال شخصيات جديدة إلى مسرح الأحداث ، أو لتغطية حدث أغفله السرد وحسب ، وإنما- أيضًا- فى تقديم نظرة جديدة للماضى ، وتفسيره على نحو جديد ، فيكون استحضار الماضى بمثابة إعادة إنتاج لما حدث ، وتقديم دلالات جديدة ، فتحكى الأم فى رواية " بقايا صور " ، وهى راوية من الدرجة الثانية ، لابنها عن جارتها الأرملة التى مدت يد العون إلى الأسرة ، فانتشلتها من الضياع والجوع أثناء غياب الأب فى إحدى الليالى القاحلة ، رغم ما كانت تضمره لها الأم من مشاعر البغض والامتهان ، بسبب ما كان يشاع عنها من سوء سلوكها ، فتباينت نظرة الابن عن الأرملة اليوم عن نظرته بالأمس القريب ، ومن ثم فإن الاسترجاع الداخلى يضفى تأويلاً مغايرًا للماضى ، ورؤية جديدة للتصورات القديمة تتسق مع المعطيات الجديدة للحاضر : « **ويا بنى ، كان الجوع في كل مكان ، وكان الناس الذين لم يهاجروا بعد ، يأكلون آخر ما عندهم ، أو يأكلون ، كما فعلنا الحشائش ، ويطبخون جذورها ، ولم أكن قد جربت ، ولا ميزت الضار من النافع منها ، فلما سقطتم مرضى أدركت أننى أخطأت ، وأن خطئى قد يقضى عليكم ، فتحاملت على نفسى ، وجرجرت قدمى ، لأبلغ أى بيت أو أرى مخلوقًا ،**

أستنجد به لإنقاذكم ، كان البرد شديدًا والحقول مقفرة ، والبيوت مهجورة ... المرأة الصالحة أنقذتنى ، الأرملة التى قالوا عنها أنها خاطئة أنقذتنى ... أخذتنى إلى بيتها ، كان بيتها أبعد ، ولكنها أخذتنى إليه ، أدركت أنها فيه تستطيع إسعافى ، أشعلت النار ، وبدلت ثيابى ، وسقتنى شيئًا ساخنًا ... والأرملة وحدها خرجت تحت المطر ، وخوضت في الطين ، ونقلتكم إلىَّ ، إلى بيتها ، وأطعمتنا ، وأنقذتنا من الموت ... » (٣٢) .

ولئن كانت النصوص السابقة تنتمى إلى النوع الذى يطلق عليه جينت " استرجاعات غيرية القصة " ؛ لأنها تتناول خطًّا قصصيًّا ، يحوى مضمونًا قصصيًّا يبدو مغايرًا للمضمون القصصى للحكاية الأولى (٣٣) . فإن هذا لا ينفى وجود الاسترجاعات مثلية القصة التى « تتناول خط العمل نفسه الذى تتناوله الحكاية الأولى » (٣٤) .

من أمثلة الاسترجاعات الداخلية مثلية القصة ما جاء في رواية " المستنقع " ، حيث يسعى الراوى إلى تذكير المتلقى بالأحداث التى وقعت له أثناء تواجده فى كوخ " أسبيرو الأعور " ، وهى نقطة لاحقة لانطلاق الحدث الرئيس : « **فى الليل عندما اضطجعت فى فراشى ، فكرت طويلاً بما وقع لى هذا اليوم ، كوخ أسبيرو الأعور ، وما فيه من عرى وفقر ، وكراسه وما فيه من كلام عن الظلام والعدالة ، وحماسته بما سمع ، وصلته السرية التى لا تزال قائمة بالذين يناضلون ، ويوزعون النشرات والكراريس ، ورفضه الكلام عليهم ، وقوله إننى سأفهم هذا عندما أكبر ، ثم وعده لى أن أصطاد السمك غدًا** » (٣٥) .

ويتجلى الاسترجاع الداخلى أيضًا قائماً بوظيفة التذكير فى رواية " حدث فى بتياخو " ، فيستحضر " زبيد الشجرى " نصائح الطبيبة " لودميلا " له

الخاصة بضرورة الاعتناء بصحته ، وأخذ الدواء اللازم له من خلال مونولوج داخلى مباشر يدور في أعماق البطل : « **الطبيبة لودميلا أفتت بأن تناول المضاد الحيوى والكحول فى تعارض ، حذرتنى ، سألتها " وماذا ينتج عن فعلة كهذه ؟ " قالت : " الضرر ! " ، " وإلام يؤدى الضرر ؟ " ، أجابت : " إلى المرض ! " ، " وإلام يؤدى المرض " ، سكتت ، قلت : " أعرف إلى الموت ؟ " ، وهززت كتفى استخفافًا ، فنظرت إلىّ نظرة العاقل إلى مجنون ، وقالت بحنان " لا ! لا أريدك أن تموت " ** » (٣٦) .

وقبل مغادرة الاسترجاعات تنبغى الإشارة إلى مظهر آخر من المفارقات الزمنية والاسترجاعات تفرضه طبيعة التركيب الحكائى لثلاثيات الكاتب ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه "استرجاع على استرجاع " ؛ إذ من الجائز أن تكون المفارقة ذات طبيعة مزدوجة ؛ لأنها تبدو مقترنة بالحكاية الأولى التى يتحدد على ضوئها المستوى الزمنى الأول ، ولكنها فى الوقت نفسه تحمل فى طيَّها استرجاعًا آخر ، وبسبب ذلك يؤكد جنيت أنه يمكن لمفارقة زمنية ما « أن تظهر بمظهر حكاية أولى ، بالقياس إلى مفارقة زمنية أخرى تحملها ، وفى الأعم يمكن اعتبار مجموع السياق حكاية أولى ، بالقياس إلى مفارقة زمنية ما » (٣٧) .

يتراءى ذلك في المقطع التالى من رواية " عروس الموجة السوداء " ، يقول الراوى :

<< **استلقيت على سريرى بانتظار وصول الطعام ، كان لدى عمل ، هو ترجمة بعض القصص الصينيية ، التى تتحدث عن النضال ضد الاحتلال اليابانى قبل التحرير ... بعضهم في الدروجبا ، نصحنى بعدم المجىء إلى هنا ، أحد الزملاء الإيرانيين قال لى :**

-إذا لم ترغب فى قضاء شهر الإجازة ، يدفعون لك أجره ... كثير من

الأجانب يفعلون هذا.

أجبته :

- هذا غير لائق .

- لماذا ؟

- لأن الرفاق الصينيين سيظنون أن رفض إجازة الصيف دافعه الرغبة فى المال ! نحن هنا لتقديم المساعدة ، وليس لجمع المال » (٣٨).

يتبدى من هذا المقطع أن الأفكار تتداعى على ذهن الشخصية / زبيد ، أثناء استلقائه على السرير فى مصيف " شانتو " ، فيتذكر حوارًا دار بينه وبين أحد الرفاق الإيرانيين ، ينصحه فيه الأخير بعدم الذهاب إلى مصيف شانتو ، وهو يعد استرجاعًا يسبق حدث " الذهاب إلى شانتو " ، لكن حدث " الذهاب إلى شانتو " يمثل استرجاعًا آخر يرد من خلال المذكرات ، التى كتبتها الشخصية / زبيد ، فى فترة سابقة على انطلاق السرد ، بذلك يجسد " حدث الذهاب إلى شانتو " حكاية أولى بالنسبة للاسترجاع الذى يتضمنه " الحوار " ، وفى الوقت ذاته يمثل حكاية ثانية أو مستوى ثانيًا، بالنسبة للمذكرات التى كتبها " زبيد " ، التى تعد استرجاعًا – أيضًا – يقع فى إطار الحكاية الرئيسة فى الرواية.

٢- الاستباق

يمثل الاستباق حركة سردية مضادة فى اتجاهها للاسترجاع ، فإذا كان الاسترجاع يرتكز على استحضار الأحداث الماضية ، واجترارها إلى الزمن الراهن ، فإن الاستباق يتبدى خلافًا لذلك ، ممثلاً فى كل « مقطع حكائى يسرد أحداثًا سابقة لأوانها ، أو يمكن توقع حدوثها » (٣٩) . وبالتالى فإن الاستباق هو «

تصوير مستقبلى لحدث سردى يأتى تفصيل القول فيه لاحقًا ، فيقوم الراوى باستعجال أحداث سابقة عن أوانها يمكن أن تحصل » (٤٠) .

ويعد الحكى بضمير المتكلم أفضل ملائمة للاستباق ، وذلك بسبب طابعه الاستعادى المصرح به ، الذى يسمح للراوى بتقديم تلميحات عن المستقبل ، ولا سيما وضعه الراهن بصفته راويًا ، وهذه التلميحات تشكل جزءًا من دوره نوعًا ما (٤١) . إن معرفة الراوى بتفاصيل متنه الحكائى منذ لحظة القص – بما أنه مر بالتجربة مسبقًا – يجعله يستطيع الإيماءة إلى الأحداث اللاحقة ، دون الإخلال بمنطقية النص ، ولا بمنطقية التتابع الزمنى (٤٢).

يتراءى الاستباق أقل شيوعًا من الاسترجاع – بوجه عام – فى الرواية الحديثة ، حيث تهتم هذه الروايات بالغوص فى دهاليز الماضى ، والنبش فيه ، كما تهتم – أحيانًا – بالحاضر ، « ويبقى المستقبل زمنًا مسكوتًا عنه خاصة فى السرد الكلاسيكى ، غير أن المستقبل يمثل ما بعد السرد الموجود فى النص ، وتبقى الرؤية الحديثة قائمة على الخوف من هذا المستقبل ، ومحاولة تحليل الحاضر ؛ لاستكشاف بذور المستقبل فيه » (٤٣) .

ولا تقتصر وظيفة الاستباق على فكرة التشويق وحسب التى تعد العمود الفقرى للسرود الكلاسيكية، من خلال الإجابة على السؤال الذى يطرحه القارئ عن النص ، " ثم ماذا بعد ؟ " ، بل يؤدى الاستباق – أيضًا – بعض المهام الحكائية الأخرى فى الرواية الحديثة ، مثل التمهيد لسلسلة من الأحداث التى ستقع فى وقت لاحق ، أو الإعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات (٤٤) .

وبالتمعن فى ثلاثيات حنا مينة ، نجد أن الاستباق يبدو أقل شيوعًا من الاسترجاع ؛ وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الشخصيات التى تتسم بقدر من القلق والتوجس ، مما يجعلها تعيش معظم الوقت فى تلابيب الماضى ، ولا ترتد الشخصيات إلى الماضى ، لكونه مشرقًا ومفعمًا بالأمل ، بل لأنه مظلم وكئيب ، يذكرها بحاضرها المؤلم الذى يعد نتاجًا لهذا الماضى (*) .

على غرار الاسترجاعات قسمت الدراسة الاستباقات قسمين ؛ استباقات خارجية ، واستباقات داخلية ، حيث تغطى الاستباقات الخارجية فترة زمنية تمتد بعيدًا عن نهاية الرواية ، بينما تنحصر الاستباقات الداخلية فى نطاق الحكاية الأولى ، لكنها تظهر لاحقة لنقطة انطلاق السرد .

أ- الاستباق الخارجى

فى هذا النوع من الاستباق يجمد الراوى التتابع الزمنى للسرد ، ويقفز بالأحداث تجاه المستقبل ، متجاوزًا المنطلق الزمنى للحكاية الأولى ، وقد تجلى هذا الاستباق فى ثلاثيات حنا مينة ، لكنه أقل استخدامًا من الاستباق الداخلى .

ففى رواية " القطاف " يدور حوار ذاتى فى نفس البطل عما تخبئ له الأيام، ومصيره فى المستقبل ، ثم يقفز الراوى بالأحداث عدة أعوام : « **فى تلك الأيام من خريف عام ١٩٣٩ ، وخلال وجودنا فى قرية " ح " كنت أتساءل كما غوركى : " ماذا تكونين يا نفس وماذا يخبئ لك الغد ؟ " . وستمضى أعوام على ذلك قبل أن أتعرف على " الطيبين " ، وأدخل نقابة الحلاقين** »(٤٥) .

إن الراوى يستبق أحداثًا ستقع فى المستقبل الذى يأتى لاحقًا لنهاية الحكاية الأولى التى تتمثل فى " رحيل الأسرة من ريف اللاذقية " ؛ فيتحدث عن اتصاله

– مستقبلاً – ببعض المهاجرين المناضلين الذين يطلق عليهم " الطيبين " ، ثم عمله بالحلاقة ، والتحاقه بنقابة الحلاقين .

تقدم رواية " المستنقع " – أيضًا – استباقًا خارجيًّا ذا مدى زمنى غير محدد بفترة زمنية معينة ، إذ يشير الراوى إلى مكابدة الأم وشقائها فى العمل من أجل سد الاحتياجات الأساسية للأسرة، ثم يقفز الراوى بالأحداث إلى المستقبل متجاوزًا نهاية الرواية التى تتجسد فى " رحيل الأسرة إلى مدينة اللاذقية " : « **وكما تعذبت لأجلنا ونحن صغار ، فرض عليها أن تتعذب لأجلنا ونحن كبار ، ولن تستريح إلا بعد سنوات ، عندما سأباشر عملاً مستقلاً ، أنا الذى تنقلت بين مهن مختلفة ، وفرض علىّ كأمى أن أحمل هم العائلة ، وأشارك فى مواجهة دوامة حياة دار بها إعصار** » (٤٦) .

وقد يأتى الاستباق الخارجى بهدف إلقاء الضوء على أحداث سابقة ، وتفسيرها على نحو مختلف ؛ الأمر الذى ينجم عنه تمازج بين الماضى والمستقبل ، يظهر ذلك بشكل جلىّ فى رواية "حكاية بحار" من خلال الحكاية التى ترويها " كاترين الحلوة " بعد ثلاثين عامًا لسعيد حزوم ، عن سر إصرار والده " صالح حزوم " – فى الماضى – على مغادرتها الحى ، بعد خيانتها له مع الأتراك ، وهى نقطة تتجاوز الحيز الزمنى لنهاية الرواية ، يقول الراوى : « **سافرت ، لقد فرض عليها هذا السفر فرضًا ، باسم الحى ، قال لها سافرى ، وأرغمها ، خيّرها بين الموت والسفر ، وكل هذا عرفته فيما بعد منها بالذات ، قالت لى : " والدك كان رجلاً ، وكان قاسيًا ، كان بحارًا ماهرًا عنيدًا ، وقد اعترف الأتراك بمهارته وجسارته ، لكنه كان متعصبًا لعروبته ، متعصبًا لحيه، متعصبًا لكل عربى يسكن ذلك الحى ، ويعتبر ذلك واجبًا وشرفًا ، من أخل بهما**

فقد استحق اللعنة والقصاص ، لقد أقصانى دون أن يسمع كلامى ... جرى هذا فيما بعد ، ثلاثون عامًا مضت قبل أن أقف على السر »([٤٧]) .

يتضح من هذا المقطع أننا بإزاء مفارقة زمنية ذات طبيعة ثنائية ؛ استباق خارجى طويل المدى يستغرق ثلاثين عامًا ، يتخطى به الراوى الحاضر السردى ، منطلقًا إلى المستقبل البعيد ، واسترجاع يبدو ممثلاً فى الحكاية التى تسردها الشخصية الساردة عن سبب إقصاء صالح حزوم لها من الحى فى الماضى ؛ فيتخذ التكنيك شكل سهم معقوف إلى الأمام ، محولاً مساره إلى الوراء ، مما يسهم فى خلخلة النظام التتابعى للأحداث ، ويمكن أن نطلق على هذا النوع " استرجاع على استباق " ، أو استرجاعات استباقية ، وهو يختلف بدوره عن الاستباقات الاسترجاعية أو الاستباق على الاسترجاع : فالأول يتجه من المستقبل إلى الماضى ، بينما ينطلق الثانى من الماضى إلى المستقبل، وبسبب ذلك يؤكد تودوروف بأنه يمكن أن يمتزج الاستباق بالاسترجاع نظريًا إلى ما لا نهاية ، فيكون استرجاع فى صلب استباق فى صلب استرجاع أو العكس ([٤٨]).

تتوارد هذه الاسترجاعات الاستباقية فى ثلاثيات "حنا مينة" ، مما يخلق حالة من المراوحة بين المستقبل والماضى ، والانتقال إلى مستوى زمنى متغاير ، وهو ما يؤكد تعرجية الزمن ، وتتجلى الاسترجاعات الاستباقية بشكل واضح فى رواية " بقايا صور " ، إذ توافق الأم على مضض على إلحاق ابنتها الكبرى بالخدمة فى بيت " المختار " ، مقابل بعض الطعام ، الذى يقدمه للأسرة ، فيستبق الراوى أحداثًا ستقع بعد عشرين عامًا لتصل بعيدة عن نهاية الرواية ، لكنها تنطوى على استرجاع لأحداث سابقة : « **وستمضى عشرون عامًا أو يزيد ، وذات صباح ، فى مدينة بيروت ، بينما كنت أسير مع الأم فى أحد الأحياء الثرية ، سنرى فلاحًا من قرى اللاذقية ، قد أودع طفلته للخدمة فى أحد البيوت ، وهم بمغادرتها ، فتعلقت به باكية وهى تصيح : لا أريد البقاء هنا ، لا أريد ... خذنى معك ، أبوس يدك ، خذنى معك .**

وتسمرت الأم أمام المشهد ، وبصعوبة استأنفت السير ، صامتة كئيبة ، مطرقة الرأس .... ولما سألتها " ما بك يا أم ؟ " هزت برأسها وتنهدت ، وقالت وهى تدارى أسى قديمًا نكأ فى صدرها بعض الجراح : لا شىء يا ولدى ... أنا لا أعرف الفلاح ولا ابنته ، ولكن المنظر أحزننى ، لقد بكت أختك الكبيرة يوم كانت طفلة وتركتها للخدمة فى بيت المختار ، وتعلقت بفستانى ، كما تعلقت هذه الطفلة بسروال والدها ، ومثلها كانت تصيح :

لا أريد البقاء هنا، خذينى معك يا أمى ! أبوس يدك خذينى معك ! » (٤٩) .

فاستدعاء الأم لحكاية الأخت الكبيرة يعد استرجاعًا على نقصان أو استرجاعًا مؤجلاً (*) ، ولكنه يقع فى إطار الاستباق ، ولا يخفى – هنا – المسافة النصية الممتدة التى أفردها الراوى للاستباق الخارجى ، وهو ما يبدو مغايرًا لطبيعة الاستباق الخارجى بوجه عام ، الذى يقتضى التلميح بعبارة مكتنزة عن أحداث آتية فى المستقبل ، وربما يعزى ذلك إلى رغبة الراوى فى إيهام القارئ بأن الأحداث المجسدة أمامه ستقع – لا محالة – فى المستقبل ، رغم أنها تمتد خارج الحيز الزمنى لنهاية المحكى الأول .

ب–الاستباق الداخلى

على غرار الاسترجاعات الداخلية تنحصر هذه الاستباقات داخل الحيز الزمنى للحكاية الأولى، لكنها تنتهى قبل نهاية الرواية ، وفيها يطوى الراوى فترات زمنية متفاوتة ، ليصل إلى أحداث لم تأتِ لحظة روايتها بعد ، لكنها ستقع فى المستقبل القريب أو البعيد .

وقسم النقاد الاستباقات الداخلية من حيث وظيفتها قسمين ؛ استباقات تكميلية (تمهيدية) ، واستباقات تكرارية (إعلانية) ، « ويعد الاستباق التمهيدى

بمثابة توطئة وبذرة بدائية قابلة للتحقق أو عدمه ، أما الاستباق الإعلانى فهو حتمى الحدوث لاحقًا ، إذ يعلن الراوى الحدث النهائى بعد إتمامه وانتهائه ، ويضع القارئ وجهًا لوجه معه ليبدأ التساؤل (لماذا حدث وكيف حدث ؟) » ([٥٠]) . ويجب التمييز بين النوعين ؛ فالأول يأتى بصورة ضمنية ، بينما يكون الثانى مصحوبًا بإشارة صريحة .

تتضح الاستباقات التمهيدية فى رواية " بقايا صور " إذ يتنبأ الراوى بحدوث شر سيحيق بالأسرة، يقول الراوى متحدثًا عن الأم : « **قالت إن قلبها يحدثها بشر سيقع** » ([٥١]) .

ويمهد الراوى لأحداث لاحقة تقع على امتداد خمسة عشرة صفحة ، تضطر بعدها الأم إلى قبول خدمة الأخت فى بيت " المختار " ، وأخذ الأخيرة رهينة لحين عودة الأب ، لسداد الديون المتراكمة على الأسرة : « **ليلة تسليم الأخت كانت شقية بقدر ما كانت ملعونة ، لم تغسل الأم قدمى الأخت مثل المسيح مع تلاميذه ، تعرف أنها ستفترق عنها ، ولم تغسل قدميها ... ومع ذلك تهيبت أن تخونها الدمعة . حسبت فى مشاعر الأمومة أنها خانت بنوة الطفولة .. مسحت على رأسها ليس غير ، ومبكرة نهضت إلى النوم ، تظاهرت به حتى نمنا وسهرت هى ...** » ([٥٢]).

ولقد كان انتحار" الريس عبدوش " فى رواية " الدقل "، ومحاولته إغراق " سعيد حزوم " منافسه فى حب زوجته " كاترين الحلوة " حدثًا رئيسًا جاء فى نهاية الرواية ، لكن من ينعم النظر فى النص يجد أن هذا الحدث جرى الإعداد له مسبقًا ، من خلال بعض الإشارات الأولية ، وأول هذه الإشارات الاستباقية ، هو المونولوج الداخلى الذى دار فى نفس الريس " عبدوش " حول قتل "سعيد

حزوم" بعد شكه فى دخول الأخير فى علاقة آثمة مع زوجته : « **قال الريس عبدوش فى نفسه : " وإذا كان لا بد من القتل فليكن على يد سواى ، على يد واحد مثل زنيبة مثلاً ، هذا يصلح لتصفية الحساب معها ومعه ، إن له ثأرًا يمكن استخدامه ببساطة وبغير ضجة ، هل أقتل سعيدًا ؟ وإذا عاد والده غدًا أأقتل والده أيضًا ؟ سلسلة من الجرائم لأجل امرأة ؟** » (٥٣) .

فهذه التساؤلات التى تطرحها الشخصية فى حوارها الذاتى ، تعكس حالة الخوف والتردد من الإقدام على اقتراف هذه الجريمة ، مما يجعل من الصعب الوصول إلى المستقبل ، واستشراف ما هو آتٍ ، لا سيما أن الشخصية لم تقرر بعد " ماذا تفعل " .

ومع توالى أحداث الرواية يزداد شغف القارئ وترقبه ، لما ستؤول إليه الأحداث ومصير كلا الرجلين ، على امتداد أربع وعشرين صفحة يومئ الراوى بعدها إلى كارثة تحلق بالأفق وستحل بالمركب الذى يُقِل البحارة إلى اللاذقية : « **كان الظلام قد غدا حالكًا فى هذا الوقت ، واشتدت العاصفة ، وعنُفت ، صار الوقوف على القدمين ، بَلْهَ السير ، يعرض الإنسان للاقتلاع بفعل الريح الهوجاء ، لهذا تمسك كل من على ظهر المركب بشىء ما ، وواجهوا اندفاقات الأمواج على السطح ، والأمطار الشديدة ، والرياح التى تهب من كل جهة بمقاومة عنيدة ، استدعتها نوازع حب البقاء التى استيقظت فى الصدور ، كانوا يحسون أنهم غرقى لا يميزون بين موقفهم على السطح المغمور بالماء والبحر نفسه ، وكان يغمضون عيونهم حتى تغمرهم الأمواج ،فإذا انحسرت عنهم فتحوا أفواهًا أيبسها الخوف ، وتنفسوا بحركة شهيقية** » (٥٤) .

وفى النهاية يقرر الريس " عبدوش " إنقاذ البحارة جميعًا ، فيقوم بإنزال زورق يعمد إليه البحارة للنجاة من الغرق ، باستثناء " سعيد " الذى يبقى مع الريس " عبدوش " وجهًا لوجه ، فى مواجهة كل منهما للآخر ، ويتخذ الريس " عبدوش " قرارًا مباغتًا بضرورة أن يلقى سعيد حتفه معه ، حتى لا يفوز أى منهما بكاترين الحلوة : « **تعلق سعيد بحبل السنوق ، وألقى نفسه بالماء ، كان الذين فى الزورق يشدون الحبل ، ليتمكن سعيد من التعلق به والوصول إليهم ، لكن الريس "عبدوش " كان واقفًا مع المركب الذى يغرق ، وكانت السكين معه . وشىء كالنار برز فى عينيه، والغيرة قد وشحت وجهه كله ، رفع يده وانتظر .. مدها وانتظر .. وحين صار سعيد فى منتصف الطريق ، قطع الحبل وهو يفح كأفعى :**

لنغرق معًا يا سعيد ، أنت فى البحر وأنا على ظهر السفينة .. هكذا لا تكون "كاترين الحلوة" لك ، ولا لى ، وهكذا تتحقق العدالة بيننا » (٥٥) .

بذلك يتحقق الاستباق الداخلى بعد طول انتظار وترقب للقارئ الذى يتابع الأحداث بنهم ، بحيث يمكن القول : إن الاستباق الداخلى فى رواية " الدقل " يمنح القارئ : « إحساسًا بأن ما حدث فى داخل النص من حياة، وحركة، وعلاقات ، لا يخضع للصدفة ، ولا يتم بصورة عرضية ، وإنما يمتلك الراوى خطة وهدفًا يسعى إلى بلورتهما فى النص » (٥٦).

وتجدر الإشارة – هنا – إلى أن الاستباق الداخلى السابق يأتى فى إطار الذكريات التى تتداعى على ذهن " سعيد حزوم " ، فهو استباق استرجاعى أو استباق داخلى على استرجاع ، من ناحية أخرى يمكن اعتباره استباقًا قياسًا إلى

الموقع الذى يتخذه الراوى من الحكى ، لأنه يحكى هذه الأحداث من الماضى الذى أضحى زمنًا راهنًا ، عندما سافر الراوى إليه .

وتظهر الاستباقات الداخلية التى تؤدى وظيفة الإعلان بشكل صريح عن سلسلة من الأحداث، التى تقترن اقترانًا مباشرًا بمصائر الشخصيات ، بوصفها شكلاً آخر من أشكال الاستباقات الداخلية فى ثلاثيات "حنا مينة" ؛ من أمثلة ذلك ما جاء فى رواية " بقايا صور " ، إذ يقوم والد البطل بتجبير ساق الفرس الذى كُسِرت بعد إقناع السيد " خريستو "،الذى كان يعمل الوالد وكيلاً لديه بضرورة تجبير ساق الفرس ، فيقدم الراوى استباقًا داخليًّا قصير المدى ، يعلن فيه عن فشل الأب فى عمله مستقبلاً : « **وسيبوء هنا بالفشل ، كما باء فى اللاذقية والسويدية ، والأكبر ، وسيعود علينا فشله بمزيد من الشقاء** »(٥٧)

فالراوى يعقد صلة مقارنة من خلال هذا الاستباق التكرارى ، بين الماضى والمستقبل ، مفجرًا بعض الدلالات الكامنة فى النص ، حيث يسير المستقبل على نفس خطى الماضى ، فى علاقة تجانس بينهما ، تكشف عن ملاحقة الفشل للأب مجددًا فى كل أعماله ، وكأن الماضى والمستقبل – بالنسبة للأسرة – كتلة واحدة لا فرق بينهما .

وبالفعل يتحقق الاستباق ، إذ يضطر السيد " خريستو " إلى قتل الفرس ، بعدما فشل تجبير ساقها فى تماثلها للشفاء : « **أما الفرس فقد ساء حالها ، ولم تمضِ أيام حتى تورمت رجلها ، وتسلخ الجلد تحت البطن وعند الكفلين ، من احتكاك الجسم بالخشب ، وأقبل الذباب ينهش فى المواضع المتسلخة نهشًا متواصلاً ، فى اليوم التالى نُفذ حكم الإعدام بالفرس** » (٥٨) .

على غرار الاستباقات الاسترجاعية التى تحقق وظيفة التمهيد لما سيقع من أحداث آتية ، تتراءى هذه النوعية من الاستباقات مؤدية دور الإعلان – أيضًا – عن سلسلة من الأحداث اللاحقة؛ على شاكلة ما جاء فى رواية " المرفأ البعيد " ، حيث يعرض الراوى استباقًا داخليًا قصير المدى ، مؤديًا دور الإعلان من خلال مونولوج داخلى يدور داخل أعماق " سعيد " حول ضرورة عودته إلى العمل مرة أخرى كبحار : « **وها هو الفرج من جديد . أمى فاتحته . الريس زيدان وعدها ... وغدًا أبحر ، أجل سأبحر ، هذه هى المهنة التى اختاروها لى . سمعًا وطاعة ، سأكون بحارًا ، سأعمل مع الريس زيدان وبأية شروط ...** » (٥٩).

إن الرواى يستبق أحداثًا ؛ ليعلن عن أحداث أخرى ، ترد فى المستقبل القريب ، لكن الاستباق لا ينطلق من الحاضر ، بل من الماضى البعيد ، حين كان " سعيد " شابًا .

وبعد حوالى سبع وأربعين صفحة يتحقق الاستباق ، إذ يعمل " سعيد " على مركب الريس "زيدان " : « **سافرت ، بعد ذلك على مركب الريس زيدان بغير مشاكل ، ودون صعوبات ، كنا نعمل على خط اللاذقية ، بيروت ، حيفا ، ننقل القمح والبرتقال ، والأسمنت ، ومواد أخرى ...** » (٦٠).

ويتكرر الاستباق الاسترجاعى الذى يقوم بوظيفة الإعلان فى رواية " حدث فى بيتاخو ، فيستعيد " زبيد الشجرى " – من خلال مذكراته التى يقرؤها – اللقاء الذى تم بينه وبين المترجم " عبد القادر "، عقب وصول " زبيد " إلى بكين ، وكيف اتفقا على التنزه بضواحيها ، حتى انتهى بهما المطاف إلى الدروجبا ، حيث يقطن " زبيد " الذى سرعان ما دخل شقته ، وراح فى سبات عميق، ثم

استيقظ على رنين جرس الباب ، ليعلن الراوى من خلال هذا الاستباق الداخلى عن مجىء قادم جديد يلحق بشخصيات الرواية : « **وعند سلم الطائرة كان صينيان فى استقبالى ، أحدهما مسئول يمثل جامعة بكين التى سأدرس فيها ، والآخر هو المترجم عبد القادر ، صافحنى الرفيق " خو " متمنيًا لى إقامة طيبة فى الصين ، وحمل عبد القادر الحقيبة الوحيدة شبه الفارغة من قاعة المطار إلى سيارة من صنع بولونى ، تقف على الرصيف... مررنا فى الضواحى ، بأكواخ من طين .. ثم درب شبه مستقيمة بين البساتين ، إلى أن بلغنا الدروجبا ، حيث دخلت شقتى الصغيرة، والمريحة .. بعد ذلك نمت ، وكان نومى عميقًا مديدًا إلى أن أيقظنى جرس الباب ، لا أدرى فى أى ساعة من الليل** » ([٦١]).

ويزداد ترقب القارئ ، خاصة أن الراوى / البطل يقطع المتوالية الحكائية التى تنتمى إلى الماضى البعيد ، مستأنفًا الرجوع إلى الحاضر السردى لمدة تسع وأربعين صفحة ، يعود الراوى بعدها إلى الماضى المتمثل فى المذكرات التى يقرؤها " زبيد " ، فيتعرف القارئ على الشخصيات التى أعلن الراوى عن دخولها إلى مسرح الأحداث : « **عندما فتحت الباب فوجئت بثلاثة من الإخوة العرب ، أو من الرفاق الذين يعملون فى القسم العربى من إذاعة بكين ، عانقونى بحرارة ، عرفت واحدًا منهم هو الأستاذ برهان مخلص ، والآخران كانا فلسطينيين يعيشان فى الأردن ، وقد خرجوا من عمان بعد حركة " أبو نوار " الفاشلة، والهجوم الذى أعقبها على اليساريين والوطنيين ذوى الميول الناصرية** »([٦٢]) .

ويكرس الراوى عدة صفحات لتقديم الشخصيات الثلاثة ؛ لاسيما شخصية " برهان " التى ستكون لها أثر فى توجه مسار " زبيد " ، وانفتاحه على الحياة

الصينية ، ويمكن النظر إلى هذا التقديم للشخصيات الذى أورده الراوى ، من حيث علاقته بالاستباق ، كما لو كان جوابًا صريحًا يضع حدًّا لشغف القارئ وحيرته ، وتلبية لرغبته فى التحقق مما أعلن عنه الاستباق .

حاولت هذه الدراسة فى الصفحات السابقة رصد تقنيتين زمنيتين تسهمان فى كسر الخطية الزمنية ، وهما تقنيتا الاسترجاع والاستباق ، وإن اختلفا فى البنية والوظيفة ، فالاسترجاع يعود بالأحداث إلى الوراء ، واجترارها إلى اللحظة الحاضرة ، بينما ينحو بها الاستباق إلى الأمام ، منطلقًا تجاه المستقبل .

الهوامش

(١) يقصد بالثلاثية : سلسلة مكونة من ثلاثة أجزاء / روايات ، فى شكل متوالية سردية ، بحيث تستكمل الرواية الأحداث التى انتهت إليها الرواية السابقة لها ، وقد أطلقت الدراسة على كل ثلاثية اسم اول رواية فيها تمييزًا لها عن بقية الثلاثيات الأخرى .

(٢) يقصد بالقصة :الأحداث الغفل قبل تشكلها .

(٣) يقصد بالخطاب : الأحداث المشكلة التى تخضع إلى طريقة ترتيب الراوى ، ودمجه لها داخل العالم الروائى .

(٤) انظر السيد إبراهيم : نظرية الرواية ، دراسة لمناهج النقد الأدبى فى معالجة فن القصة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، صـ١٠٨ .

(٥) سيزا قاسم : بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٩٨٤، صـ٣٧ .

(*) الترتيب الكرنولوجى : ترتيب الأحداث تبعًا لترتيب حدوثها فى الواقع ، انظر جيرالد برنس : قاموس السرديات ، صـ٣٢ .

(٦) يعرف الاسترجاع بأنه استحضار الأحداث الماضية التى سبق وقوعها لحظة السرد واسترجعها الراوى فى الزمن الحاضر أو فى اللحظة الآنية انظر مراد عبد الرحمن : بناء الزمن فى الرواية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، صـ ٢٤ .

(٧) هيثم الحاج على : آليات بناء الزمن فى القصة القصيرة المصرية فى الستينيات ، رسالة دكتوراه، مخطوطة ، كلية الآداب ، جامعة حلوان، ٢٠٠٥ ، صـ١١٧ ،١١٨.

(٨) انظر فاطمة سالم الحاجى: الزمن في الرواية الليبية (ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه نموذجًا) ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا ، ط١ ، ٢٠٠٠، صـ٩٣.

(٩) وئام رشيد: تقانات السرد في الخطاب الروائى العربى فى فلسطين من عام ١٩٩٤– ٢٠٠٦ ، رسالة ماجستير، مخطوطة ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية ، ٢٠١٠ ، صـ١٩١ .

(١٠) مها حسن قصرواى : الزمن في الرواية العربية ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، صـ١٩٥ .

(١١) سيزا قاسم : بناء الرواية ، صـ٤٠ .

(١٢) حنا مينة : حكاية بحار ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٧ ، ٢٠٠٥ ، صـ ٢٩ – ٣٢ .

(١٣) عالية صالح: البناء السردى فى روايات إلياس خورى ، أزمنة ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، صـ٢٩ .

(١٤) حنا مينة : المستنقع ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٧ ،٢٠٠٣ ، صـ ١٥١ .

(١٥) حنا مينة : حدث فى بيتاخو ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ،ط٢ ، ١٩٩٨ ، صـ٣٥ .

(١٦) حنا مينة : المرفأ البعيد، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت، ط٥ ، ٢٠٠٧ ، صـ١٥٩ ، ١٦٠.

(١٧) حنا مينة : بقايا صور ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٨ ، ٢٠٠٨، صـ٨٢ .

(١٨) حنا مينة : الدقل ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٥ ، ٢٠٠٧ ، صـ٢٩٩ .

(١٩) عرجون الباتول : شعرية المفارقة الزمنية في الرواية الصوفية (التجليات لجمال الغيطانى أنموذجًا) ، رسالة ماجستير ، مخطوطة ، كلية الآداب واللغات ، جامعة حسيبة بن بوعلى، صـ٥٢ .

(*) القناق : القصر الريفى .

(٢٠) حنا مينة : القطاف ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٤، ٢٠٠٦ ، صـ٦٧ .

(*) الرغاط :جماعة من العاملين في الزراعة خلال المواسم ، فى مصر يسمونهم "عمال التراحيل" .

(*) الركش : العزق ، لتنقية القطن من العشب .

(٢١) حنا مينة : بقايا صور ، صـ٧٥ .

(٢٢) محمد الأمين بحرى : بنية الخطاب المأساوى في رواية التسعينيات الجزائرية (الطاهر وطار – الأعرج واسينى – أحلام مستغانمى) ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر ، ٢٠٠٩ ، صـ٥٥ .

(٢٣) حنا مينة : بقايا صور ، صـ ٧٣ – ٧٧ .

(٢٤) سيزا قاسم : بناء الرواية ، صـ٤٣ .

(٢٥) أ. أمندولا : الزمن والرواية ، ، ترجمة : بكر عباس ، مراجعة إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ،ط١،١٩٩٧ ، صـ٢٥٠ .

(٢٦) حنا مينة : بقايا صور ، صـ١٠٧ .

(٢٧) عبد العالى بوطيب : إشكالية الزمن في النص السردى ، مجلة فصول ، دراسة الرواية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد الثانى عشر ، العدد الثانى ،صيف ١٩٩٣ ، صـ١٣٤ .

(٢٨) المرجع نفسه ، صـ١٣٤ .

(٢٩) عرجون الباتول : شعرية المفارقة الزمنية فى الرواية الصوفية ، صـ٥٩ .

(*) السنديكا : نقابة .

(٣٠) حنا مينة : المستنقع ، صـ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٣١) المصدر نفسه ، صـ٢٠٢ .

(٣٢) حنا مينة : بقايا صور ، صـ٩٩ – ٢٠٣ .

(٣٣) انظر جيرار جنيت : خطاب الحكاية (بحث فى المنهج) ، ترجمة محمد معتصم ، عبد الجليل الأزدى ، عمر حلى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،١٩٩٧ ، صـ٦١ .

(٣٤) المرجع نفسه ، صـ٦٢ .

(٣٥) حنا مينة : المستنقع ، صـ ٣٣١ .

(٣٦) حنا مينة : حدث فى بيتاخو ، صـ ١٩٧ .

(٣٧) جيرار جنيت : خطاب الحكاية ، صـ٦٠ .

(٣٨) حنا مينة : عروس الموجة السوداء ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠ ، صـ١٦١

(٣٩) سعيد أبو عطية : بنية الخطاب فى رواية " التيه " ، مجلة البيان ، الكويت ، العدد ٣١٦ ، نوفمبر١٩٩٦، ص١٠ .

(٤٠) عبد الله بن صفية : الاستشراف فى الرواية العربية ، مقاربة سردية فى نماذج نصية ، رسالة ماجستير، مخطوطة ، جامعة باتنة ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٣ ، صـ١١٦ .

(٤١) انظرجيرار جينت : خطاب الحكاية ، صـ٧٦ .

(٤٢) انظرسيزا قاسم : بناء الرواية ، صـ٤٤ ، وقارن ذلك بما جاء عند عبد العالى بو طيب : إشكالية الزمن فى النص السردى ، صـ١٣٥ .

(٤٣) هيثم الحاج على : الزمن النوعى وإشكاليات النوع السردى ، مؤسسة الانتشار العربى ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، صـ١٢٧ .

(٤٤) انظر حسن بحروای :بنية الشكل الروائى ، المركز الثقافى العربى ، بيروت ، ١٩٩٠ صـ١٣٢ .

(*) يستثنى من ذلك ثلاثية حكاية بحار (حكاية بحار ، الدقل ، المرفأ البعيد) ، حيث ترتد الشخصيات إلى الماضى فرارًا من الحاضر المؤلم ، والمستقبل المجهول .

(٤٥) حنا مينة : القطاف ، صـ ٣٤١.

(٤٦) حنا مينة : المستنقع ، صـ٤٣٠ .

(٤٧) حنا مينة : حكاية بحار ، صـ٢٢٩ .

(٤٨) انظر تزفيتان تودوروف : الشعرية ، ترجمة : شكرى المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٠ ، صـ ٨٤ .

(٤٩) حنا مينة : بقايا صور ، صـ١٤٤ ، ١٤٥ .

(*) الاسترجاع على نقصان / أو الاسترجاع المؤجل : هو إسقاط فترة زمنية من حياة الشخصية ، لم يقدمها الراوى فى حينها ، وإنما حجبها ، ليرويها على نحو استعادى . انظر : جيرار جينت : خطاب الحكاية ، صـ٦٢ ، ٦٣ .

(٥٠) مها حسن قصراوى : الزمن فى الرواية العربية ، صـ٢١٣ .

(٥١) حنا مينة : بقايا صور ، صـ١٢٥ .

(٥٢) المصدر نفسه ، صـ ١٤٠ ، ١٤١ .

(٥٣) حنا مينة : الدقل ، صـ٢٩٩ .

(٥٤) المصدر نفسه ، صـ٣٢٣ .

(٥٥) المصدر نفسه ، صـ٣٣٢ ،٣٣٣ .

(٥٦) مها حسن قصراوى : الزمن فى الرواية العربية ، صـ٢١٣.

(٥٧) حنا مينة : المستنقع ، صـ٢٦ .

(٥٨) المصدر نفسه ، صـ٢٧ – ٢٩ .

(٥٩) المصدر نفسه ، صـ١٣١.

(٦٠) حنا مينة : المرفأ البعيد ، صـ٨٤ .

(٦١) حنا مينة: حدث فى بيتاخو ، صـ٩٧ ، ٩٨ .

(٦٢) المصدر نفسه

ثبت المصادر والمراجع

أولا المصادر (رتبت الروايات وفق تاريخ صدور الطبعة الأولى منها)

الطبعة الأولى

حنا مينة :

بقايا صور، دار الآداب،بيروت ، ط٨، ٢٠٠٨.	١٩٧٥
المستنقع، دار الآداب، بيروت، ط٧، ٢٠٠٣.	١٩٧٧
حكاية بحار، دار الآداب، بيروت، ط٧، ٢٠٠٥.	١٩٨١
الدقل، دار الآداب، بيروت، ط٥، ٢٠٠٦.	١٩٨٢
المرفأ البعيد، دار الآداب، بيروت، ط٥، ٢٠٠٧.	١٩٨٣
القطاف، دار الآداب، بيروت، ط٤، ٢٠٠٦.	١٩٨٦
حدث في بيتاخو، دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٩٨.	١٩٩٥
عروس الموجة السوداء، دار الآداب، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠.	١٩٩٦
المغامرة الأخيرة، دار الآداب، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢.	١٩٩٧

ثانيًا: المراجع

١- أ. أمندولا : الزمن والرواية ، ، ترجمة : بكر عباس ، مراجعة إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ،ط١ ، ١٩٩٧ ، صـ٢٥٠ .

٢- تزفيتان تودروف : الشعرية ، ترجمة : شكرى المبخوت ، ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٩٠ .

٣- جيرار جنيت : خطاب الحكاية (بحث فى المنهج) ، ترجمة : محمد معتصم ، عبد الجليل الأزدى ، عمر حلى ، المجلس الأعلى للثقافة ،١٩٩٧ ، القاهرة .

٤- حسن بحراوى : بنية الشكل الروائى ، المركز الثقافى العربى ، بيروت ، ١٩٩٠ .

٥- سعيد أبو عطية : بنية الخطاب فى رواية " التيه " ، مجلة البيان ، الكويت ، العدد ٣١٦ ، نوفمبر١٩٩٦ .

٦- السيد ابراهيم : : نظرية الرواية ، دراسة لمناهج النقد الأدبى فى معالجة فن القصة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

٧- سيزا قاسم : بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٤ .

٨- عالية صالح: البناء السردى فى روايات إلياس خورى ، أزمنة ، عمان ، ط١ ،٢٠٠٥ .

٩- عبد العالى بوطيب : إشكالية الزمن في النص السردى ، مجلة فصول ، دراسة الرواية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد الثانى عشر ، العدد الثانى ،صيف ١٩٩٣.

١٠- عرجون الباتول : شعرية المفارقة الزمنية في الرواية الصوفية (التجليات لجمال الغيطانى أنموذجًا) ، رسالة ماجستير ، مخطوطة ، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بو على.

١١- فاطمة سالم الحاجى: الزمن في الرواية الليبية (ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه نموذجًا) ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، ط١ ، ٢٠٠٠.

١٢- محمد الأمين بحرى : بنية الخطاب المأساوى في رواية التسعينيات الجزائرية (الطاهر وطار – الأعرج واسينى – أحلام مستغانمى) ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر ، ٢٠٠٩ .

١٣- مراد عبد الرحمن : بناء الزمن فى الرواية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

١٤- مها حسن قصروای : الزمن في الرواية العربية ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

١٥- هيثم الحاج على :

– آليات بناء الزمن فى القصة القصيرة المصرية فى الستينيات ، رسالة دكتوراه، مخطوطة ، كلية الآداب ، جامعة حلوان ، ٢٠٠٥ .

– الزمن النوعى وإشكاليات النوع السردى ، مؤسسة الانتشار العربى ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨

١٦- وئام رشيد : تقانات السرد في الخطاب الروائى العربى فى فلسطين من عام ١٩٩٤–٢٠٠٦ ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية ، ٢٠١٠ .

Contrastive Functional Linguistic Study of Ideological Representation in Electronic Media Coverage of Egypt's Post 30 June Events

By

Reham Sayed Sedeek

Abstract

The idea of this study is based upon the fact that news discourse has the power to alter and change the reader's opinions through some overt and covert linguistic resources. The 30 June events in Egyptcaptured theinterest of the national and international media but each news network covers the same event from a completely different perspective. Such notable discrepancy among news agencies comes back to the fact thatthere are hidden ideologies reasons behind this shocking contradiction. The present study comparatively analyses the linguistic devices and ideological properties of British and Egyptian news agencies online websites which cover the 30 June events.

This study examines the relationship between language and ideology and how such relationship is represented in the analysis of hard news stories.The proposed study demonstrates how systemic Functional Linguistics (SFL) can pinpoint the linguistic resources via which these different ends are achieved, focusing on the interpersonal metafunction and through choices in the system of Appraisal.Through a comparative analysis of the Egyptian news website ***Al-Ahram*** *o*nline and the online version of the British newspaper ***the Guardian***with possibly opposing ideologies, the researcher attempts to reveal how these ideologies are represented via a variety of strategic techniques of impersonalisation in electronic media with regard to covering the same event.

Research methods

As the title suggests, the study aims to examine the underlying ideologies enacted in hard news reports in the two news websites. The study is designed to find out the patterns of evaluation based upon Martin and White's categorization of appraisal; sorting out

theevaluative itemsin terms of sub-systems and other variables, to be compared across the two websites. Then the analysis proceeds to classify theevaluated entity of proposition, the pattern of appraisal, the personacarries out theevaluation, and the contextual value of the evaluation. To meet these objectives, the Appraisal Framework is applied in the most detailed manner possible in order toachieve a thorough investigation of interpersonal meanings found in the selected hard news reports.

Operational Definitions of Appraisal resources

The appraisal resources are to somehow fuzzy since there are no clear restrictions on theirgrammarclass. The positive or negative attitudinal words depend onthe connotation inside such values. Before turning to provide an analysis of the text, it is necessary to briefly outline some of the operational definitions of Appraisalsub-systems that work in the current analysis.

Types of Attitude

The Appraisal framework distincts between two types of attitude; "inscribed attitude" and "invoked attitude".

1) Inscribed attitude(provoked):

Inscribed attitude refers to direct positive or negative attitudinal values (lexical term) that the writer uses to express his viewpoint.

2) Invoked attitude(token)

It applies to formulations that do not carry any specific positive or negative value position. Such formulations that implied assessment are termed "token of attitude". Their function is dependent on their context.

Affect

Affectual values describes the writer's feelings and emotions towards the issue under discussion.

1) The Affect system can be realized as **quality**;

* Describing participants; a sad girl (epithet)
* Attributed to participants; the girl was sad (attribute)
* Manner of processes; the girl looked sadly (circumstance)

The unattributed affect conveys emotional reactions of others via the reported voice.

2)Affect can be realized as **process**
*Affective mental: his leaving upset her (process)
*Affective behavioural: she wept (process)

3) Affect can be realized as **comment**

Judgement
It refers to lexical items that evaluate human behavior. In the following analysis, Judgement iscategorized into two values;
1) Social Esteem: It refers to the personal esteem(normality, capacity andtenacity) in society positively or negatively.
2) Social sanction deals with issues of morality (sins) or legality (crimes). Social sanction values are divided into Veracity (how truthful someone is) and Tenacity(how ethical someone is).

Engagement
Under Engagement, the writer employs different sourcing to naturalize his ideological positions. Engagement strategies are particularly important for understanding the attitudinal views of the writer. Of major significance for our current concerns is the mechanism that the author employs to frame the viewpoints of those being quoted. There are three methods via which the author attribute quoted words.
1) Acknowledging attributions: introduces the external voice or attributed words in a neutral way. The writer selects reporting verbs structures to convey others' ideas such as report, state, say, announce, inform, describe, declare, etc.
2) Distancing attribution: the reporter voice introduces the attributed material in a way that disaligns itself from what is presented. Such disaligning is achieved through the use of distancing framers as claims, maintains, purports and scare quotes.
3) Endorsement attribution: the authorial voice explicitly engages with the external sources and presents them as undeniable and valid. Endorsement framers include verbs asshow, demonstrates, prove,

indicates or nouns asthe fact that…, convincingly argued, compellingly propounded, successfully showed.

Entertain

The writer invites the reader to share with him the proposition and so introduces his view as only one from a range of alternatives. Entertain resources include the use of modal auxiliaries

Proclaim

The author presents the proposal for the readers as taken for granted in order to gain their support. Lexico grammatical realization of proclaim values includes locutions as obviously, of course, naturally, admittedly, certainly, not surprisingly and rhetorical orquestions.

Disclaim

The authorial voice via disclaim resources tries to steer the reader away from the expected proposal of the situation. The writer provides a preferable proposition to replace the current one.

The following analysis presents the individual reportsfrom the websites and undertakes the evaluation of the proliferation of attitudinal meanings within the texts and using the keys established above. The analyses are then comparatively discussed and summated in a general discussion following each hard news report's analyses.

Analyses and Discussions

This section introduces an in depth analysis of the selected news stories with aim to find out the evaluative items employed inthe selected reports. After the reports had been chosen, all the sentences containedevaluation were selected and put in the first column of the table. Analysis section presents each report separately and conducts evaluation of each utterances within the report. Then the analysis will progress to compare and discuss the assessment resources found in the news stories analysis.

1. Analysis of Attitude in the Selected News Texts

1.1. Attitude in the Headline of News reports Set I:

Table 1.1 Analysis of Headlines/ Set I

Website	Headline
The Guardian	Egypt's Mohamed Morsi: I have made mistakes
Al-Ahram	Egypt's NSF rejects Morsi speech, presses demand for snap elections

In the most basic sense, the two hard news reports have a particular overriding theme which is the reporting of Morsi's speech.In *the Guardian*, Morsi is presented as admitting his mistakes and asking for a chance to make reforms. The words are attributed to Morsi's voice in a trial to make the reader to sympathy with him. The second headline begins with rejection of Morsi's speech and includes the demands of NSF. The verb 'reject' affirms the situation of NSF from Morsi and their refusal of his solutions. Such firm refusal of Morsi's speech is provoked via explicit attitude.The headline is couched to present the agency's ideological perspective. The selected head line would realize various reactions from the reader. In *the Guardian* headline, Morsi is the agent who admits his mistakes and the action of the process is a positive one "admitted". The image that is created from this informational content is that the president desire another chance to correct his admitted mistakes. However the
situation is different in *Al-Ahram'*s title which selects the NSF as the actor of the title who refuses the president's speech. Such rejection evokes a negative assessment of the speech in the reader. These assessment largely occurs as appreciation resource.
Unlike *Al-Ahram,The Guardian's* title is free from any explicit evaluative lexis, but the factual content conveys the intended massage.The reporter depends more on experiential than interpersonal formulations to invite the reader to align with the agency's ideological position.Goumovskaya (2007) argues that "The headlines of news items, apart from giving information about the subject-matter, also carry a considerable amount of appraisal (the size

The Guard. Report 1	1) Thousands gathered to watch his speech on screens in Tahrir Square, the cradle of the 2011 uprising – and most reacted **furiously** for the duration of the address, many holding shoes as a signof **disrespect**.	negative behavioural surge	Morsi	Egyptians

and placement of the headline, the use of emotionally coloured words and elements of emotive syntax), thus indicating an interpretation of the facts in the news item that follows".

	2) Morsi refused to offer serious concessions to the opposition – and**pointedly praised** the army.	positive behavioural surge	Morsi	the army
Al ahram Report	1) National Salvation Front (NSF) opposition coalition **spurns** President Morsi's call for nationalreconciliation.	negative behavioural surge	NSF	Morsi's call
	2) Another pro-Morsi sit-in is set to take place on Friday, two days ahead of the 30 June protests and close to the latter's meeting point in Cairo's Heliopolis district, **stokingfears** of possible confrontations	negative mental state	Authori -al voice	possible confrontati ons

2. Analysis of Attitude in the Selected News Texts: Set I

2.1. Analysis of Affect Instances in Set I:

As the table shows, the above reports employ evaluative lexical resources, which in turn involve ideological meanings. Corresponding to the fact that interpersonally constrained register, like the reports under discussion, aims to present an important events in as objective way as possible, hence one would claim that there is no space for any authorial affectual instances. As a sub-type of Attitude, Affect "is concerned with emotional response and disposition, and is typically realized through mental processes of reaction". It is expected to find out some instances of Affect since the 30 June events are among the topic that involves a lot of emotional reaction. The reporter voice should appear neutral and factual by avoiding any employment of unattributed affectual instances. In a canonical hard news report, the affectual resources usually related to the external voices since there is no room for the text's producers to express their own emotional reactions. But this is not achieved in the Egyptian agency as *Al-Ahram's* reporter expresses his worry of possible confrontation between supporters and opponents by using authorial negative behavioural surge (*stocking fears*). In contrast, the British report is free of any instances of authorial affect in which the writer expresses his own emotion towards the discussed topic.

At this stage of analysis, it remains an essential question as which voice is given access to express the emotional reaction in the report?. The close examination of the two reports reveals that the British agency varies in its employment of the affectual resources and so there is one example that reflects Morsi's emotional reaction towards the army and other affectual resource conveys the negative behavior of the opponents towards the ex-president. The Egyptian analysis reveals no variation as it focuses on the NSF as the main source of attribution. Expectedly, most of the affect instances are negative evaluation due to the reporting topic under discussion. Worthy to note that some problematic examples are hard to determine the positivity or negativity of affectual resources, e.g. the term *pointedly* may be interpreted as positive or negative depending upon the context. So, the explicit attitudinal resources in the lead are clues to determine the meaning of such evaluation since "the positive or negative viewpoint is activated via various mechanisms of

association and implicature" (White and Thompson 2008, 11).The Appraisal analysis of news report reveals that values of affect are usually supported by Graduation or Judgement resources such as

GR1:Thousands(Graduation: intensification) gathered to watch his speech on screens in Tahrir Square, the cradle of the 2011 uprising – and most reacted furiously(negative Affect)for the duration of the address for the duration of the address, many holding shoes as a sign of disrespect (evoke Judgement).

The differences between the two news agency are not as great even though the percentage of Affect items in *Al-Ahram* is higher than *the Guardian*. In terms of similarity, the Affect resources employed in both of the news agencies are negative simply because the topic of such reporting is demonstrations. Grammatically, the realization of values of Affect varies from each report between; adjectival(disrespect), nominal(fears), verbal(spurns) and adverbial(furiously).

2.2 Analysis of Explicit Judgement:

The report	**Instance of Inscribed Judgement**	**Type**	**Appraiser**	**Appraised**

The Guardian Report1	1) The Egyptian president, Mohamed Morsi, used a televised address on Wednesday to **admit** to making mistakes in his first year in office.	+Properity	Author	Morsi
	2)Morsi refused to offer serious concessions to the opposition – and pointedly praised the army, **whom many opposition members hope will facilitate a transition of power in the coming weeks**	+properity	Morsi	the army
	3) On a night when many hoped he would strike a conciliatory tone, Morsi instead **criticised** opposition politicians for **failing** to engage in what he perceives to be constructive dialogue.	-properity	Morsi	opposition politicians

	4)Almost a year on from Morsi's election to power, Egypt is **dangerously** divided between his Islamist supporters and a secular opposition that sees his rule as incompetent and autocratic.	-properity	Author	Egypt
	5)But the speech **may** have helped to win over people undecided about joining Sunday's protests	+ capicity	el shaimy	the speech

	6)But while Morsi was **at pains** to win over the military	-capacity	el shaimy	Morsi
Al ahram report 1	1) The president's address reinforced Egyptians' belief about Morsi's**inability** to fill the position of president," the NSF asserted	- capacity	NSF	Morsi
	2) the president did not refer to his **"failure"** to administer the country in his first year	-tenacity	NSF	Morsi

	3)Many Islamist politicians have **accused** the opposition of giving cover to political violence	-properity	the author	islamist politicians
	4) Egyptians "**will** come out in the millions in peaceful protests that will fill Egypt's streets and squares on Sunday	+properity	NSF	Egyptians

Instances of explicit judgement are not compatible with objective reporting while "Attitudinal inscription" occurs frequently in journalistic commentary and editorials in which the editor has the freedom to express his own viewpoints. On hard news reports, the usage of such explicit evaluative meanings occurs infrequently and the writer usually resorts to attribution strategies as means for distancing himself from charged utterances. In these reports, most values of explicit judgement are framed in attribution expect for two instances of authorial explicit judgement ; *The Egyptian president, Mohamed Morsi, used a televised address on Wednesday to* ***admit*** *to*

making mistakes in his first year in office (G1) and *Many Islamist politicians have* ***accused*** *the opposition of giving cover to political violence (A1).*

Grammatically, explicit attributed judgement values are realized via specific lexis which have a constant meaning either a positive or negative. On contrast, implied judgement is conveyed through implication and association since the factual and ideational content determine its type and interpretation. The above analysis indicates that in some cases explicit judgement values are co- text since they are realized through clauses as in *the president praised the army, whom many opposition members hope will facilitate a transition of power in the coming weeks (G1)*and *Egyptians "will come out in the millions in peaceful protests that will fill Egypt's streets and squares on Sunday (A1).*

The majority of judgement values indicate negative inscriptions of social sanction but the appraised in each report is wholly different. Negative judgement resources in the selected reports function to serve each news agency's ideology. *The Guardian* pursuits to achieve objectivity ideal by mixing between the positive and negative judgement in covering the 30 June events. Although the prevailing evaluative tone in *the Guardian* report supports Morsi, the author strives to create a balance between opposing and supporting opinions. In the opening stage, the report presents Morsi when *he admits to making mistakes in his first year in office*. In the body, the authorial voice goes on tocriticizeMorsibecause Egypt is dangerously divided between his Islamist supporters and a secular opposition.Writers utilize Appraisal resources to negotiate solidarity with the reader in order to make evaluation more persuasive. Building solidarity with readers is not an easy process; it includes feelings of various kinds and therefore involve different people. Although *Al ahram* writer distances himself from the judgement values via attribution strategy and scare quotes, but the balance in reporting attributed judgement values is not achieved and so the reporter might be failed to build solidarity with the anticipated readers. Violation of subjectivity norms is a main feature of *Al-Ahram* report which conveys only the

negative judgemental values of Morsi and his regime without any reference to the other side of the debate.

The inverted commas or scare quoteshelp the writer to create the impression that the conveyed knowledge does not belong to him. It is a discursive linguistic strategy that reporter opts to obscure his involvement in the news discourse. Many instances of judgement values are distanced from the authorial voice through scare quotes. In *Al-Ahram* report: *the president did not refer to his "**failure**" to administer the country in his first year and didn't mention his "numerous and dangerous mistakes,* the authorial voice distances himself from the negative attributed judgement values. Although the whole statement is attributed to the NSF, the report reinforces his detachment from the proposition via the employment of scare quotes. Interestingly note that all the judgement values between the scare quotes in *Al ahram* reports are negative social sanction of Morsi except for one instance; *the Muslim Brotherhood and its allies staged a mass protest last week to voice support for the president's "**democratic legitimacy**"* which contextualized in a negative ideationas the report goes on to expose the fears of many Islamists from the expected demonstration. Whereas the term "democratic legitimacy" could be socially interpreted as conveying a positive meaning, in this context it appears to evoke a negative judgement values in a way which confirms that the positivity or negativity of any lexis is bound to its co-text. In contrast, *the Guardian* highlighted the negative social sanction judgement values of those the president describes as "enemies of Egypt" to assure that it is not Morsi the main reason of what happen in Egypt. Furthermore, the promises of Morsi are positively appreciated and framed in scare quotes in bid to convince the readers and align them with particular ideological perspective *Morsi pledged to introduce "**radical and quick**" reforms in state institutions.*

Both of the reports seek to utilizes all aspects of linguistics maneuvering in order to convince the target reader of the agency's adopted ideology. Despite the fact that the authorial voice is not allowed to judge the a actors of the report, however, the report should create a balance between the mentioned judgement values. This

means it is not objective to recall judgement values which either support or oppose the discussed topic. When neglecting the attitudinal assessments of the other side of the conflict, the writer deliberately presents the attributed judgement values of only one side of the conflict as credible hence the writer induces the reader to accept the only provided view. The supposed reporting target is to provide the various judgement values and give the reader the freedom to make his own mind. *Al-Ahram* report mentions the attitudinal assessments of only one side of the conflict and the other side's point of view is effaced. This genre -hard news report- is unique from any other type of media text because there is "no explicit judgement" (Iedema et al., 1994, p.308). Hard news report sometimes is called "straight news" which is assumed to present facts, public events. In spite of the supposed objectivity of hard news reporting, the values of judgement are complemented by a great majority of appreciation resources.

2.3 Engagement analysis:

Instances of Engagement in the Guardian
Expand : attribute: acknowledge
1) Today, I present an audit of my first year, with full transparency, along with a roadmap. Some things were achieved and others not," he **said** 2) He spoke in a way that many Egyptians could relate to," **said** Yasser el-Shimy 3) The army makes strategic decisions based on what they perceive to be the national interest," el-Shimy**said**
Expand: attribute: distance

1) Morsi**pledged** to introduce "radical and quick" reforms in state
2) "It's really shameful that the president of Egypt, after a whole year in office, walks on stage and starts accusing the whole country of treason," **argued** Mohamed Zakaria

Expand: Attribute: endorse

No instances

Instances of Entertain:

1) whom many opposition members hope **will** facilitate a transition of power in the coming weeks
2) On a night when many hoped he **would** strike a conciliatory tone
3) But the speech **may** have helped to win over people undecided about joining Sunday's protests
4) He spoke in a way that many Egyptians **could** relate to
5) But it **will** have done little to convince his non-Islamist opponents
6) army – who deployed tanks on the streets of Cairo on Wednesday, and whose intentions are currently the subject of intense debate in Egypt – was **unlikely** to give him their support based merely on the contents of the speech

Instances of disclaim: deny& counter

1) President pledges radical reforms to state institutions, **but also** denounces 'enemies of Egypt' for sabotaging democratic system 2) **But** the president also widened the divide between his Islamist supporters and Egypt's secular opposition during his speech 3) Morsi pledged to introduce "radical and quick" reforms in state institutions, admitting some of his goals had **not** been achieved 4) On a night when many hoped he would strike a conciliatory tone, Morsi**instead** criticised opposition politicians
Instances of Proclaim: pronounce
1) It's **really** shameful that the president of Egypt

Engagement resources in *Al-Ahram* report 1:

Instances of Engagement
Expand : attribute: acknowledge

1) He also **announced** his intention to incorporate young Egyptians into the decision-making process 2) The NSF, however, **said** the president did not refer to his "failure 3) Morsi's speech only deepens our resolve to press our demands for early presidential elections in order to achieve the aims of the revolution, most important of which is social justice," the statement **read** 4) Morsi's speech comes on the eve of mass demonstrations on 30 June, called for by Egypt's 'Rebel' campaign, which **says** it has collected 15 million citizens' signatures 5) Defence Minister Abdel-Fattah El-Sisi**saying** earlier this week that the army had a "moral responsibility".
Expand: attribute: distance
1) He also announced his intention to incorporate young Egyptians into the decision-making process – **claiming** the absence of young cadres as one of his first-term mistakes 2) It went on **to express** the NSF's belief that Egyptians "will come out in the millions in peaceful protests"
Expand: Attribute: endorse
1) The president's address reinforced Egyptians' belief about Morsi's inability to fill the position of president," the NSF **asserted** 2) **promised** to task Egypt's next parliament with amending the constitution, a longstanding opposition demand 3) In its statement, the NSF **voiced** its support for "popular demands".
Instances of Entertain
1) NSF's belief that Egyptians "**will** come out in the millions in peaceful protests that **will** fill Egypt's streets 2) two days ahead of the 30 June protests and close to the latter's meeting point in Cairo's Heliopolis district, stoking fears of **possible** confrontations
Instances of disclaim: deny& counter
1) Morsi's speech **only** deepens our resolve to press our demands for early presidential elections in order to achieve the aims of the revolution 2) The NSF, **however**, said the president did not refer to his "failure" to administer the country in his first year and didn't mention his "numerous and dangerous mistakes

3) **Meanwhile**, the Muslim Brotherhood – which propelled Morsi to power in last year's polls 4) The NSF **also** called for a new government, which it wants to see focus on the economy, security (still largely absent since the 2011 uprising) and social justice, **while**issuing transitional justice laws and working towards national reconciliation.
Proclaim: pronounce
No instances

Engagement system operates continuously throughout the selected news reports. Tracing examples of Engagement resources in the above analyzed texts reveal that the news reporting generally exhibits a variety of heteroglossic engagement patterns. Within the Engagement system, White and Martin (2005) differentiate between two types of utterances: Monoglossic and Heterglossic. A writer can provide the discoursal proposition as Monoglossic or Heterglossic through his usage of modality options. As the word indicates, Monoglossic utterances are barely asserted and used in unmodalized declarative clauses such as *The opposition coalition cited Morsi's controversial constitutional declaration issued in November, which gave him sweeping powers –a move that deepened Egypt's political polarisation and led to a spate of political violence* (Al-Ahram R1). Such unmodalized sentence "encourages the reader to assume that the proposition is unproblematic and that it enjoys broad consensus"(Coffin, 1997,p.510). In support of such assumption, *Al-ahram* reporter does not invoke any alternative propositions and treats the results of Morsi's declaration as just facts and negatively evaluates the sequences of his speech on the people in order to project a complaint reader that takes the proposal for granted.

The other report from *the Guardian* formulates the idea that Morsi promises to introduce quick reforms and he admits his mistakes in a way that closes down the room for alternative views. And hence this piece of news reporting is presented as absolute facts and need no more assertion. The designation of this proposal as bare assertion does not allow the presence of any alternative views and presents the

proposition as shared by the writer and the reader. White (2003) considers these barely asserted claims have the potential to construe the provided events as "facts" and "unproblematic". The undialogized formulations present specific intersubjective stand; the textual voice assumes that he and the reader share the same knowledge and values. In other words, the writer constructs a solidarity with the readership which share the same attitude. In contrast, heterglossic formulations open a space for possible views in relation to the encoded proposal. The writer opts for this category to distance himself from the expressions of Attitude, reinforcing a neutral stance. We can say that Engagement resources adjust speaker's involvement to what they are saying.

The bulk of evaluations in the report are framed in attribution since the writer of such genre is not the main source of information, but just a collector of information from various sources. As we would expect from a news report, the text includes a number of resources employed to open a space for various voices to play. The play of different voices in the selected reports happened seamlessly. Attribution strategy occurs via two ways in the news report under discussion : acknowledgement and distancing. Through acknowledging attribution the authorial voice is unfolded and the evaluative expressions are done. Heteroglossic acknowledging values construe a dialogic space in the text and veils the reporter's commitment of the discussed topic. Lexico-grammatically, *the Guardian* report uses the same framers "said" with two opposing sources; *Today, I present an audit of my first year, with full transparency, along with a roadmap. Some things were achieved and others not," he* ***said***and *He spoke in a way that many Egyptians could relate to,"* **said** *Yasser el-Shimy.* Consistence in the employment of the same reporting framers in spite of the variation of the source indicates a neutral attribution of the quoted words without any alignment with its source. Also, the balance of attribution between Morsi and his opponents is an authorial trial to avoid impartial and bias.

Of major significance for the current study is the ways through which the reporter used the attribution strategies. Linguistically, the

writer chooses various ways to deliver the observations of the sources being quoted either objectively or subjectively. The author can employ "neutral" framers such as -said, describes,- but in contexts that indicate authorial alignment\ disalignment with the attributed utterances as the case in *Al-Ahram* R1. With regard to the context, the description of NSF as the largest opposing group in Egypt expresses the authorial conviction of their coming statement while the attributed utterances are framed in a neutral verb (said). Al-Ahram reporter acknowledges the proposal made by the NSF, but the selecting framer obscures the authorial position. Thus, the source of information is presented as highly confident in order to align the reader to accept and trust the attributed views. In hard news report, the authorial voice designs the external sources of information in a way that creates a positive views of the quoted words, and hence simultaneously positions the reader to accept the same alignment. By such seeming neutral framers, the writers attempts to naturalize his value position and construct "complaint readership".

The analyzed reports are abound with evidential expressions. The writer tries to wash his hands from the responsibility and hence attaches words to external sources. Since there is no space in a supposed neutral mode of meaning making for the writer to express his views, attribution or quoting are mechanisms that journalist uses to inject his attitude implicitly and at the same time to increase the factual value of the report. Quotations from various sources are employed in hard news reports to achieve " the illusion of truth" (Van Dijk, 1988, p. 86).

The authorial alignment can be read off by the imbalance between the opposing and supporting views attributed to external sources. Among the factors that unravel the authorial alignment is the representation of only one side of the current debate. Even though Al-Ahram website provides various attributed material with neutral frames, the supporting point of view is not balanced with other contrasting opinions. Depending on the fact that the writer does not mention any alternative views the authorial voice supports the mentioned views.

In *the Guardian* report, the textual voice disassociates himself from the attributed words of the president; *Morsi pledged to introduce "radical and quick" reforms in state*. Through attributed resources, the author provides the source's words and at the same time reserves his neutrality. Morsi's words are full of judgment but the authorial voice is back grounded. Most of the evaluative expressions found in the report are attributed to external voices; the writers endeavors to achieve objective representation of the discussed topic. The reporter distances himself from the attitudinal evaluations in the text by following what Jullian (2011) refers to as "appraise through the words of other". The employment of attribution in hard news report is a discourse maneuver to veil the authorial ideological inclination.

An examination of the frequency of engagement sub-resources in the British report proves a high frequency of Entertain resources. Such high occurrence can be reasoned to the writer's welcoming of alternative voices. The writer employs entertain locutions as " May-could-would…" to open a space of dialoge with the reader and present the advanced proposal as only one from many alternatives.The use of modal auxiliaries such as (will) in; *NSF's belief that Egyptians "**will** come out in the millions in peaceful protests*…indicates that the proposition is true and valid. To denote certainty and show that the proposition is true and valid the writer uses *will* as a modal verb assessing a high degree of likelihood. Entertain values, known as evidentially and epistemic modality, create a heteroglossic environment where the provided proposition is but one of many other propositions. The sentence contains two locutions which have the potential to support the subjective attitude; first, by the use of modal verbs by reality phrases *(belief that)*which often accompany modal verbs to persuade the reader of the correctness of the proposal. Unlike the previous negative appreciation values that describe Morsi speech, the writer here alters his position and employ two positive appreciation to describe the 30 June demonstrations.

*Al-Ahram*report employs the Distancing mechanism in reporting Morsi's promises; *He also announced his intention to incorporate*

young Egyptians into the decision-making process – claiming the absence of young cadres as one of his first-term mistakes. The evaluative tone of *Al-Ahram* lead softens in the body of the report. There is textual evidence suggesting an attempt to achieve authorial detachment from the reporting propositions. The authorial voice largely frames Morsi's words in attribution mechanisms. Thus, acknowledging attribution evinces the neutral attribution of reported speech and reinforces the subjectivity of the authorial voice. The author's use of "claiming",in the above statement, as a designation of the presidential promises is also significant. One interpretation of this designation is that he chooses to disalign himself from the attributed proposition and leaves it open for the reader to deduce from the context his position. In addition to achieving a dialogistic expansion, the authorial voice opts for distancing attribution when the quoted material includes explicit judgment and appreciation -as in the absence of young cadres as one of his first-term mistakes. By the use of "to claim" as a reporting verb, the author leave it up for the reader to describe the advanced proposition as necessarily false or even dubious. The verb "claim" suggests as if there is somewhat opposition or doubt against the provided information. The author keeps away from taking responsibility of the attributed material while ,at the same time, he leaves it open to question and appears as it lacks confirmation. With the verb 'claim' the writer does not support the promises and thereby characterized as to some degree doubtful and unexpected. Distancing verbs employed in the selected reports can see an effort to convey news objectively and allow the writer to remain in the background.

Of a great significance to mention that the stance taken in each news agency is completely different due to the difference between an insider (national) and an outsider (international) perspective. For the Egyptian agency, what happened in Egypt was a *"popular demand"*. One of the main aims of the Egyptian news reports was to encourage the Egyptians to demonstrate against the current regime by introducing a negative evaluation of Morsi and his allies. In comparison to Egyptian and British news agency, *the Guardian* took an intermediate stance towards 30 June events. Both of them rely

heavily on attributed evaluative resources, however *the Guardian* refrains from the employment of explicit expressions of affect
The Egyptian writer attempts to avoid any explicit authorial assessment, but he also flouts the principles of the "reporter voice configuration". via covert intervention into the text, the author attempts to pose the reader to accept a particular ideology. Lexically and structurally , the writer seeks to convince the reader with a particular reading position.

References

Bednarek, M. (2006) *Evaluation in media discourse: analysis of a newspaper corpus*. London: Continuum.

Coffin, C. (1997). "Constructing and Giving Value to the Past: An Investigation into Secondary School History". In Christie, F. & Martin, J.R. (eds). *Genre and Institutions: Social Processes in the Workplace and School*. London: Pinter.

Iedema, Rick, Suzan Feez& Peter White. (1994) Appraisal and journalistic voice. http://grammatics.com/appraisal/MediaLit-Appraise.pdf. (1 June, 2010)

Jullian, P. M. (2011). 'Appraising through someone else's word: The evaluative powerofquotations in news reports'. *Discourse and Society 22*(6), pp.766 – 780.

Martin, J.R. (2003)Introduction. *Text23*(2). 171-181

Martin, James R. & Peter R. R. White. (2005) *The language of evaluation: Appraisal in English*. Hampshire: PalgraveMacmillan.

Van Dijk, T. A. (1988) *News as Discourse*. Hillsdale, New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates

White, Peter. (1998) Telling media tales: The news story as rhetoric. University of Sydney: PhD Thesis.

White, P. R.R. (2003) Beyond Modality and Hedging: A Dialogic View of the Language of Intersubjective Stance, *Text 23*(2), pp. 2594– 8.

White, P.R.R. & Thomson, E. A. (2008) The news story as rhetoric :Linguistic approaches to the analysis of journalistic discourse. In Thomson, Elizabeth A. & Peter R. R. White (eds.), *Communicating conflict: Multilingual case studies of the news media*, pp.1-23. London: Continuum.

مقاصد الشريعة الإسلامية في فقه الأقليات"
دراسة مقارنة في المعاملات"

إعداد

أيمن محمد محمد عبد الله جاد

باحث ماجيستير

يناير ٢٠١٥

مقاصد الشريعة الإسلامية في فقه الأقليات" دراسة مقارنة في المعاملات"

إعداد

أيمن محمد محمد عبد الله جاد

باحث ماجيستير

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.

فإن الله سبحانه وتعالى جعل شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة لكل الشرائع، تراعي مصلحة العباد العاجلة والآجلة، فما ترك شيئا مما يحتاج إليه الناس إلا وبين لهم وجه الحق فيه ودلهم على خير ما يصلح لهم في أمور دينهم ودنياهم، وحذر الناس من كل ما تعود عاقبته وبالا عليهم.

وموضوع **(مقاصد الشريعة الإسلامية في فقه الأقليات في المعاملات)** من أهم القضايا المستجدة، وذلك لشدة حاجة الأقليات إلى بيانها وتوضيحها؛ لكثرة ما يعرض لهم في مزاولاتهم لأنشطتهم التجارية والاقتصادية ، ومعاملات الأقليات بحاجة إلى صبغها بمقاصد الشريعة، وتطبيقها فيها؛ حتى تتحقق العدالة، وتروج الأموال، كما تحتاج إلى وضوح المقاصد فيما بين الناس، مع القضاء على أي ظلم أو استغلال من أجل المصلحة الشخصية.

فهذا البحث في **(مقاصد الشريعة الإسلامية في فقه الأقليات دراسة مقارنة في المعاملات)** يعبر عن محاولة اكتشاف وجه تطبيق المقاصد الشرعية

في فقه الأقليات في المعاملات، وتوجيه معاملاتهم إلى أقرب مراد للشارع الحكيم، وإلى ما فيه مصالح عظيمة لحياة الناس.

ولما كانت الشريعة الإسلامية هي خاتمة الرسالات – وهي الدين الذي أكمله الله وارتضاه للعالمين – فقد كان من ضرورة ذلك اتصافها بخصائص من الشمول والبقاء والمعاصرة في ظل الثوابت المحكم فيها – بما يجعلها صالحة للتطبيق واستيعاب ما يجد في ميادين الحياة في كل زمان ومكان، بحيث يكون للشريعة في كل واقعة أو شأن أو شيء حكم يدركه المجتهدون إما نصا أو استنباطا ، فالمجتهدون يستنبطون الأحكام من المصادر المعصومة: وهي الكتاب والسنة والإجماع المعتبر، كما يستندون في ذلك إلى أصول الاستدلال والاستنباط في الشريعة، والتي تدور على ثلاثة علوم هي: علم أصول الفقه، وعلم القواعد الفقهية، وعلم المقاصد الشرعية.

وإن مما يحتاج دائما لاجتهاد يعتمد على القواعد الكلية التي أقرها الإسلام وفي الوقت نفسه يراعي طبيعة العصر والعالم: فقه الأقليات المسلمة وما يتصل بها من المسائل المتغيرة في معاملاتهم، ويجدر بنا أن نقف علي مفردات التعريف :

أولا : تعريف مقاصد الشريعة : هي مركب إضافي[١] يتكون من كلمة (مقاصد) وكلمة (الشريعة) منسوبة إلى الإسلام ، لذا سنحتاج في تعريف (مقاصد الشريعة الإسلامية) إلى تعريفها باعتبارين :

---

(١)المركب الإضافي : كل اسمين نزل ثانيهما منزلة التنوين مما قبله مثل (عبد الله) وأبي قحافة – انظر : شرح الأشموني : ١٣٤/١ .

الأول : تعريفها باعتبارها مركبا إضافيا . وهذا يحتاج إلى تعريف كل من (المقاصد ، الشريعة ، الإسلام)

الثاني : تعريفها باعتبارها علم على فن معين .

المقاصد لغة : جمع مقصد ، والمقصد ميمي[١] مأخوذ من الفعل (قصد) يقال : يقصد قصدا ومقصدا [٢]، فالقصد والمقصد بمعنى واحد .

تعريف الشريعة فى اللغة : الدين والمله والمنهاج والطريق والسنة [٣] وأصلها فى لغه العرب تطلق على مورد الشاربة [٤]

قال فى اللسان : الشريعة والشرع والمشروع المواضع التى ينحدر الى الماء منها والشرعه والشريعه فى كلام االعرب شرعه الماء وهى مورد الشاربه التى يشرعها الناس فيبشرون منه ويستقون ، والعرب لا يسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لانقطاع له ويكون ظاهرا معينا لا يسقى بالرشاء ، والشريعة والشرعة ما سن الله له من الدين وأمر به ، قال تعالى (ثم جعلناك على شريعه من الأمر فا تبعها) [٥][٦]

---

(١)المصدر الميمي : هو المصدر المبدوء بميم زائدة لغير المفاعلة ، يدل على الحدث مجردا من الزمن ويصاغ من الفعل الثلاثي على زنة (مفعل) بفتح الميم والعين وسكون الفاء نحو (مضرب) . شرح الأشموني ٢٨٧/٢ .

(٢)معجم مقاييس اللغة ٩٥/٥ ، المعجم الوسيط : ٧٣٨/٢ .

(٣)مجمل اللغة : ٥٢٦/٢ ، الصحاح ١٢٣٦/٣ ، اللسان ١٧٤/٨ وتفسير القرطبي ١٦٣/١٦ .

(٤)المصادر السابقة .

(٥)سورة الجاثية آية رقم (١٨) .

(٦)اللسان ١٧٤/٨ .

قال الفراء [١] : على دين وملة ومنهاج كل ذلك يقال [٢] .

وفى الاصطلاح : قال شيخ الاسلام ابن تيمية [٣] اسم الشريعة والشرع فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والاعمال [٤] وقال : الشريعة هى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر منا [٥]

وعرفها الجرجانى[٦] الائتمار بالتزام العبوديه [٧]

وقال : ما شرع الله لعباده من الاحكام التى جاء بها نبى من الانبياء سواء كانت متعلقه بكيفية عمل وتسمى فرعية وعملية أو بكيفية الاعتقاد وتسمى اصلية [٨]

التعريف بمصطلح فقه الأقليات

لا يتجاوز عمر هذا المصطلح حسبما نعلم بضعة عقود ، ولا يتجاوز شيوعه في الاستعمال عقدا أو عقدين .

ولعل منشأه كان مرتبطا بالجالية الإسلامية بالبلاد الغربية ، إذ لما تكاثرت هذه الجالية بأوروبا وامريكا ، وبدأت حياتها تنتشر وعلاقاتها تتشعب ، وبدأت تشعر

---

(١)هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، أبو زكريا الفراء ، من مصنفاته : معاني القرآن ، والمصادر في القرآن والمقصور والممدود ، توفي سنة ٢٠٧ هـ - ترجمته / طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ١٣١ وإنباه الرواة ٧/٤ .

(٢)معاني القرآن ٤٦/٣ .

(٣)هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراثي ، الدمشقي – شيخ الإسلام – له مصنفات كثيرة منها : الإيمان ، درء تعارض العقل والنقل ، منهاج السنة – توفي سنة ٧٢٨ هـ / ترجمته في طبقات الحنابلة ٣٨٧/٢ ، طبقات المفسرين ٤٦/١ .

(٤)مجموع الفتاوى ٣٠٦/١٩ .

(٥)المصدر السابق ٣٠٩/١٩ .

(٦)هو علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني – له مصنفات كثيرة منها : التعريفات ، شرح المواقف للعضد توفي سنة ٨١٦ هـ - ترجمته في بغية الوعاة ١٩٦/٢ .

(٧)التعريفات ص ١٦٧ .

(٨)كشاف الاصطلاحات ٧٥٩/٢ .

بكيانها الجماعي ذي الخصوصية الدينية في مهجرها الذي يعيش فيه مجتمع غير إسلامي ، وتسود فيه ثقافة وقوانين غير إسلامية ، إذ ذاك بدأت تتوق غلى أن تنظم حياتها الفردية والجماعية على أساس من دينها ، ولكن وجدت أن وجودها كثيرة من تلك الحياة لا يفي بتوفيقها إلى أحكام الدين ما هو متداول معروف من الفقه المعمول به في البلاد الإسلامية ، إما أنه لا يناسب أوضاعا مخالفة للأوضاع الموجودة بالبلاد الإسلامية ، أو لأنه لا يغطي أوضاعا انفردت بها حياتهم بالمهجر فأصبحت هناك ضرورة لفرع فقهي جديد يختص في معالجة حياة هذه الأقليات أطلق عليه اسم فقه الأقليات.

وليس فقه الأقليات بمنعزل عن الفقه الإسلامي العام ، ولا هو مستمد من مصادر غير مصادره ، أو قائم على أصول غير أصوله ، وإنما هو فرع من فروعه ، يشاركه ذات المصادر والأصول ، ولكنه ينبني على خصوصية وضع الأقليات ، فيتجه إلى التخصص في معالجتها ، في نطاق الفقه الإسلامي وقواعده ، استفادة منه وبناء عليه ، وتطويرا له فيما يتعلق بموضوعه ، وذلك سواء من حيث ثمرات ذلك الفقه من الأحكام ، أو من حيث الأصول والقواعد التي بنيت عليها واستنبطت بها . (١)

ومعنى هذا أن فقه الأقليات هو فقه نوعي يراعي ارتباط الحكم الشرعي بظروف الجماعة وبالمكان الذي تعيش فيه ، فهو فقه جماعة محصورة لها ظروف خاصة ، يصلح لها ما لا يصلح لغيرها ، ويحتاج متناوله إلى ثقافة في بعض

(١) بحث مآلات الأفعال وأثرها في فقه الأقليات – المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث – مقدم للدورة التاسعة للمجلس الأوروبي للإفتاء ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

العلوم الاجتماعية ، خصوصا علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية والعلاقات الدولية . (١)

فمن حيث ثمرات الفقه من الأحكام فإن فقه الأقليات يبني جسمه الأكبر على تلك الثمرات ، إذ القدر الأكبر منها متعلق بما هو ثابت تشترك فيه أوضاع المسلمين مهما تغايرت ظروفها في الزمان والمكان ، ولكن مع ذلك فإنه يعمد إلى اجتهادات كانت مرجوحة ، أو غير مشهورة ، أو متروكة لسبب أو لآخر من أسباب الترك . فيستدعيها وينشطها ويحييها ، لما يرى فيها من مناسبة لبعض أوضاع الأقلية المسلمة تتحقق بها المصلحة ، فيعالج بها تلك الأوضاع ، في غير اعتبار لمذهبية ضيقة ، أو عصبية مفوتة للمصلحة ، ما دام كان ذلك مستندا إلى أصل في الدين معتبر .

ومن حيث الأصول والقواعد ، يعمد هذا الفقه إلى استعمال القواعد الفقهية والمبادئ الأصولية ما يرى منها أكثر فائدة في توفيق أحوال الأقلية إلى حكم الشرع ، ويوجهها توجيها أوسع في سبيل تلك الغاية ، وربما استروح من مقاصد الشريعة ما يستنبط به قواعد اجتهادية لم تكن معهودة في الفقه الموروث ، فيدخلها في دائرة الاستخدام الاجتهادي في هذا الفقه ، أو يعمد إلى قواعد كانت معلومة ولكن استعمالها ظل محدودا جدا ، فينشط العمل بها في استخدام واسع تقتضيه طبيعة أوضاع الأقليات المسلمة ، ليتحصل من ذلك كله فقه الأقليات ينبني على الفقه الإسلامي المأثور ، ويتجه بخصوصية في هذا الشأن ، يضيف بها فقها جديدا يكون كفيلا بمعالجة هذا الوضع الجديد.

---

(١) نظرات تأسيسية في فقه الأقليات د . طه جابر العلواني - ضمن أبحاث الشبكة الفقهية (الملتقى الفقهي) بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٩ .

ونحسب أن من بين أهم ما يمكن أن يستفاد منه في فقه الأقليات من الأصول الفقهية أصل اعتبار المآلات ، وذلك لأن هذا الأصل كما مرت الإشارة إليه مبني على تعديل الحكم الشرعي المتعلق بفعل من الأفعال إذا لم يكن محققا لمقصده فيه إلى حكم آخر يحقق فيه مقصده ، وقد ذكرنا آنفا أن الحكم الشرعي إنما يتخلف تحقق مقصده عند مقصده عند إجراء الفعل عليه بأسباب تعود في الغالب إلى خصوصية تطرأ على ذلك الفعل تكن مانعة من تحقيق الحكم لمقصده فيه . وأحوال الأقليات المسلمة هي أحوال مشبعة بالخصوصيات المتنوعة بالنسبة لأحوال المسلمين في أوضاعهم العادية ، وذلك ما يجعل معالجتها بالاحكام الشرعية الأصلية الموضوعة لأجناسها كثيرة الأيلولة فيها إلى غير مقاصدها ، مما يحتم أن تعالج بشكل موسع بأحكام تبنى على اعتبار المآلات لتحقيق مقاصد الشريعة . ويتبين هذا الأمر بوضوح من خلال تبيان وجوه الخصوصية في أحوال الأقليات المسلمة ، ثم بتبيان وجوه تأثير تلك الخصوصيات في المآلات لتكون معتبرا في المعالجة الفقهية ، ومن ذلك يتضح الدور الكبير لهذا الأصل الفقهي في إثراء فقه الأقليات وتنميته وتطويره .

صور من تعامل الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين في

البيع – الربا – الإجارة – الوكالة – الشركة

صورة من تعامل الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين في البيع

أولا : بيع الخمر والخنزير

صورة المسألة : عمل المسلم خارج ديار الإسلام في المحال التي تقدم بعذ المحرمات كالخمر والخنزير ، وقد لا يجد عملا إلا في مثل هذه المطاعم والمحال فهل يجوز كسب الرزق من هذا العمل .... ؟

حكم المسألة :

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على اتجاهين

الاتجاه الأول : ذهب إلى عدم الإباحة والحل في عمل المسلم في بلاد غير المسلمين في مطاعم الخمر والخنزير .

أهم أدلة هذا القول :

– **من القرآن الكريم** : قال تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [١] ، وغير ذلك من الأدلة .

– **السنة** : ما جاء عن جابر بن عبد الله، أنه سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول عام الفتح وهو بمكة: "إنَّ الله حَرَّم بيع الخمر والميتةِ والخنزير والأصنامِ " [٢]

الاتجاه الثاني : ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى الإباحة والجواز إذا لم يجد المسلم المقيم في بلاد غير المسلمين عملا حلالا ولا مصدرا طيبا للكسب فلا

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٢ .

(٢)أخرجه البخاري (٢٢٣٦) ومسلم (١٥٨١) والترمذي (١٢٩٧) والنسائي (٤٢٥٦، ٤٦٦٩) وابن ماجة (٢١٦٧)، وقال الألباني : صحيح ، في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيلالمؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (ت : ١٤٢٠هـ) – إشراف: زهير الشاويش – الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م. ١٣١/٥ برقم ١٢٩١.

بأس بعمله في هذا المجال إذا لم يكن عنده من الدخل ما يقوم بكفايته مع بذل الوسع في الحصول على عمل آخر يخلو من الحرام ، واستند أصحاب هذا الاتجاه في الجواز إلى الضرورة والحاجة التني تنزل منزلة الضرورة .

واستندوا في أن بيع الخمر وكذا الخنزير جائز عند أبي حنيفة في دار غير المسلمين [١]

وجاء في استفسارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن ما نصه (للمسلم إذا لم يجد عملا مباحا شرعا العمل في مطاعم ومحال الكفار وإن استطاع أن لا يباشر بنفسه سقي الخمر وحملها وكذا الخنزير فعل) [٢]

الترجيح :

من يعيش في مجتمع غير مسلم ، فهو في محنة أو أزمة ، تتجسد المحنة في كون المجتمع من حوله لا يعينه على أداء الواجبات ولا على اجتناب المحرمات بل على العكس يغريه بفعل واقتراف المنهيات ، وفي الوقت نفسه ألجأته الحاجة على أن يتفاعل ويتعايش مع هذا المجتمع.

---

(١) الموسوعة الميسرة في فقه القضايا المعاصرة (قسم فقه الأقليات) – مركز التميز البحثي – ط١ – ١٤٣٦هـ – المملكة العربية السعودية – جامعة الإمام محمد بن سعود – ص٤٩٠ – ٤٩١ . بتصرف ، والقرارات والفتاوى الصادرة عن المجلس الأوروبي للإفتاء – ط١ – ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م – (فتوى٩/٢٩ /٢)

(٢) مجمع الفقه الإسلامي – المنعقد في دورة المؤتمر الثالث – عمان – الأردن – من ٨ إلى ١٣ صفر ١٤٠٧ هـ – أكتوبر ١٩٨٦ – مجلة المجمع – العدد الثاني – ج١ ص ١٩٩ – قرار رقم ٢٣ (١٣/٣) بشأن استفسارات المعهد العالمي الفكر الإسلامي بواشنطن .

والقرآن في كثير من آياته يبين صراحة على من ألجأته الضرورة فلا إثم عليه قال الله : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ) (١)

ومنه قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (لا ضرر ولا ضرار) (٢)

والضرر جاء في الحديث نكرة وقعت في سياق النفي فتفيد العموم فيدل الحديث على أن جميع أنواع الضرر منفية والضرورة هي أشد أنواع الضرر لأن صيغتها صيغة مبالغة فتكون منفية والمقصود بالحديث النهي عن إحداث الضرر والأمر بإزالته إن حدث ، وأمر الشرع بإزالة الضرر ومن ضمنه أشده وهو (الضرورة) التي قد يصل إليها المسلم في بلاد غير المسلمين فيعمل في هذه المطاعم والمحال التي في بلاد غير المسلمين فيعمل في هذه المطاعم والمحال التي تبيع مثل هذه المحرمات ، نفيالضرورته وحفظا على معاشه وانتظاما لحياته ، واستجابة لما تفرضه عليه ضغوطه وأزمة ومحنتة فجاز له العمل على قدر ما يدفع به حاجته (٣)

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٣.

(٢) رواه مالك – الموطأ – كتاب الأقضية – باب القضاء في المرافق – رقم الحديث ٢٣٥١.

(٣) الأشباه والنظائر لابن نجيم – تحقيق محمد مطيع الحافظ – ص٩٥ – ١٠٠ بتصرف ، شرح القواعد الفقهية – الزرقا ص١٣٣ ، نظرية الضرورة الشرعية – د.وهبة الزحيلي ص٢٤٨ بتصرف ، الأقليات المسلمة وتغير الفتوى – أ.د / عبد الرحمن الحبوري – جامعة الشارقة – كلية الشريعة الإسلامية – ص ٤٥ ، ٤٦ بتصرف .

ومن جملة القول استخلاص المواد التي تستخدم كعقار يتداوي به ، وهذه المواد من الخنزير فكيف يتسنى هذا الأمر إلا بشراءه وإجراء الفحوصات عليه ، واستخراج المواد النافعة للتداوي ، أو شراء هذه المواد وهي جزء منه .

أولا : التداوي مشروع بما رواه أبو داوود والترمذي عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُكَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمْ الطَّيْرُ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقَعَدْتُ، قَالَ: فَجَاءَتِ الْأَعْرَابُ، فَسَأَلُوهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَتَدَاوَى؟ قَالَ: " نَعَمْ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ "[١] فهذا الحديث جاء فيه الحث على التداوي مطلقا غير مقيد بقيد والقاعدة : (المطلق يجري على إطلاقه حتى يرد ما يقيده) [٢]

---

(١)مسند الإمام أحمد بن حنبل – المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) – تحقيق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م– ٣٩٨/٣٠ برقم (١٨٤٥٥) .

(٢)المبسوط – للسرخسي – سبق ذكره ٤٠/١٩ ، والعناية شرح الهداية المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ) – الناشر: دار الفكر – الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ. ، والدر المختار (حاشية ابن عابدين) – سبق ذكره – ٣٨٥/٦ ، ومجلة الأحكام العدلية – المؤلف: لجنة مكونة من عدة علماء وفقهاء في الخلافة العثمانية – المحقق: نجيب هواويني – الناشر: نور محمد، كارخانه تجارتِ كتب، آرام باغ، كراتشي ٢٣/١– المقالة الثانية في بيان القواعد الكلية.

قال الإمام الخطابي [١] : في هذا الحديث إثبات الطب والعلاج وأن التداوي مباح غير مكروه [٢]

ثانيا : إذا كانت مادة (الهيبارين) [٣] المستخلصة من الخنزير قد استحالت إلى مادة أخرى بالمعالجة الكيميائية أو بغيرها فلا مانع من استخدامها واستخراجها والعلاج بها في الحقن لأنها حينئذٍ تكون قد استحالت من طبيعتها الخنزيرية إى

---

(١)هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)–فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب)له:(معالم السنن) في شرح سنن أبي داود،(بيان إعجاز القرآن) ، (إصلاح غلط المحدثين) ، (غريب الحديث) ، (شرح البخاري) باسم (تفسير أحاديث الجامع الصحيح للبخاري)وله شعر أورد منه الثعالبي في (اليتيمة) نتفا جيده، وكان صديقا له. توفي في بست (في رباط على شاطئ هيرمند)– ترجمته في الأعلام للزركلي ٤٩٧/١٢.

(٢)معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود – المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) – الناشر: المطبعة العلمية – حلب – الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م ٢١٧/٤.

(٣)الهيبارينمشتقة من الكلمة يونانية القديمة (hepar) وتعني الكبد.و هوعبارة عن جلوكوزأمينوجلايكان المكبرَت بصورة عالية ،و عادةً ما يستخدم بشكل واسع كمضاد للتخثر الدم على شكل حُقن . و يمتلك جزيء الهيبارين أعلى كثافة شحنية سالبة ، بين كل الجزيئات الحيوية المعروفة– وهي مادة تنتجها خلايا معينة في الجسم، وتستخلص عادة من أكباد ورئات وأمعاء الخنزير.– الجمعيةالأمريكيةللصيادلةالنظامالصحي. يناير ٢٠١٦.

.The AmericanSociety ofHealth-System "Heparin Sodium" Pharmacists.

طبيعة أخرى جديدة والاستحالة أحد وسائل طهارة الأعيان النجسة ، وأصل ذلك ما تقرر من أن الخمر إذا تخللت بنفسها طهرت ، وقيس عليها غيرها [١]

فاستخدام الخمر إذا تخللت وهذه المادة (الهيبارين) المستخرجة من الخنزير إن لم يوجد بديل طبي فلا مانع لأن الضرورات تبيح المحظورات ، وقد قال تعالى " وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ " [٢] ، وقال : " فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ" [٣]

وجاء في فتوى لدار الإفتاء المصرية [٤] بشأن استعمال العقاقير النجسة أو التي يخالطها نجاسة بجواز التداوي بالدواء النجس المستخرج من النجس إذا عدم ما يحل محله من الطاهرات وذلك بمعرفة أهل الاختصاص بما لا يسبب ضررا على حياة الإنسان ، قال العلامة ابن عابدين في حاشيته : (يجوز للعليل شرب البول والميتة والدم للتداوي إذا أخبره طبيب مسلم أن فيه شفاءه ، ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه) [٥]

---

(١)بدائع الصنائع – للكاساني ج١٠ – ص٤٥٢ – طبعة دار الكتب العلمية ، المجموع للنووي ج٢ ص ٥٩٦ – طبعة مكتبة الإرشاد ، مواهب الجليل ج١ ص٣١٧ – طبعة دار الفكر .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١١٩.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٧٣.

(٤)دار الإفتاء المصرية – فتوى بعنوان (استعمال العقاقير التي يخالطها النجاسات) لفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢٨ م – رقم مسلسل (٣٤٥١).

(٥)حاشية ابن عابدين – سبق ذكره – ٢١٥/٤.

وقال الخطيب الشربيني : (أما الترياق المعجون بها – أي بالخمر – ونحوه مما تستهلك فيه وتستخرج منه يجوز التداوي به عند فقد ما يحصل به التداوي من الطاهرات كالتداوي بنجس كلحم حية ، وبول) [١]

وقال الإمام الهيتمي : أما مستهلكه – يعني الخمر – مع دواءٍ آخر فيجوز التداوي بها كصرف بقية النجاسات إن عرف أو أخبره عدل طب بنفعها وتعيينها) [٢]

وبناءً على ذلك :

فالمسلم إذ دخل بلاد غير المسلمين فبايعهم الخمر والخنزير والميتة وتداوى بها وعقد معهم من المعاملات ما لا يجوز مثله في دار الإسلام فلا بأس بذلك ، هذا ما تضمنته فتوى دار الإفتاء المصرية [٣] بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢٨ م ردا على التاجر الروماني الذي أقام في مطعم قسما لبيع الخمور حيث كان الجواب : " إن السادة الأحناف يجيزون التعامل مع غير المسلمين في ديار غير المسلمين بالعقود الفاسدة إذا كان برضاهم وبطيب نفس منهم كبيع الخمر والخنزير وغيرها ما شابه من المعاملات الفاسدة ، بل إن أبي حنيفة لم ينفرد بهذا الرأي فقد وافقه في ذلك بعض الأئمة الكبار وحسبنا من هؤلاء (إبراهيم النخعي ، وسفيان الثوري ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، والكاساني ، والسرخسي ، وابن رشد ، وابن تيمية الجد ، وابن تيمية شيخ الإسلام ، وابن مفلح ، وأبو الحسن اللخمي ،

---

(١)مغني المحتاج – سبق ذكره – ٢٣٤/٤.

(٢)تحفة المنهاج بشرح المنهاج للهيتمي – سبق ذكره – ١٧٠/٩.

(٣) فتوى دار الإفتاء المصرية – بشأن العقود الفاسدة في بلاد غير المسلمين بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢٨ المقيدة برقم ٢٠٦ لسنة ٢٠٠٩ م .

ورواية عن الإمام أحمد ، ورواية عن الإمام مالك .... ، وغيرهم ، وحجتهم في ذلك حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " لَا بَأْسَ بِالدِّينَارِ بِالدِّينَارَيْنِ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ أَهْلِ الْحَرْبِ " [١] ، ونقل عن الإمام الليث قال : (إنما الصلح بيننا وبين النوبة على أن لا نقاتلهم ولا يقاتلونا، وأنهم يعطوننا دقيقا ونعطيهم طعاما، قال: وإن باعوا أبناءهم لم أر بأسا على الناس أن يشتروا منهم) [٢]

كما استدلوا أيضا بأدلة أخرى تجيز التعامل في ديار غير المسلمين بالعقود الفاسدة منها : مرسل مكحول عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال " لا ربا بين المسلمين وأهل الحرب في دار الحرب " [٣].

---

(١)شرح مشكل الآثار – المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) – تحقيق: شعيب الأرنؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م – ٢٤٩/٨.

(٢)الأموال– المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) – المحقق: خليل محمد هراس – الناشر: دار الفكر. – بيروت– ١٩٣/١.

(٣)نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي – المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ) – صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري – المحقق: محمد عوامة – الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر–بيروت –لبنان – دار القبلة للثقافة الإسلامية– جدة – السعودية– – الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م – ٤٤/٤.

وأسند البيهقي في المعرفة عن الشافعي، قال: قال أبو يوسف: إنما قال أبو حنيفة هذا لأن بعض المشيخة حدثنا عن مكحول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا ربا بين أهل الحرب"، أظنه قال: "وأهل الإسلام"(١)

وللمكلف تقليد من أجاز شيئا وقع فيه الخلاف إذا كان العمل برأي المانع والمحرم سيسبب ضيقا ومشقة تنزل عليه انطلاقا من (المشقة تجلب التيسير)

ثانيا : بيع الأحجار الكريمة وقد يظنها البعض من الأصنام

صورة المسألة :

تعيش الأقلية المسلمة في منطقة (شينجانغ الواقعة في شمال الصين) في فقر وهذه المدينة تعد من أفقر المدن إلا أن الله – سبحانه وتعالى – وهبها ثروة طبيعية معدنية من الأحجار الكريمة وغيرها فمن البديهي أن يوجد بها استثمار لهذه الثروة ، وبالتالي وصل عدد المزاولين من المسلمين وهم أقلية إلى ما يزيد عن عشرين ألفا ، هذا ما عدا المنتفعين منها – وعلى هذا فهم على ثلاثة أقسام :

١- **الأيدي العاملة :** ويقوم هؤلاء بحف وتنقيب المعادن مقابل أجور لمالكي المعادن.

(١)المعرفة في كتاب معرفة السنن والآثار – المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) – المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي – الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي – باكستان)، دار قتيبة (دمشق –بيروت)، دار الوعي (حلب – دمشق)، دار الوفاء (المنصورة – القاهرة) – الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م. ٢٧٦/١٣.

٢- **الوسطاء :** وقوم هؤلاء بشراء الأحجار المستخرجة من المعادن ويبيعونها للناقلين .

٣- **الناقلون :** ويقوم هؤلاء بشراء الأحجار الكريمة من الوسطاء وأحيانا من مالكي المعادن مباشرة .

والمسلمون في هذه المنطقة يمتهنون ويزاولون هذه المهنة فما الحكم فيها ..؟

الحكم على المسألة :

اختلف أهل العلم في حكم بيع ما تقصد به المحرم كبيع الخشب لمن يتخذه آلة للهو أو صليبا وحجارة لمن يتخذها تماثيل على قولين :

القول الأول : أن ذلك حرام ولا يجوز ، لما فيه إعانة على المنكر والله تعالى قال : "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" (١) قال بهذا جماهير العلماء من المالكية والشافعية في أصح القولين والحنابلة والظاهرية .

القول الثاني : إن ذلك جائز ، وبه قال الإمام أبو حنيفة فيما لا يتحقق فيه معنى الإعانة على المعصية ، وبه قال بعض الشافعية واستدلوا : بأن الأصل في المعاملات والبيوع الحل قال تعالى : (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (٢) ، وقالوا وما كان من معصية فهو من فعل المشتري (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (٣) فلا يؤثر ذلك على صحة البيع وجوازه .

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٢.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٧٥.

(٣)سورة الإسراء آية رقم ١٥.

والذي يترجح لي : من هذين القولين هو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني ، ومما يزيد الترجيح ما جاء في الفتوى المقدمة لدار الإفتاء المصرية بشأن هذا السؤال حيث كانت الإجابة ما نصه : (لا مانع شرعا من التجارة في هذه الأحجار ولا يضر التجار أن يقوم النحاتون بنحت هذه الأحجار أصناما وغيرها ، لأن الأحجار كما تنحت صنما يمكن أن تنحت شيئا آخرإذن فالحل والحرمة لا يقعان على عاتق من يقوم بعملية النحت ولا على من يقوم بعملية الاستخراج والبيع والوساطة بل على من يستخدمها [١]

وإذا كان إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الأقليات في القانون الدولي يسمح لهم بالملكية وكذا استخدام الموارد الطبيعية وملكية الثروات الطبيعية فلم التضييق لطالما أن السيادة القانونية التي يعيشون تحتها تسمح بذلك [٢] ، وفي هذا الشأن يرى فضيلة الإمام محمد عبده : جواز الصور والرسوم والنحت والتماثيل ، وبين أنها صحيحة شرعا ، وأسس رأيه في ذلك على دليلين : أحدهما عقلي ، والآخر قائم على المصلحة .

أما العقلي : فإنه لا يتصور عقلا الآن في هذه البلاد وما فيها من حضارة ورقي أن يقوم الرسام أو من يقتني تمثالا بتعظيمه لحد العبادة ، حيث إن معنى العبادة وتعظيم التماثيل والصور في نظر الإمام قد محي من الأذهان ، وأن المقصود

---

(١)فتوى دار الإفتاء المصرية برقم ٢٦٥٤ بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢٨ لفضيلة مفتي الجمهورية الأستاذ الدكتور / علي جمعة .

(٢)حقوق الأقليات في القانون الدولي – ميرفت رشماوي – ترجمة فابيولادينا – ص٤ ، ٥ ، ومالآت الأفعال وأثرها في فقه الأقليات – الأستاذ الدكتور : عبد المجيد النجار ص٣٨ بتصرف .

بالحديث "إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ"[١] ، فإن هذا الحديث جاء أيام الوثنية حيث كانت الصور والتماثيل تتخذ حين ذاك للهو والتبرك والعبادة وأما المصلحة : فالشريعة أبعد من أن تحرم وسيلة من وسائل العلم والابتكار والفن بعد التحقق من أنها لا خطر منها على الدين ، لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل إذ الشريعة تراعي مصلحة البشر وتنطبق على مصالح الخلق في كل زمان ومكان مهما تغيرت أساليب العمران ، هذا شأنها لا تنحصر جزئيات أحكامها لأنها تتعلق بأحوال البشر ما وجدوا على أساس حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، وقد استخرج الفقهاء والأئمة القواعد الكلية والأحكام الجزئية وبنوها على أساس هذه الأصول ، ومنها أن المشقة تجلب التيسير وأن الأمر إذا ضاق اتسع ... [٢]

صورة من تعامل الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين في الإجارة :

تعامل الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين في إجارة المنافع والدور

(أ) صورة المسألة :

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢١٠٩) ١٦٧٠/٣ ، والإمام أحمد في مسنده ، وقال : إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم (٣٥٥٨) ٢٣/٦ ، ومسند أبي يعلىالمؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) – المحقق: حسين سليم أسد–الناشر==دار المأمون للتراث – دمشق – الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ برقم (٥١٠٧) ، وقال إسناده صحيح من طريق عبد العزيز، بهذا الإسناد ٤٣/٩.

(٢)فتاوى : دراسة نقدية لفتاوى الإمام محمد عبده – د. فايز محمد حسين – منشور في العدد ١٠٠ لسنة ٢٠٠١ م – لبنان – مجلة المسلم المعاصر بتصرف.

الأقليات التي تعيش في البلاد الغربية تسمح لهم الحكومة والقانون بتأجير المساكن والدور ، وتسمح لهم أيضا بنظام تأجير الغرف داخل السكن الواحد بمعنى أن من يمتلك أو يستأجر شقة يحق له أن يؤجر غرفة منها أو غرفتين لأشخاص آخرين من جانب آخر ، وهذه الصورة يفعلها من يستطيع أن يؤدي إيجاره بنفسه وبدخله المحدود بالكاد لكي يتجنب غلاء الإيجار الباهظ الثمن فيقومون بتأجير غرفة أو أكثر من الشقة لمؤجرين آخرين غير مسلمين لكي يخفف عنهم أعباء المعيشة.

الحكم على المسألة والترجيح :

تأجير المسلم عقاره لغير المسلم في بلاد غير المسلمين له حالتان :

(١) أن يتم العقد في الأصل على منفعة مباحة كالسكن وغيرها من الأمور المباحة ، فيجوز للمسلم إبرام العقد ولا حرج عليه في ذلك ، وإن أحدث المستأجر غير المسلم معصية أو جاهر بها فالعقد صحيح ، لأنه لم يعقد في الأصل على هذه المعصية ، وإنما كانت تابعة للسكنى ، والتابع يأخذ حكم الأصل ، والأصل في المعاملات الحل ، ولم يرد دليل في الشرع ينهى عن تأجير غير المسلمين بل وردت أحكام تبيح التعامل معهم بيعا وإجارة وشركة وهبة ورهنا وغير ذلك مما يدل على أن الأصل في التعامل مع غير المسلمين في المعاملات الإباحة ، وقد عامل النبي – صلى الله عليه وسلم – أهل الكتاب في عدة وقائع ولم يتحرج من ذلك ، وأجر عليٌّ – رضي الله عنه – نفسه على يهودي وجرى عمل المسلمين على ذلك .

وقد ذكر الإمام ابن القيم فصلا أسماه (إجارة دار المسلم لأهل الذمة) .

قيل لأبي عبد الله : الرجي يكري منزله من الذمي ينزل فيه وهو يعلم أنه يشرب فيه الخمر ويشرك فيه فقال ابن عون : (كان لا يكري إلا من أهل الذمة يقول : يرعبهم قيل له : كأنه أراد إذلال أهل الذمة بهذا ؟ قال : لا ، ولكنه أراد أنه كره أن يرعب المسلمين يقول إذا جئته أطلب الكراء من المسلم أرعبته فإذا كان ذميا كان أهون عنده ، وجعل أبو عبد الله يعجب من ابن عون فيما رأيت [١] ، ونقل عنه : سألت أحمد الرجل يكري المجوسي داره أو دكانه وهو يعلم أنهم يربون ، فقال : كان ابن عون يرى أن يكرى غير المسلمين [٢]

ويقول الإمام السيد محمد رشيد رضا : (ولا نعلم أن أحدا من أئمة الفقه اشترط في صحة إجار الدار أن يكون المستأجر مسلما من الصالحين المتقين لئلا يرتكب فيها محرما)

فالتأجير لغير المسلم ، وللمسلم الفاسق جائز بالإجماع ، وإننا نرى وزارة الأوقاف بمصر ، ونظار الأوقاف الخاصة في هذه البلاد وغيرها من بلاد الإسلام يؤجرون الدور الموقوفة للمسلمين وغير المسلمين ولا يبحثون عن عقائدهم ، ولا يفتشون عن أعمالهم ، وأوقاف المساجد والأعمال الخيرية والدور والفنادق الكبرى في مصر يستأجرها ، ويدير نظامها أناس ليسوا من المسلمين ، ولا من دار الإسلام ، لا سيما وقد نص الفقهاء على أن غير المسلم لا يكلف مراعاة الأحكام الشرعية الإسلامية المدنية في غير دار الإسلام كشروط البيع والإجارة والشركات .

---

(١)أحكام أهل الذمة لابن القيم ٥٧٨/١.

(٢)المرجع السابق ٥٧٩/١.

فكيف بالدول الغربية ذات الأحكام المدنية ، تلك الأحكام التي ليست على الشريعة الإسلامية والسلطة فيها ليست في أيدي المسلمين ، هذا وإن أكثر أحكام المعاملات المدنية في الشريعة الإسلامية اجتهادية مبنية على ضبط المعاملات التي تدور على حفظ المصالح ودرء المفاسد.

وقد أفتى الفقهاء بحل جميع أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها ، فما كان برضاهم أو عقودهم فهو حلال لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح ، ويجري على هذا مسلموا الغرب والأقطار الأخرى كالصين وبلاد الهند فيما بلغنا ، ومن أفظع الجهل بأحكام شريعتنا وحكمها ومقاصدها أن نجعلها وهي الحنيفية السمحة التي غايتها سعادة الدارين سببا لشقاء المسلمين والتضييق عليهم وفقرهم واستيلاء غيرهم على ثرواتهم في دارهم وغير دارهم وهم يعلمون أن جميع الأحكام المالية حتى الدينية منها كالزكاة لم تشرع إلا بعد أن صار للمسلمين دار تنفذ فيها أحكامها بعد الهجرة النبوية [١].

وهذا حجة الإسلام (الغزالي) من أكبر فقهاء الشافعية وصوفية المسلمين الورعين قد أفتى بأن المال إذا حرم كله في بلد ، أو قطر حل كله .

وقال : إن البلاد التي يغلب ، أو يعم المال الحرام بالمعاملات الباطلة والفاسدة لا يؤخذ فيها بقول من قال : إنه يتعدى بل يكفي المسلم الورع فيه أن يأخذ المال من طريق حلال وإن كان أصله حراما [٢]

---

(١)مجلة المنار – السيد محمد رشيد رضا – ١٦١/٢٨ بتصرف.

(٢)إحياء علوم الدين – الإمام الغزالي – كتاب الحلال والحرام – دار المعرفة بيروت ١٠٧/٢ بتصرف.

(٢) أن يكون العقد في الأصل على منفعة محرمة كدار لصناعة الخمر أو إشاعة الزنا أو كنيسة أو نحو ذلك :

جاء في الشرح الكبير [١] : (وجملة ذلك إن من شرط صحة الإجارة أن تكون المنفعة مباحة فإن كانت محرمة كالزنا والزمر والنوح والغناء لم يجز الاستئجار لفعله ، وبه قال مالك والشافعية.

وجاء في شرح منهى الإرادات [٢] : ولا تصح إجارة دار لتعمل كنيسة أو بيعه أو صومعة راهب أو بين نار لتعبد المجوس أو لبيع خمر أو لقمار ونحوه سواء شرط ذلك في العقد أو علم بقرينة.

وجاء إذا استأجر ذمي من مسلم دارا على أنه سيتخذها كنيسة أو حانوتا لبيع الخمر ، فالجمهور (المالكية والشافعية والحنابلة) ، وأصحاب أبي حنيفة على أن الإجارة فاسدة لأنها على معصية ، وانفرد الإمام (أبو حنيفة) بالقول بالجواز معللا أن العقد وارد على منفعة البيت مطلقا ، ولا يتعين على المستأجر اتخاذها لتلك المعصية وفي هذا التعليل [٣] أن غير المسلم إذا استأجر من

(١)فتح العزيز بشرح الوجيز – الشرح الكبير في الفقه الشافعي لأبي حامد الغزالي – تأليف عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني – الناشر : دار الفكر ٢١٢/١١.

(٢)دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات – البهوتي – عالم الكتب – ط١ – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م – ٢٥٠/٢.

(٣)كشف الحقائق ٣٩٦/١ ، والبدائع ١٧٦/٤ : ١٨٩ ، وحاشية ابن عابدين ٣٤/٦ ، والمغني ١٣٦/٦ ، وكشاف القناع ٤٦٣/٣.

المسلم دارا للسكنى مثلا ثم اتخذها كنيسة أو معبدا فالإجارة انعقدت بلا خلاف والمسلم له أن يمنعه [١]

وعلل الإمام (أبو حنيفة) أيضا إجارة بيت لاتخاذه كنيسة أو لبيع خمر فيه في بلاد غالب أهلها أهل الذمة لأن الإجارة تقع على منفعة البيت ، ولهذا تجب الأجرة بمجرد التسليم ، ولا معصية فيه ، وإنما المعصية بفعل المستأجر وهو مختار في فصله [٢]

الترجيح :

وعليه فيجوز تأجيرهم السكن دون التدخل في شئونهم وأموالهم الخاصة التي اصطلحوا عليها وأبيحت في دينهم وبلادهم (كما علل الإمام أبو حنيفة) بل وقانونهم الذي رخص لهم في ذلك وليس من شروط العقد التحقق والنظر في علاقتهم الشخصية لأننا لم نكلف شرعا بالنظر فيها إذ كون مدار أحكام المعاملات على المصلحة ، وقد صرح ابن عابدين بقوله : (ولو أظهر المستأجر في الدار الشر كشرب الخمر ، وأكل الربا والزنا واللواط يؤمر بالمعروف وليس للمؤجر ولا لجيرانه أن يخرجوه ، ولا يصير هذا عذرا في الفسخ ولا خلاف فيه [٣] ، ذلك لأن تصرفات المستأجر غير المشروعة أثناء تمتع

---

(١)الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف الكويتية – ط٢ – دار السلاسل – الكويت – من ١٤٠٤ : ١٤٢٧ – عدد الأجزاء ٤٥ جزءًا ٢٨٦/١.

(٢)الفقه الإسلامي وأدلته – د.وهبة الزحيلي – دار الفكر – سورية – دمشق – ط٤ – ٢٦٨٨/٤ بتصرف.

(٣)حاشية ابن عابدين – رد المحتار ٨١/٦.

المستأجر بالمنافع لا تكون عيبا يوجب الفسخ ، وإنما العيوب الموجبة للفسخ من طرف المؤجر هي التي تشكل ضررا بعين الذات المؤجرة .

قال خليل في مختصرة في سرده للمسائل التي لا تفسخ فيها الإجارة : (وإن فات مقصده أو فسق مستأجر ...) [١]

ونص (الكاساني) حيث قال : (وإسلامه في الإجارة ليس شرطا فتجوز الإجارة والاستئجار من المسلم والذمي والحربي ....) [٢]

ويفهم من الكلام أن الإجارة تامة وصحيحة بين المسلم وغيره الذي قد يتخذ العين في ممارسة شعائره الغير مشروعة عندنا [٣]

وقال الإمام أبو حنيفة : إن كان بيتك في السواد فلا بأس أن يؤجره لذلك ، وقال أصحاب الرأي : إن كان بيته في السواد والحيل فله أن يفعل ما يشاء [٤]

وجاء في البيان والتحصيل : (وسئل – أي ابن القاسم – عمن يكري دابته إلى الكنيسة أو يبيع شاته لمن يذبحها لأعياد غير المسلمين . فقال : وأما كراء الدابة وبيع الشاة فإنه يمضي ولا يرد ، وقال : أرى أن تباع بمنزلة شرائه العبد المسلم

---

(١)مختصر العلامة خليل – المؤلف: خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفى: ٧٧٦هـ) – المحقق: أحمد جاد – الناشر: دار الحديث/القاهرة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م١/٢٠٦ .

(٢)الكاساني – بدائع الصنائع – سبق ذكره – ١٧٦/٤ : ١٩٠بتصرف.

(٣)مقاصد المعاملات ومراصد الوقعات – ابن بيه – مؤسسة الفرقان – ط٣ – ٢٠١٣ م – ص١٨٤ بتصرف.

(٤)المغني لابن قدامة – سبق ذكره – ٤٠٨/٥.

وممن قال بعدم فسخ الكراء في البيت المؤجر لمن يتخذه في بيع الخمر وغيره (ابن حبيب) من المالكية قائلا : (إنه إذا أكرى لمن يعلم أنه يبيع فيه الخمر لم يفسخ الكراء) [١]

ولقد فرق العلماء بين التعامل مع غير المسلمين ، فيجوز ، ومع غيرهم فلا يجوز ، وهذا يفهم من كلام ابن رشد حيث يقول في البيان والتحصيل : (وسئل مالك في بيع الجزرة (وهي الواحدة من الإبل) من غير المسلم وهو يعلم أنه يريدها للذبح لأعيادهم في كنائسهم فكره ذلك ، فقيل له أيكرون الدواب والسفن إلى أعيادهم فقال : يتجنبه أحب إلي ، وسئل ابن القاسم عن الكراء فقال : ما أعلمه حراما

قال محمد بن رشد : وهذا كما قالا : إن ذلك مكروه وليس بحرام لأن الشرع أباح جملة البيع والشراء منهم والتجارة معهم ، وإقرارهم ذمة للمسلمين على ما يتشروعون به في دينهم في الإقامة لأعيادهم لكونهم غير مخاطبين بالشرائع ، وهذا القول مبني على عدم مخاطبتهم بفروع الشريعة كما صرح ابن رشد [٢] وصرح به الزقاق حيث قال :

هل خوطب الكفار بالفروع * عليه كالوطء لذي الرجوع**

والغسل والكرا وإحداد طلاق * وغرم كالخمر وتحليل عتاق**

---

(١)البيان والتحصيل لابن رشد القرطبي – سبق ذكره – ٣٩٤/٩ : ٣٩٦.

(٢)المرجع السابق ٢٧٦/٣.

يعني يقول (الكرا) كراء الدابة لغير المسلم يركبها ويقاس عليها غيرها. [١]

ونقل عن ابن العربي : (أنه لا خلاف في مذهب مالك بجواز معاملتهم مع رباهم واقتحام ما حرم الله سبحانه وتعالى عليهم فقد قام الدليل القاطع في ذلك قرآنا وسنة فقد عامل النبي – صلى الله عليه وسلم – اليهود، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير أخذه لعياله». وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه سئل عمن أخذ ثمن الخمر في الجزية والتجارة، فقال: ولوهم بيعها وخذوا منهم عشر أثمانها؛ والحاسم لداء الشك والخلاف اتفاق الأئمة على جواز التجارة مع أهل الحرب، وقد سافر النبي – صلى الله عليه وسلم – إليهم تاجرا،وسفره – صلى الله عليه وسلم – أمر قاطع على جواز السفر إليهم والتجارة معهم. فإن قيل: كان ذلك قبل النبوة. قلنا: إنه لم يتدنس قبل النبوة بحرام، ثبت ذلك تواترا، ولا اعتذر عنه إذ بعث، ولا منع منه إذ نبئ، ولا قطعه أحد من الصحابة في حياته ولا أحد من المسلمين بعد وفاته؛ فقد كانوا يسافرون في فك الأسرى، وذلك واجب؛ وفي الصلح كما أرسل عثمان وغيره، وقد يجب وقديكون ندبا، فأما السفر إليهم لمجرد التجارة فذلك مباح) [٢]

---

(١)شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب – للإمام المنجور أحمد بن علي المنجور المتوفى سنة ٩٩٥ هـ – إشراف د/ حمد بن حماد عبد العزيز الحماد – دار عبد الله الشنقيطي للطباعة والنشر –١/٢٦١ بتصرف.

(٢)أحكام القرآن – المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) – راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م – ١/٦٤٧ بتصرف.

وعليه :

فعقد الإجارة هذا لا تشوبه شائبة ، ذلك لأن العاقدان لا يشوب إرادتهما عيب والمعقود عليه ثمن ومثمن لا غرر فيه ولا خطر ، وإنما في استعمال محل العقد وهو أمر خارج عن العقد وليس منصبا على ماهيته ، فمذهب الشافعي كذلك على أصله في عدم الفسخ بالمآل ، ومما يشبه ذلك ما ذهبوا إليه من جواز إيجار الذمية على كنس المسجد [١]

وهذا هو الذي أختاره لملائمته مقاصد الشرع ، واعتماده على المصلحة التي بدونها يدخل المحتاج دائرة الضرر ، والشرع كلفنا رفع الضرر وإزالته الذي هو مقصد من مقاصد الشريعة ، وثبت ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة من جواز إجارة العقارات والدور إليهم في السواد أي في بلادهم لاتخاذها أماكن للعبادة ، وللمكلف تقليد من أجاز شيئا وقع فيه الخلاف إذا كان العمل برأي المانع والمحرم سيسبب ضيقا ومشقة عليه [٢] والله أعلم.

صور من تعامل الأقليات المسلمة مع غير المسلمين في الوكالة

الصورة الأولى : توكيل المسلم لغير المسلم في نكاح المسلمة:

اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول:

---

(١)نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٣/٤٧١.

(٢)مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات – لابن بيه – سبق ذكره ص ١٨٧ بتصرف ، وفتوى للدكتور علي جمعة بشأن العقود الفاسدة في بلاد غير المسلمين – قيد رقم ٢٠٦ لسنة ٢٠٠٩.

يرى عدم جواز توكيل غير المسلم في قبول نكاح المسلمة، وعللوا ذلك بأن غير المسلم لا يملك التزويج بالمسلمة فلا يصح أن يوكل في ذلك؛ ولأن النكاح فيه العبادة، وغير المسلم ليس من أهلها؛ ولأنه نوع ولاية، والكافر ليس له ولاية على المسلمة، وقد ذهب إلى هذا الشافعية والحنابلة والزيدية[١].

الرأي الثاني:

يرى جواز توكيل غير المسلم في قبول نكاح المسلمة، وعللوا ذلك بأن الملك يحصل في النكاح للزوج لا للوكيل، فتوكيل الذمي بمنزلة توكيله في تزويج المرأة بعض محارمها كخالها، فإنه يجوز توكيله في قبول نكاحها للموكل، وإن كان لا يجوز له تزوجها، وكذلك الذمي إذا توكل في نكاح المسلمة، وقالوا: إنه إذا تم العقد فإنه ليس على بطلانه دليل شرعي، وقد ذهب إلى هذا الحنفية والمالكية وابن تيمية[٢].

الراجح : بعد استعراض الأقوال يرى الباحث أن الأخذ بما ذهب إليه أصحاب الرأي الثاني من صحة توكيل المسلم غير المسلم في بلاد غير المسلمين في قبول نكاح المسلم وهو الأقرب إلى الصواب لأن غير المسلم يصح منه النكاح

---

(١)مغني المحتاج – سبق ذكره – ج٢ ص٢٣٢، وحاشيتا قليوبي وعميرة– سبق ذكره – ج٣ ص٢٢٢، المغني – سبق ذكره –ج٤ ص١٩٩، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) – دار ابن حزم– ط١ – ج١ ص٧٨٨.

(٢)بدائع الصنائع للكاساني – سبق ذكره – ج٦ ص٢٠، ٢١، وحاشية الدسوقي– سبق ذكره – ج٣ ص٣٨٧.

بالجملة – كما أنه لا ولاية في ذلك لأن الولاية تكون في حق المرأة لا في حق الرجل – كما لا يوجد دليل شرعي على بطلان مثل هذه العقود.

ويقول أبو جعفر الحلي بعد نقله قول الإمامية [١] بعدم صحة هذا التوكيل (والذي يقوي في نفسي : أنه لا يمنع من وكالة الكافر مانع في الترويج ، لأنا لا نعتبر العدالة في الوكيل بغير خلاف ، ولأنه لا مانع صريح من كتاب أو سنة أو إجماع وليس للوكيل غير المسلم على المسلم سبيل فيدخل تحت قوله تعالى " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا " [٢]

كما أن الشافعية والحنابلة المانعين لتوكيل غير المسلم في قبول النكاح يجوزون هذه الوكالة في طلاق المسلمة وخلعها [٣]

يقول الإمام النووي : يجوز التوكيل في الخلع من جهة الزوج والزوجة لأنه عقد معاوضة فجاز التوكيل فيه كالبيع ، ويجوز أن يكون الوكيل منهما مسلما وكافرا وحرا وعبدا رشيدا ومحجورا عليه [٤]

ويقول ابن مفلح : (وإذا وكل في الطلاق من يصح توكيله صح طلاقه لأنه إزالة ملك فصح التوكيل فيه كالعتق ومعنى أنه يصح توكيله يحترز به عن الطفل والمجنون ، فلو وكل عبدا أو كافرا صح وجاز) [٥]

---

(١) السرائر ج٣ ص١٤٥ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٤١ .

(٣) أسنى المطالب ج٢ ص٢٦٥ ، وتحفة المحتاج ج٧ ص٢٥٧ ، والمبدع ج٦ ص٢٩٩ ، وكشاف القناع ج٥ ص٢٢٩ .

(٤) المجموع للنووي ج١٧ ص٣٤ .

(٥) المبدع ج٦ ص٢٩٩ .

مع أن بعض الشافعية يعللون جواز التوكيل بالطلاق دون النكاح أن غير المسلم يملك طلاق المسلم ، ويتصور : بأن أسلمت كافرة بعد الدخول فطلقها زوجها ثم أسلم في العدة فإن لم يسلم فيها تبين بينونتها منه بإسلامها ولا طلاق [١]

الصورة الثانية: توكيل المسلم لغير المسلم في شراء الخمر والخنزير له:

اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول:

يرى أنه لا يجوز للمسلم أن يوكل غير المسلم في شراء خمر أو خنزير له، وإذا تم البيع فإنه يكون باطلا.

وذلك لما روي عن جابر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ [٢] ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ "[٣].

وجه الدلالة:

---

(١) أسنى المطالب ج٢ ص٢٦٥ ، وتحفة المحتاج ج٧ ص٢٥٧.

[٢] قَوْلُهُ فَجَمَلُوهَا بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالْمِيمِ أَيْ أَذَابُوهَا يُقَالُ جَمَلَهُ إِذَا أَذَابَهُ وَالْجَمِيلُ الشَّحْمُ الْمُذَابُ – فتح الباري لابن حجر – سبق ذكره – ج٤ ص٤١٥.

[٣] صحيح البخاري (٣/ ٨٤)رقم ٢٢٣٦ ، كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، عدد الأجزاء: ٩.

هو أن من وكل في بيع الخمر وأكل ثمنه فقد أشبههم في ذلك[١]، وأيضا لأن حقوق العقد ترجع للموكل وليس للوكيل، فترجع للمسلم، وهذه الأشياء ليست بمال متقوم بالنسبة للمسلم، فلا يملكها؛ لأنها محرمة عليه شرعا، وقد ذهب إلى ذلك المالكية والشافعية والحنابلة "[٢].

الرأي الثاني:

وهو للحنفية ، وقد ذهبوا إلى أنه يجوز للمسلم أن يوكل غير المسلم في شراء الخمر أو الخنزير به؛ وذلك لأن حقوق العقد تتعلق بالوكيل، وقد ذكروا مثالا على ذلك فقالوا: إذا اشترى الوكيل شيئا بأكثر من ثمنه دخل في ملك الوكيل، ولم ينتقل إلى الموكل، وعلى ذلك فيقع الخمر والخنزير لغير المسلم؛ لأن الخمر والخنزير مال لهم؛ لأنهم يتمولونها ويتبايعونها، فصح توكيلهم فيها

(١) المغني لابن قدامة – سبق ذكره – ج٤ ص١٦٩.

(٢)شرح الزُّرقاني على مختصر خليلومعه: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني – عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني المصري (المتوفى: ١٠٩٩هـ) – ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– ط١ – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م –ج٦ ص ١٤٩، والمجموع شرح المهذب – سبق ذكره – ج١٤ ص١٢١ ، ومغني المحتاج – سبق ذكره –ج٣ ص٢٣٢، والمغني لابن قدامة – سبق ذكره – ج٤ ص١٦٩.

كسائر أموالهم[١]؛ لأن عمر – رضي الله عنه – أجاز لغير المسلم بيع الخمر، فقال لعماله: " ولهم بيعها، وخذوا أنتم الثمن "[٢].

الترجيح:

الراجح من هذه الأقوال أنه لا يجوز للمسلم أن يوكل غير المسلم في شراء الخمر والخنزير له؛ وذلك لأن الإسلام يحرم هذه الأشياء، لما فيها من الأضرار، فكيف يحرمها ويبين أضرارها ثم يبيح التعامل بها، وكذلك لأن كل ما لا يجوز للمسلم العقد عليه لا يجوز أن يوكل فيه، كتزويج المجوسية، وبهذا خالف سائر أموالهم، ولا نسلم أن حقوق العقد تتعلق بالوكيل، إنما تتعلق بالموكل[٣].

وعلى ذلك فلا يجوز للمسلم أن يوكل في شراء الخمر والخنزير.

صورة من تعامل الأقليات المسلمة مع غير المسلمين في القرض :

الاقتراض لشراء المساكن في بلاد غير المسلمين :

صورة المسألة :

تشيع في بلاد غير المسلمين ظاهرة شراء البيوت عن طريق التمويل البنكي ، وذلك أن يتقدم طالب السكن أو الشراء إلى أحد البنوك ليقرضه قيمة البيت فيسددها إلى البائع ويتقاضى منه هذا القرش أقساطا شهرية بفوائد ، أو يجد المسلم في بلاد غير المسلمين نفسه أو أسرته في أحياء سكنية مخصصة

---

(١)بدائع الصنائع للكاساني – سبق ذكره – ج٦ ص٢٠ ، ٣٣، والمجموع شرح المهذب – سبق ذكره – ج٩ ص٢٢٥ ، والمغني لابن قدامة – سبق ذكره – ج٤ ص١٦٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المغني لابن قدامة – سبق ذكره –ج٤ ص١٦٩.

للمهاجرين من جميع الجنسيات وعنده أولاد وبنات يخشى عليهم إن تربو في مثل هذه الأوساط التي يخالطون فيها أبناء هؤلاء المهاجرين في المدارس والشوارع ونحوها قد ينتهي حالهم إلى تورط أبنائهم في عادات وتقاليد بيئية سيئة من تناول المخدرات وانتشار الجريمة ونحوها من جهة ، وما قننته بعض الدول وشرعته وجعلته قانونا متبعا في شراء البيوت عن طريق التمويل البنكي كان من أبرز من قنن هذا الأمر هو نابليون بونابرت ١٨٠٤ م ليستمر الأمر إلى يومنا هذا في بلاد الأقليات.

إذا : فالمسلم إما أن يجد نفسه في حال اضطرار لذلك ، فربما انسدت أمامه سبل التمويل لتحقيق مطلب ضروري كالسكن إلا سبل الاقتراض الربوي ، وحينئذ إن امتنع عن هذه المعاملات فإنه سيجد نفسه في حرج شديد يتعلق بضرورات الحياة والشرع دعا إلى رفعه ، وإما أن يمتنع عن كل المعاملات المحظورة شرعا فيفضي به الأمر إلى حرمانه من الاستفادة بما توفره الدولة والقانون وخاصة فيا يتعلق بالتعامل المالي ، بالإضافة إلى النظرة التحقيرية الاستقصائية إن لم تكن عدائية من قبل السلطة الحاكمة من جهة ومن قبل الهيئة الاجتماعية من جهة أخرى مما قد يكون سببا في تبليغ صورة سيئة عن الإسلام الذي تمثله هذه الأقلية المسلمة ، وإن المقصد الذي يؤول إليه هذا التصرف مقصد مخالف لحفظ ضروري من الضرورات ألا وهو (حفظ الدين) [١]

---

(١) فقه النوازل للأقليات المسلمة – د.محمد يسري –سبق ذكره – ص٨٥١ ، وفقه النوازل في العالم الغربي – أ.د.الحسين بن محمد شواط – رئيس الجامعة الأمريكية بواشنطن ص١١ ، والأقليات المسلمة وتغير الفتوى (أوربا نموذجا) ص٥٠ ، مآلات الأفعال وأثرها في فقه الأقليات المسلمة – د.عبد المجيد النجار ص٣٩ بتصرف .

وعليه : فالحكم الذي سوغه بعض الفقهاء المعاصرين العمل بهذه العقود وفق ضوابط وضعوها اعتمادا على ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – من جواز أخذ الربا من الحربي في دار الحرب .

وقال الشيخ مصطفى الزرقا – رحمه الله – : (لا بأس بأخذ قرض من البنك لقاء فائدة لأجل شراء بيت نتيجة تملك البيت في نهاية تسديد القرض مع الفائد)[١]

وجاء في البيان الختامي لرابطة علماء الشريعةبأمريكا ما يلي :

(إن الطريقة المتاحة حاليا في تملك السكن عن طريق التسهيلات البنكية ، ذهب أكثر المشاركين إلى جوازها – للحاجة التي تنزل منزلة الضرورة ، ولدفع المفاسد الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والدينية ، وتحقيق المصالح التي تقتضيها المحافظة على الدين والشخصية الإسلامية) [٢] ، وجاء في بيان المجلس الأوروبي للإفتاء : (وإذا لم يكن إلا هذا فإن المجلس – في ضوء الأدلة والقواعد والاعتبارات الشرعية – لا يرى بأسا من اللجوء إلى هذه الوسيلة) [٣]

وهو قول الشيخ محمد رشيد رضا [٤]– رحمه الله – ، وأفتت به الهيئة العامة للفتوى بالكويت (لجنة الأمور العامة) المكونة من : الشيخ بدر المتولي عبد

---

(١) فتاوى الشيخ الزرقا ص ٦٢٠-٦٢٦ .

(٢) وقفات هادئة مع فتوى إباحة القروض الربوية لتمويل شراء المساكن في المجتمعات الغربية – د/ صلاح الصاوي – دار الأندلس – جدة – ص١٥ ، ١٦ .

(٣) قرارات وفتاوى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث – قرار (٧) (٤/٢) – قرارات الدورة الرابعة .

(٤) فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا ١٩٧٤/٢-١٩٧٨ .

الباسط ، والدكتور محمد سليمان الأشقر ، والدكتور محمد فوزي فيض الله ، والدكتور خالد المدكور ، والدكتور عبد الستار أبو غدة [١].

وهو قول الإمام أبي حنيفة ومحمد بن الحسن الشيباني ، والثوري ، والنخعي ، وعبد الملك بن حبيب ، ورواية عن الإمام أحمد ، ونقل عنه : أنه قال : (لا يحرم الربا في دار الحرب) [٢] ، وقيل إنه قول ابن تيمية [٣] .

وقال الزيلعي : (لا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب) [٤]

وقال ابن مفلح : (بإباحة التعامل بالربا بين المسلم والحربي ، وذكر معللا . لأن أموالهم مباحة من غير غدر أو خيانة) [٥]

وقال صاحب شرح السير الكبير : (وإذا دخل المسلم دار الحرب بأمان فلا بأس بأن يأخذ عنهم أموالهم بطيب أنفسهم بأي وجه كان) [٦] .

إذًا فالعقود الفاسدة ومنها الربا مع غير المسلمين في بلاد غير المسلمين لا بأس به ، وهذا من خلال ما اختاره السادة الحنفية ، وتسميتهم دار غير المسلمين بدار الحرب للتقسيم الذي كان شائعا في زمانهم ، وأما التقسيم الحديث بين

---

(١) فتاوى الهيئة العامة للفتوى بالكويت ، فتوى رقم (٤٢) – ٨٥/٤.

(٢)الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف– سبق ذكره – ٥٣/٥.

(٣) حاشية ابن عابدين ٤٢٢/٧ ، وبدائع الصنائع ١٣٢/٧ ، المبدع لابن مفلح ١٥٧/٤.

(٤) تبيين الحقائق للزيلعي ٩٧/٤.

(٥) المبدع لابن مفلح ١٥٧/٤.

(٦)شرح السير الكبير – المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) – الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات – الطبعة: بدون طبعة – تاريخ النشر: ١٩٧١م– ١٤٠٤/١.

علماء الإسلام هو بلاد المسلمين وبلاد غير المسلمين ، ولها نفس أحكام دار الحرب ، فمراد السادة الحنفية بدار الحرب هنا هو دار غير المسلمين مطلقا سواء كانت الحرب قائمة أم لا بدليل أن غالب الأدلة التي استدلوا بها كانت لدار كفر لا حرب فيها مثل : مكة قبل الهجرة ، ثم قال محمد : (ولو أن المستأمن فيهم – أي الحربيين – باعهم درهما بدرهمين إلى سنة ثم خرج إلى دارنا ثم رجع إليهم أو خرج من عامة ثم رجع إليهم ، فأخذ الدراهم بعد حلول الحول لم يكن به بأس) [١]

وقال السرخسي : بعد ذكره لمرسل مكحول – لا ربا بين المسلمين وبين أهل الحرب – وهو – أي مرسل مكحول – دليل لأبي حنيفة ومحمد – رحمهما الله – في جواز بيع الدرهم بالدرهمين من الحربي في دار الحرب ، وكذلك لو باعهم ميتة أو قامرهم وأخذ منهم مالا قمارا فذلك المال طيب له [٢]

وقال الإمام السرخسي : وحجتنا – السادة الأحناف في ذلك ما روينا وما ذكر عن ابن عباس – رضي الله عنهما – ، وغيره أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال في خطبته : (كل ربا كان في الجاهلية موضوع ، وإن الله – عز وجل – قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب ...) وهذا لأن العباس بعدما أسلم رجع إلى مكة وكان ربي ولا يخفى على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعله فلما لم ينهه دل ذلك على أنه جائز ، وإنما جعل

(١) شرح السير الكبير ١٤١/٤ : ١٤٨/٤ بتصرف .
(٢) المبسوط ٥٦/١٤ بتصرف.

الموضوع من ذلك ما لم يقبض حتى جاء الفتح إي فصارت مكة دار إسلام ..) [١]

وقال المرغيناني ، والكمال بن الهمام ، والحصكفي ، وابن عابدين (لا ربا بين المسلمين والحربي في دار الحرب ، وذكروا أن المسلم في دار الحرب له أن يأخذ مالهم بأي وجه كان بغير غدر ، لأن الغدر حرام) [٢]

وظاهر كلام السادة الحنفية أن الحكم عام في أخذ المسلم للربا في دار الحرب وإعطائه واستدلوا على ما ذهبوا إليه بأدلة منها على سبيل المثال :

١- ما ذكره مكحول عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " لا ربا بين المسلم وبين أهل الحرب في دار الحرب "

قال السرخسي : " وإن كان مرسلا فمكحول فقيه ثقة والمرسل من مثله مقبول (واستدل بهذا الخبر أيضا المرغيناني والكمال بن الهمام) [٣]

ويلاحظ أن الفقهاء ارتكزوا في آرائهم على قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) ، وهي قاعدة متفق عليها ، وهي مأخوذة من نصوص القرآن الكريم في خمسة مواضع منها :

قوله تعالى : " وقد فصل لكم ما حرم عليكم " [٤] ، وقوله تعالى : " فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم " [١] ومما لوحظ أن الفقهاء قرروا أن

---

(١) المبسوط ٥٦/١٤ بتصرف.

(٢) الهداية مع شرحها البناية ٣٨٤/٧ ، ٣٨٥ ، وفتح القدير ١٧٧/٦ ، والدر المختار مع حاشية ابن عابدين ١٨٨/٤.

(٣) المبسوط للسرخسي – سبق ذكره – ٥٦/١٤.

(٤) سورة الأنعام آية رقم ١١٩ .

الحاجة تنزل منزلة الضرورة خاصة أو عامة ، والحاجة هي التي إذا لم تتحقق يكون المسلم في حرج وإن كان يستطيع أن يعيش خلاف الضرورة التي لا يستطيع أن يعيش بدونها ، والله تعالى رفع الحرج عن هذه الأمة بنصوص القرآن الكريم كما قال سبحانه وتعالى : " وما جعل عليكم في الدين من حرج " [٢] ، وقال : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج " [٣]

والمسكن الذي يدفع عن المسلم الحرج وهو المأوى لحفظ الضرورات الخمس ، وهو الضروري للفرد والأسرة ، وقد امتن الله على عباده بذلك ، قال تعالى : " والله جعل لكم من بيوتكم سكنا " [٤]

وجعل النبي – صلى الله عليه وسلم – السكن الواسع عنصرا من عناصر السعادة فعن نافع بن عبد الحارث، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من سعادة المرء المسلم: المسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء "[٥] والمسكن المستأجر لا يلبي كل حاجة المسلم ولا يشعره بالأمان – وإن كان يكلف المسلم كثيرا بما يدفعه لغير المسلم من إيجار ويظل سنوات ولا يملك منه حجرا واحدا ، ومع هذا يظل المسلم عرضة للطرد من هذا المسكن ، وفي التمليك يمكنه أن يختار المسكن القريب من المسجد أو المدرسة الإسلامية بل وتتهيئ له

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٤٥.

(٢) سورة الحج آية رقم ٧٨.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٦.

(٤) سورة النحل آية رقم ٨٠.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ١١٦ – ٥٤/١ ، وقال الألباني (صحيح لغيره)

فرصة التقارب مع المجموعة المسلمة عسى أن تنشأ لها مجتمعا إسلاميا صغيرا داخل المجتمع الكبير.

وهناك إلى جانب هذه الحاجة الفردية لكل مسلم ، والحاجة العامة لجماعة المسلمين الذين يعيشون أقلية خارج دار الإسلام ، وهي تتمثل في تحسين أحوالهم المعيشية ، حتى يرتفع مستواهم ، ويكونوا أهلا للانتماء إلى خير أمة أخرجت للناس ، وتغدوا صورة الإسلام مشرقة أمام غير المسلمين ، كما تتمثل في أن يتحرر المسلمون من الضغوط الاقتصادية عليهم ليقوموا بواجب الدعوة ويساهموا في بناء المجتمع العام ، وهذا يقتضي ألا يظل المسلم يكد وينصب طوال عمره من أجل دفع قيمة إيجار بيته ونفقات عيشه .

ويرجع الأخذ بهذ المذهب لعدة اعتبارات منها :

(١) أن المسلم غير مكلف شرعا أن يقيم أحكام الشرع المدنية والمالية والسياسية نحوها مما يتعلق بالنظام العام للدولة أو القانون العام لها وخاصة في مجتمع لا يؤمن بالإسلام ، فهذا ليس في وسع المسلم ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، والربا هو من الأحكام التي تتعلق بهوية المجتمع ، وفلسفة الدولة واتجاهها القانوني في المجالي الاقتصادي والاجتماعي ...

(٢) أن المسلم إذا لم يتعامل بهذه العقود ومنها عقد الربا في ديار غير المسلمين خاصة سيؤدي ذلك بالمسلم إلى الضعف الاقتصادي والمفروض أن

الإسلام يقوي المسلم ولا يضعفه ،وينفعه ولا يضره ، ألم يقل النبي – صلى الله عليه وسلم – " الإسلام يزيد ولا ينقص " [١]

وقوله : " الإسلام يعلوا ولا يعلى عليه " [٢]

وهو إذا لم يتعامل بهذه العقود التي يتراضونها بينهم سيضطر إلى أن يعطي المسلم ما يطلب منه ولا يأخذ منه مقابله تنفيذا لبنود العقد ، وقد أكد المسلمون الذين يعيشون في بلاد غير المسلمين بالسماع المباشر لهم وبالمراسلة [٣] أن الأقساط التي يدفعونها للبنك أقل من الأجرة التي يدفعونها للمالك ، فلو لم يكن هذا التعامل جائزا على مذهب (أبي حنيفة) ومن وافقه لكان جائزا للحاجة التي تنزل منزلة الضرورة .

---

(١)سنن أبي داود (٣/ ١٢٦)رقم ٢٩١٢، كتاب الفرائض ، باب هل يرث المسلم الكافر؟ ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، عدد الأجزاء: ٤ ، وانظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٣٨٣)رقم ٨٠٠٦ ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م ، عدد الأجزاء: ٤ ، (درجة الحديث: إسناده ضعيف لانقطاعه، أبو الأسود الديلي –ويقال: الدؤلي، اسمه ظالم بن عمرو، وقيل غير ذلك– لا يعرف له سماع من معاذ، وقد اختلف فيه على عمرو بن أبي حكيم الواسطي كما سيأتي في تخريجه).

(٢)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى – المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م– ٣٣٨/٦ برقم ١٢١٥٥.

(٣) القرارات والفتاوى الصادرة من المجلس الأوروبي للإفتاء – قرار رقم ٧ (٤/٢) ص٣٥ بتصرف.

فعلى ما سبق تقديمه يكون الاقتراض من البنوك في بلاد غير المسلمين بالفائدة جائز لا حرمة فيه لاندماجهم في مجتمعاتهم وعدم الانعزال عنها مما يحفظ عليهم كيانهم ومصالحهم ويمكنهم من الدعوة إلى صحيح الدين من غير صدام ولا نزاع [١]

الصورة الثانية : القروض الطلابية لغايات استكمال الدراسة الجامعية في بلاد غير المسلمين

صورة المسألة :

يوجد في الغرب بنوك متخصصة في إقراض طلاب الجامعات بالفائدة ، والطلاب الجامعيون الذين يدرسون في بلاد غير المسلمين يتعاملون مع هذه البنوك ، ففي أمريكا تعتبر نفقات الدراسة باهظة لا يطيقها كثير من أولياء أمور الطلاب ، فمثلا : دراسة الطب في السنة الواحدة تكلف الطالب سبعين ألف دولار ، وتصل تكاليف دراسة الكلية الأخرى إلى عشرين ألف دولار ، والطالب الجامعي إما أن يترك دراسته في الجامعة لعدم تمكنه من دفع التكاليف ، وإما أن يلجأ إلى العمل بجانب الدراسة لتأمين نفقات الدراسة بنفسه ، وكلاهما مر ، لأن ترك الدراسة أمر يأباه العقل وتأباه الشريعة ، والتوفيق بين العمل والدراسة في هذه الأوساط أمر صعب جدا.

فليس أمام الطالب إلا أن يحصل على هذا النوع من القرض من هذه البنوك بفائدة . هذا في أمريكا .

---

(١) سؤالات الأقليات – سبق ذكره – ص ٢٧٦ – ٢٧٨ بتصرف.

أما في بريطانيا : فنجد أن نظام التعليم يختلف اختلافا كبيرا عما هو موجود في أمريكا ، فهو يرتبط بالحكومة ارتباطا كاملا من حيث التوجيه والمساعدة على نفقات الدراسة ، فالطالب الجامعي يحصل على ثلاثة أنواع من الدعم المالي وهي :

النوع الأول : دفع مبلغ من المال للطالب يساعده في أعباء الدراسة (غير مسترد)

النوع الثاني : دفع الرسوم الجامعية من الطالب للجامعة مباشرة على سبيل القرض ويسدد الطالب هذا المبلغ مع زيادة تقدر بقدر نسبة التضخم وقد تكون ما بين (٢ : ٥) % من قبل الطالب بعد تخرجه وحصوله على عمل ، ويكون قسط السداد مناسبا لراتب الطالب الشهري الذي يتقاضاه وفق القانون الحاكم الذي تخضع له الدولة وتخضع له الأقليات وفق المادة (٢٧) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على أنه (لا يجوز في الدول التي توجد فيها الأقليات ، أن يحرم الأشخاص الأقلية من الحقوق المدنية ومن حق التمتع بمميزات الدولة ، ويشير إعلان الأمم المتحدة للأقليات عام ١٩٩٢ على حماية وجود الأقلية والحظر من التمييز والعمل على المساواة أمام القانون [١]

(١) حقوق الأقليات في القانون الدولي – ميرفت رشاوي – المستشار القانوني لمنظمة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ومستشارة في حقوق الإنسان في الامانة العامة الدولية لمنظمة العفو ص٢ ، ٣ بتصرف يسير.

النوع الثالث : هناك مبلغ آخر من المال يمكن للطالب أن يقترضه من إدارة السلطات المحلية على سبيل القرض بفائدة [١]

الحكم على المسألة :

لقد ذهب الإمامان أبو حنيفة ومحمد إلى أنه لا ربا بين المسلم وغير المسلم في دار غير المسلمين ، وأن المسلم في تلك البلاد له أخذ أموالهم بأي وجه كان ، ولو بالعقد الفاسد كالقمار ، أو بيع الميتة والخمر ، أو الربا ، وغير ذلك مادام برضا أنفسهم ، وقال محمد : (وإذا دخل المسلم دار الحرب فلا بأس بأن يأخذ منهم أموالهم بطيب أنفسهم بأي وجه كان) [٢]

والمقصود بدا الحرب هنا هو دار غير المسلمين مطلقا سواء أكانت هناك حرب أم لا بدليل أن غالب الأدلة التي استدل بها الفقهاء كانت لدار كفر لا حرب فيها ، وهي مكة قبل الهجرة ، ولم تكن هناك في العالم دار حرب ، وصورة الدليل قطعية الدخول في الحكم إجماعا . ثم قال محمد : (ولو أن المستأمن فيهم – أي الحربيين – باعهم درهما بدرهمين إلى سنة ثم خرج إليهم ، أو خرج من عامة ثم رجع إليهم ، فأخذ الدراهم بعد حلول العام لم يكن به بأس) [٣]

---

(١) فقه النوازل الاقتصادية للمسلمين المقيمين في الغرب – د/ محمد عثمان شبير عضو مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ص٨.

(٢) شرح السير الكبير ١٤١/٤.

(٣) شرح السير الكبير ١٤٨/٤.

وقال السرخسي : بجواز بيع المسلم الدرهم بالدرهمين دليل أبي حنيفة ومحمد – رحمهما الله – وحجتهم (مرسل مكحول – لا ربا بين المسلمين بين أهل الحرب في دار الحرب) (١)

واستدل محمد – رحمه الله – بحديث بني قينقناع ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخْرِجَ بَنِي النَّضِيرِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَ بِإِخْرَاجِنَا وَلَنَا عَلَى النَّاسِ دُيُونٌ لَمْ تَحِلَّ، قَالَ: «ضَعُوا وَتَعَجَّلُوا»(٢) وقال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ(٣)

بين السرخسي وجه الدلالة فقال : ومعلوم أن مثل هذه المعاملة الربا المتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – : «ضَعُوا وَتَعَجَّلُوا» لا يجوز بين المسلمين فإن كان له على غيره دين إلى أجل فوضع عنه بشرط أن يعجل بعضه لم يجز ، كره ذلك عمر ، وزيد بن ثابت ، وابن عمر – رضي الله عنهم – لأنهم كانوا أهل

(١)المبسوط للسرخسي – سبق ذكره – ٥٦/١٤.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي – سبق ذكره – ٤٦/٦ برقم ١١١٣٧ ، والمستدرك على الصحيحينالمؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ – ٦١/٢ برقم ٢٣٢٥.

(٣)المستدرك على الصحيحين– سبق ذكره – ٦١/٢.

حرب في ذلك الوقت ولهذا أجلاهم ، فعرفنا أنه يجوز بين المسلم وغير المسلم ما لا يجوز بين المسلمين [١].

وما قاله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " وَإِنَّ كُلَّ رِبًا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَإِنَّ اللَّهَ قَضَى أَنَّ أَوَّلَ رِبًا يُوضَعُ، رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ، وَلَا تُظْلَمُونَ " [٢]

وجه الدلالة :

في الحديث : أن العباس – رضي الله عنه – بعد ما أسلم وجيء به أسيرا في غزوة بدر استأذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الرجوع إلى مكة بعد إسلامه فأذن له ، فكان يربي بمكة إلى زمن الفتح ، وكان فعله لا يخفى على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما لم ينهه عنه دل أن ذلك جائز ، وإنما جعل الموضوع من ربا في دار الحرب مالم يقبض ، حتى جاء الفتح فصارت مكة دار إسلام ، ولذا وضع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الربا عند الفتح [٣]

---

(١) شرح السير الكبير– المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) – الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات – الطبعة: بدون طبعة – تاريخ النشر: ١٩٧١م – ١٤٩٤/١.

(٢)مسند الإمام أحمد بن حنبل – المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) – المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م– ٢٩٩/٩٤ برقم ٢٠٦٩٥

(٣) شرح السير الكبير ١٤٨٨/٤ ، ومالبسوط ٧٥/١٤.

وعليه :

فحاصل مذهب السادة الحنفية جواز التعامل بالعقود الفاسدة في بلاد غير المسلمين بين المسلم وأهل تلك الديار رفعا للحرج حتى وإن انتقل تشهيًا وتتبعًا للرخص، وهو قول بعض الحنفية، وبه قال ابن عبد السلام، وابن أبي هريرة من الشافعية، وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وأبو إسحاق المروزي من الحنابلة في إحدى الروايتين عنه، حيث نقل عنه إطلاق جواز تتبعها، وهو لازم مذهب عمر بن عبد العزيز، عند الاختلاف، وأشار إلى أن الاختلاف سعة، وكذا القاسم بن محمد، وسفيان الثوري[١]

لأن الرخص من اليسر الذي يحب الله الأخذ به، يضاف إلى ذلك أن التشديدات التي ذكرها العلماء من منع الانتقال مطلقًا إنما هي لكف الناس عن تتبع

---

(١)فتح القدير – المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ) – الناشر: دار الفكر – الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ – ٧/ ٢٥٨، وفيض القدير شرح الجامع الصغير – المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) – الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر – الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ – ١/ ٢٠٩، ، شرح الكوكب المنير – المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ) – المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد – الناشر: مكتبة العبيكان – الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ مـ – ٤/ ٥٧٨ ، وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع – المؤلف: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ) – الناشر: دار الكتب العلمية – الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ ٢/ ٤٤١بتصرف وزيادات.

الرخص، فإذا انتفى المحذور المترتب على الأخذ بالرخص جاز العمل بها، كما أن الناس من لدن الصحابة إلى أن ظهرت المذاهب يسألون فيما يسنح لهم العلماءَ المختلفين من غير نكير، سواء اتبع الرخص في ذلك أو العزائم؛ لأن من جعل المصيب واحدًا وهو الصحيح لم يُعَيِّنه، ومن جعل كل مجتهد مصيبًا فلا إنكار على من قلَّده بالصواب. يقول الشاطبي استدلالًا لهذا الرأي: «من جهة القياس: الله غني كريم، والعبد محتاج فقير، وإذا وقع التعارض بين الجانبين كان الحمل على جانب الغني أولى».[١]

ومع هذا لا يوجد دليل شرعي يحتم على المكلفين تقليد هذه المذاهب الأربعة بخصوصها في الإفتاء والقضاء أو فرضها قسرا على الأمم والاقليات الاسلامية التي تعيش في البلاد الغير اسلامية ، فالأصل جواز تقليد كل إمام مجتهد، وفي اختلاف الأئمة سعة ورحمة، فمتى كانت هناك مصلحة راجحة أو مشقة مطلوب رفعها، ويتحقق هذا بالاعتماد على رأي فقهي ثابت النسبة لإمام مجتهد من غير الأئمة الأربعة فلا مانع حينئذ من الأخذ به سواء كان في القضاء أو الإفتاء أو عمل النفس. قال العلامة النفراوي المالكي: «وبالجملة يجب اعتقاد أن جميع المجتهدين على هُدًى حتى من هُجِر مذهبه، وامتناع تقليد غير الأربعة إنما هو لعدم حفظ مذاهبهم، فلا ينافي أن جميعهم على خير من الله وهُدًى وليسوا على ضلال ولا بدعة» [٢] .

---

(١)الموافقات للشاطبي – سبق ذكره – ٥/ ١٠٤، ١٠٥بتصرف يسير .

(٢)الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني – المؤلف: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ)

وقيل : (من ابتلي بشئ من ذلك فليقلد من أجاز) [١]

وقال العلامة السيوطي : (لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه) [٢] وهذا يعني أن المسألة خلافية بين المذاهب الفقهية فلا يصح لأهل مذهب أن ينكروا على أهل مذهب آخر لأن المسألة مختلف فيها) [٣]

وقد قرر المجلس الأوروبي للإفتاء بخصوص القروض الطلابية أنه يجوز أنه يجوز للطلبة المسلمين في أوروبا أن يستفيدوا من القروض الطلابية التي تقدمها الدولة وأن يستعينوا بها على سداد الأقساط الدراسية ، وتكاليف المعيشة الطلابية ، وعلل المجلس بأن الجواز مشروط بالحاجة والسداد [٤]

وقال الشيخ جاد الحق :

إن اقتراض قيمة المصروفات التعليمية الجامعية للأولاد إن وقعت موقع الضرورة بأن لم يتيسر له ذلك إلا بالاقتراض لسداد مصروفات التعليم بأن لم يكن لدى والده أو أسرته كسب يفي أو ممتلكات يبيعها ، كان سلوك هذا الطريق (الاقتراض بالربا) والتعاقد مع الشركات التي تؤدي ذلك جائزا ولا بأس من

– الناشر: دار الفكر – الطبعة: بدون طبعة – تاريخ النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – ٢٤/١ بتصرف.

(١) ذكر المرجع والتعريف بالشيخ (المكتبة الشاملة).

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي – سبق ذكره – ١٥٨/١.

(٣) سؤالات الأقليات – دار الإفتاء المصرية – دار الكتب سنة ٢٠١٣ – ص٢٧٥ بتصرف.

(٤) قرارات وفتاوى المجلس الأوروبي – قرار الدورة الثامنة عشر – رقم القرار ٨١ (١٨/٤) ص١٦٦ ، ١٦٧ بتصرف.

الاقتراض ارتكازا على القاعدة الفقهية (الضرورات تبيح المحظورات) ، والقاعدة (الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة) [١]

وقال شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور / أحمد الطيب : أنه لا مانع شرعا من القرض من البنك بفائدة إعمالا للقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) [٢]

ومن خلال وواقع الإحصائيات والدراسات تبين أن عدد الطلبة المسلمين في انجلترا وويلز الذين تتراوح أعمارهم ما بين الـ ٥ إلى ١٦ سنة يزيد عن نصف مليون طالب مسلم ، وهؤلاء جميعا يجب أن يتواجدوا على مقاعد الدراسة الجامعية ، وبما أن أكثر المسلمين هناك من أبناء الدخل المحدود ، فإن المستقبل التعليمي والوظيفي لهذا العدد الضخم من أبناء المسلمين مرتهن بهذه العملية التي بدونها يكون الحرج من جهة أخرى .

والحرج تأباه الشريعة وقواعدها ومقاصدها الشرعية وأصولها العامة والجهل لا يدعوا إليه دين لا سيما الإسلام دين العلم والعقل فمن مقاصده (حفظ العقل) ، فالقول بحرمة القروض الطلابية يوقع الأقليات المسلمة وسط هذه المجتمعات في فساد عقلي وانتشار للبطالة لعدم التعليم ، وشيوع الجريمة لفقدان الفكر ، وتأخر لعملية الاندماج الإيجابي الذي تنص عليه العهود والمواثيق التي تربط بلاد غير المسلمين ببلاد المسلمين .

---

(١) بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة (شيخ الأزهر / جاد الحق) ١٠٨/٣ ، ١٠٩ ، والقواعد مخرجة من (الحاوي الكبير للماوردي ٧٤/٥ ، ص٨٨.

(٢) موسوعة الفتاوى الإسلامية – دار الإفتاء المصرية – ج٢٧ رقم الفتوى (٨) طلب مقيد بدار الإفتاء برقم ٥٦٦ لسنة ٢٠٠٣ للأستاذ الدكتور شيخ الأزهر أحمد الطيب.

وعليه : فإن الاقتراض بالفائدة لاستكمال الدراسة الجامعية في بلاد غير المسلمين أمر جائز لا حرمة فيه ، لأن هذه الديار ليست محلا لإقامة الإسلام فيها ، ولأن الفروض إنما هي برضا أنفسهم ، ولأن ذلك فيه مصلحة للمسلمين ، لاندماجهم في مجتمعاتهم وعدم الانعزال عنها مما يحفظ عليهم كيانهم ومصالحهم ودينهم وعقلهم ويمكنهم من الدعوة ونشر الإسلام بفهم [١]

صورة من تعامل الأقليات المسلمة مع غير المسلمين في الشركة :

إقامة شركة للسلع المقلدة في الغرب .

صورة المسألة :

تقوم بعض الشركات الصناعية بصناعة سلع تجارية مقلدة وليست أصلية مثل تصنيع بعض ماركات الساعات العالمية والعطور ، وقطع غيار السيارات ، ولهذه الشركات زبائن ذوي أحوال مالية متواضعة يتعاملون بهذه السلع ، ويلجأون إليها لرخص ثمنا ، وقد انتشرت هذه الفكرة وازدهرت في بلاد الغرب . فما الحكم في إقامة شركة بهذه السلع ...؟

الحكم على المسألة :

لقد ظهر في هذا العصر وانتشر بما يعرف بحقوق الملكية الفكرية ، وأصبح لكل شيء فيه قيمة مادية ومعنوية ، والملكية الفكرية لها حقها المعنوي ذو القيمة المالية ، ويمكن تملكها وبذل العوض فيها وتوريثها ، وهي حقوق ذات طبيعة

(١) فقه النوازل الاقتصادية للمسلمين في الغرب – سبق ذكره – ص١٣ ، ١٤ ، وسؤالات الأقليات – سبق ذكره – ص٢٧٦ بتصرف.

خاصة ، تثبت لأصحابها شرعا وعرفا ، سواء أقلنا أنها من قبيل الأموال كما هو قول الجمهور في كون المنفعة مالا متقوما ، أم قلنا أنها من قبيل المنافع التي تعد أموالا بورود العقد عليها مراعاة للمصلحة العامة كما هو رأي المتقدمين من الحنفية ، وحاصل قول جمهور الفقهاء في ضابط المال أنه : ما له قيمة بين الناس بسبب إمكان الانتفاع به ولزم متلفه الضمان ، ووافقهم على ذلك متأخروا الحنفية .

والملكية الفكرية تعرف بأنها : حقوق امتلاك شخص ما لأعمال الفكر الإبداعية أي الاختراعات والمنصفات الأدبية والفنية والرموز والأسماء والصور والنماذج والرسوم – التي يقوم بإنتاجها وبتأليفها.

وأما التقليد فهو : اصطناع شيء كاذب على نسق شيء صحيح ولا يشترط في الشيء المقلد أن يكون مشابها تماما للشيء الصحيح ، بحيث ينخدع به الفاحص المدقق ، وإنما يكفي أن يصل التشابه إلى درجة أن يكون من شأنها خداع الجمهور ، والعبرة في تقدير توافر التقليد هي بأوجه الشبه بين الشيء المقلد والشيء الصحيح ، فموضوع الملكية الفكرية هو كل انتاج فكري مهما كان نوعه ونمطه ومهما كانت قيمته [١]

ويتبين لنا : أن التقليد التجاري والعلامات والابتكارات والاختراعات التجارية وغيرها إن كان فيه ضرر لصاحب السبق فيه أو مخالفة لقانون الدولة التي يعيش فيها الأقلية فإن ذلك يعد اعتداءًا على حقوق الآخرين كما أنه يحتوي على

(١)حقوق الملكية الفكرية بين الفقه والقانون – إعداد : د/ محمد الشلش – منشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث ج٢١ ص ٧٩٨ ، وكتاب الاعتداء على الملكية الفكرية – زواني نادية – رسالة جامعية – ص١١ ، ١٢.

غش وتدليس ، إضافة إلى ما فيه من إضرار بالآخرين من الناحيتين الأدبية والمالية ، إذ من أصول ديننا ومقاصده الشرعية.

الأول : حفظ الحقوق العامة والخاصة .

الثاني : عصم مال المسلم والكافر كعصمة دمه.

الثالث : وجوب الوفاء بالعهد.

الرابع : المعاملة بالمثل .

والأدلة على ذلك كثيرة : منها قوله تعلى : " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ... " [١] ، وقوله تعالى : " وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ " [٢]

وقوله – صلى الله عليه وسلم – عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"[٣] ، وقوله – صلى الله عليه وسلم –«مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[١]

---

(١)سورة المائدة آية رقم ١.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٨٥.

(٣)سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٣/ ٤٣٠)رقم ٢٣٤٠ ، بَابُ (١٧)مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضُرُّ بِجَارِهِ ، وانظر: مسند أحمد– المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)–(٣٧/ ٤٣٨) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، (درجة الحديث: صحيح لغيره، لضعف الفضيل بن سليمان وجهالة حال إسحاق بن يحيى – وهو ابن الوليد بن عُبادة بن الصامت– ثم إن روايته عن جده عبادة مرسلة، فقد قال الترمذي: لم يُدركه. وقد تابع الفضيلَ يوسفُ بن خالد السَّمتي عند أبي نعيم الأصبهاني في "أخبار أصبهان" ١/ ٣٤٤ ولكنه متروك في أحسن أحواله، فلا اعتبار بمتابعته.

وفي مسألة التدليس يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما روي عنه عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقُولُ إِنَّ زَوْجِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِنِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ» (٢)

وفي مسألة الاعتداء يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –" لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ "(١)

لكن للحديث شواهد كثيرة يصح بها، والله أعلم وقد صحح الحديث الحاكم ٢/ ٥٧. ومال إلى تصحيحه الحافظ العلائي كما نقله المناوي في "فيض القدير" ٦/ ٤٣٢، وقوّاه الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" ٢/ ٢١٠، والحافظ ابن التركماني في "الجوهر النقي" ٦/ ٦٩ – ٧٠، وحسنه ابن الصلاح كما نقله عنه الحافظ ابن رجب ٢/ ٢١١، وابن الملقن في "خلاصة البدر المنير" (٢٨٩٧) وحسنه كذلك النووي في "الأربعين"، وسكت الحافظ الذهبي على تصحيح الحاكم للحديث. وحسنه الحافظ السيوطي في "الجامع الصغير". ونقل ابن الملقن في "خلاصة البدر المنير" أن الإمام الشافعي صححه في "سنن حرملة"، وكذلك ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" عن الإمام أحمد أنه استدل به. وقد سكت عليه عبد الحق الإشبيلي مصححًا له، ورد عليه ابن القطان الفاسي في "بيان الوهم والإيهام" (١٧٨٤)).

(١)المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت– ٩٩/١ برقم (٤٣).

(٢)المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٨٦١/٣ برقم (٢١٢٩) .

فحماية الحقوق كلها مطلب شرعي حتى وإن كان أصحاب هذه الحقوق والشركات العالمية غير مسلمين فحقهم مصان في الشريعة الإسلامية [٢]

والذي يمتهن هذه المهنة يقع في أحد محظورين أو كليهما :

(أ) فهو يبيع سلعا مقلدة تحمل علامات تجارية وأسماء شركات مشهورة يرغب فيها الناس لثقتهم فيها وهي في الحقيقة مقلدة .

(ب) الضرر الواقع بأصحاب الشركات العالمية المعتمدة فهم قد بذلوا أموالا طائلة لإنتاج هذه السلع فكيف يستباح التعدي والضرر وسرقة أسماء الماركات منهم ، مما يؤدي إلى ضياع السمعة ومخالفة القانون

والخلاصة :

---

(١)شرح مشكل الآثار – المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) – تحقيق: شعيب الأرنؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م– ٢٥٢/٧ برقم (٢٨٢٣) ، وشرح معاني الآثار – المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) – حققه وقدم له: (محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف – راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي – الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية – الناشر: عالم الكتب – الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م– ٢٤١/٤ برقم (٦٦٣٣).

(٢)فتوى بعنوان : حقوق الملكية الفكرية للدكتور / علي جمعة ج٣٨ من موسوعة الفتاوى الإسلامية بدار الإفتاء المصرية – طلب مقيد برقم ١٤٥ لسنة ٢٠١١.

أن تقليد السلع المعروفة والمسجلة بعلامات تجارية وعالمية دون إذن أصحابها ويضع عليها العلامة التجارية الخاصة بشركته وبلد المنشأ ، حتى لا يفرق الرائي بين الأصلي والمقلد لا يجوز شرعا لم يترتب على ذلك من الضرر .

ولا يدخل في ذلك التقليد السلعة المعروفة بالمحاكاة فهو مباح ، فلو قامت الشركة بإنتاج بضاعة مشابهة للبضائع المعروفة وهي ليست في الحقيقة مطابقة مطابقة الصورة للأصل وتحمل اسم غير محمي كما يفعل الصينيون – فهذا لا حرج في تصنيعه والشراكة فيه ، لأنه وسيلة من وسائل الكسب المشروعة والاكتفاء الذاتي والمالي (١)

خاتمة

وفي خاتمة هذا البحث أذكر نفسي وغيري بقوله سبحانه وتعالى: " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " ألا فلنعمل الصالحات ونجتنب الفواحش والموبقات ليرضى عنا رب الأرض والسماوات.

فقد رأينا كيف تكون عاقبة البعد عن الله وارتياد الطرق المعوجة المشبوهة، والعتو عن أمر الله سبحانه ، وسوء الخاتمة والعذاب الأليم لمن كان هذا شأنه .

" وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا " .

فمن رجى رحمة ربه فإليه يعود، فباب رحمته مفتوح غير موصود، وليكن سعيه من بعد حميدا، وفعله رشيدا، وقوله سديدا.

---

(١) فقه النوازل الاقتصادية للمسلمين في الغرب – محمد عثمان شبير – مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ص ٢٦ : ٣٢ بتصرف ص٢٨ بتصرف.

فإذا كان هذا حالنا رفع الله عنا الذل والضنى، والوبا والخنا، وصب علينا البركات صبا، ولم يجعل عيشنا كدا، وكان لنا نصيرا وسندا .

وبعد.. فهذا جهد المقل وبضاعته المزجاة، قصدت به وجه الإله، ثم النصح لمن كانت الفاحشة بلواه، والتنبيه لمن عافاه مولاه.

سائلا مولاي وخالقي أن يسدد قصدي، وينفعني به ومن بعدي، والباب مفتوح والصدر مشروح، لمن أراد أن يصحح خطأ، أو يقدم خيرا، وأفضلهم عندي من أهدى إلي عيبي.

وفي النهاية لا أملك إلا أن أقول أنني قد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذاالموضوع لعلي أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه وأخيراً ما أنا إلا بشرقد أخطئ وقد أصيب فإن كنت قد أخطأت فأرجو مسامحتي وإن كنت قد أصبت فهذا كلما أرجوه من الله عزوجل .

وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- تفسير القرطبي .

٢- صحيح البخاري .

٣- صحيح مسلم .

٤- سنن ابن ماجة .

٥- شرح صحيح البخاري لابن بطال .

٦- مسند الإمام أحمد .

٧- شرح الأشموني .

٨- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين.

٩- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.
١٠- المعجم الوسيط .
١١- تفسير الطبري .
١٢- القاموس المحيط .
١٣- معاني القرآن .
١٤- لسان العرب .
١٥- الكليات لأبي البقاء .
١٦- معجم لغة الفقهاء .
١٧- كشاف الاصطلاحات .
١٨- التعريفات للجرجاني .
١٩- مجموع الفتاوى لابن تيمية .
٢٠- المستصفى للغزالي .
٢١- شفاء العليل لابن قيم الجوزية .
٢٢- مقاصد الشريعة – لابن عاشور .
٢٣- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها – علال الفاسي .
٢٤- نظرية المقاصد عند الشاطبي للريسوني .
٢٥- أصول الفقه الإسلامي للزحيلي .
٢٦- فلسفة مقاصد التشريع للشيخ خليفة بابكر الحسن.
٢٧- مقاصد الشريعة الإسلامية – د/ محمد سعد اليوبي .
٢٨- مقاصد المكلفين عند الأصوليين الدكتور فيصل بن سعود بن عبدالعزيز الحليبي.
٢٩- قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية للدكتور مصطفى بن كرامة الله مخدوم .
٣٠- الاجتهاد المقاصدي ، حجته ، ضوابطه ، مجالاته د / نور الدين الخادمي .
٣١- علم القاصد الشرعية – نور الدين الخادمي .
٣٢- الإسلام مقاصده وخصائصه .

٣٣- كتاب مفتاح السعادة للإمام ابن القيم الجوزية .

٣٤- كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية في ضوء مستجدات العصر – د / فريد بن يعقوب المفتاح .

٣٥- الموافقات – للإمام الشاطبي .

٣٦- كتاب المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوي .

٣٧- كتاب إعلام الموقعين – الإمام ابن القيم .

٣٨- كتاب أصول الدعوة – الدكتور عبد الكريم زيدان .

٣٩- حجة الله البالغة – الإمام الدهلوي .

٤٠- إعلام الموقعين – ابن القيم .

٤١- الاجتهاد د/ نادية العمري .

٤٢- نظرية المقاصد عند الشاطبي للريسوني .

٤٣- أبحاث الشبكة الفقهية (الملتقى الفقهي) .

٤٤- نظرات تأسيسية في فقه الأقليات د . طه جابر العلواني .

٤٥- بحث مآلات الأفعال وأثرها في فقه الأقليات – المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث – مقدم للدورة التاسعة للمجلس الأوروبي للإفتاء ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٤٦- لسان العرب لابن منظور .

٤٧- المصباح المنير للفيومي .

٤٨- القاموس المحيط للفيروز أبادي .

٤٩- المغني لابن قدامة .

٥٠- مجمع الأنهر للحصكفي .

٥١- حاشية الصاوي على الشرح الصغير أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّاوِيُّ .

٥٢- نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني .

٥٣- شرائع الإسلام للحلي لأبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن .

٥٤- الأم للشافعي .

٥٥- الإجماع لابن المنذر

٥٦- بدائع الصنائع الكاساني .

٥٧- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد .

٥٨- الفقه الإسلامي وأدلته د.وهبة الزحيلي

٥٩- المبسوط للسرخسي .

٦٠- أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية .

٦١- الأسباب الاقتصادية للتخلف العلمي في بلاد المسلمين بحث منشور في مجلة الاقتصاد الإسلامي

الأسس النظرية فى فلسفة العقل عند تيموثى وليامسون

Theoretical foundations in Timothy Williamson's philosophy of mind

تساهم فلسفة العقل المعاصرة فى طرح العديد من المذاهب الفلسفية مثل المذهب الداخلى–الذاتية–**Internalism** بوصفه يشير إلى الاعتقاد بأن كل شئ ضرورى لدعم تبرير أى اعتقاد يكون على اتصال بوعى الشخص دون الحاجة إلى عوامل خارجية ، والمذهب الخارجى أو الواقعية**Externalism** بوصفه يشير إلى أن هناك عوامل آخرى غير العوامل الداخلية للشخص والتى من الممكن أن تؤثر على الحالات المختلفة لتبرير الاعتقاد ، والمذهب الوظيفى functionalism بوصفه وضع كبديل لنظرية الهوية والمذهب السلوكى ، ويقوم على أساس أن الحالات الذهنية كالاعتقاد والرغبة يكون مؤسساً فقط فى حدود دورها الوظيفى in its own sake، ويعد تيموثى وليامسون[1] (١٩٥٥–) هو أحد الفلاسفة المنتمين إلى المذهب الخارجى ، ومن ثم ، ينظر إلى المعرفة

---

[1] تيموثى وليامسون timothy Williamson (١٩٥٥-) هو فيلسوف بريطانى معاصر يعمل بالكلية الجديدة New college أستاذاً للمنطق والمعرفة ويقوم بتدريس فلسفة العقل بكلية الفلسفة جامعة اكسفورد ، والان يعمل كاستاذ زائر فى جامعة ييل Yale، تتركز اهتماماته البحثية حول فلسفة العقل والإبستمولوجيا واللغة والمنطق وله العديد من المؤلفات ما بين ست كتب وما يفوق المأتى مقالة ، ومن أهم مؤلفاته : الهوية والاختلاف (١٩٩٠) ، الغموض (١٩٩٤) المعرفة وحدودها (٢٠٠١) ، فلسفة الفلسفة (٢٠٠٤) .

راجع :

Heil, john(2005): Williamson , timothy (1955) : in ted Honderich(ed.)(2005) ,the oxford companion to philosophy ,2nd ed oxford: oxford university press , p 958.

وأيضا

http://philosophy.yale.edu/working-groups-special-events/timothy Williamson-guest-speaker

والاعتقاد بمنظور هذا المذهب وانطلق من مفاهيم ومصطلحات خاصة ، ووضع قراءة جديدة لبعض المصطلحات الفلسفية التقليدية سواء كانت المثالية أو التجريبية ، وبالتالى ، كان لا بد من التعرف على الأسس المختلفة التى أقام عليها مذهبه الخارجى ، حيث أنها تعد عوامل هامة فى فهم فكر الفيلسوف.

أولاً – المبادئ الذاتية :

١– الذاتية المحايدة Neutral subjective

تشير المعرفة – وفقاً للمفهوم التيموثى– إلى اتجاه الإنسان بوصفه عاملاًAgent نحو الواقع من أجل معرفة شيئاً ما مستنداً إلى دليل واقعى ، الأمر الذى يفسر، كيف أن وجود الذات يمثل عنصراً هاماً فى مفهوم المعرفة لدى تيموثى فهى تمثل نقطة البداية فى اتجاه العقل نحو العالم الخارجى ، ولا يكتفى تيموثى بالعقل فقط .حيث أن العقل بدون واقع يصبح مجموعة من المجردات لا معنى لها ، كما أن العالم بدون العقل يصبح مجموعة من الماديات والتطبيقات الآليةفيسعى نحو محاولة الربط بين المعرفة والذاتية ،الأمر الذى يوضح ، تناولهلمفهوم الإبستمولوجيا الذاتية The Epistemology of Identity فى كتابه الهوية والاختلاف فيقول : " تعد حقيقة المعرفة بالمعنى العام هى حقيقة المعرفة الخاصة بالذاتية بالمعنى الخاص ، ولذلك فهنالك علاقة دائماً بينهما،كعلاقة السابق باللاحق" .(١)

(1) Williamson, Timothy (ed.) (1990): Identity and discrimination, 1st Ed, oxford: Blackwell, p4 ph1.

ومن ثم، يتفق تيموثى مع ما ذهب إليه توكر[1] Don M.Tucker فى تأكيده على دور الواقع بالنسبة للعقل ويظهر ذلك قوله : " يعرف كل إنسان أن الذاتية تكون أساساً لكى يكون لديه عقل a mind ، وبدون التجربة تصبح فعالية العملية المعلوماتية للعقل تجريدات نظرية لا معنى لها empty a cadmic abstractions ، وإذا لم يستطع العلم أن يكون ذات معنى بالتجربة الذاتية ، فسوف يتركنا مع الطرق الساذجة والمتعالية الخاصة بفهم حياتنا".[2] وبالتالى ، تصبح الذاتية لدى توكر هى شكل العقل الذى يمكن أن يبرهن على التحليل العملى. ويتضح من القول السابق أيضاً كيف أن توكر ينظر إلى الذاتية وارتباطها بالجانب الموضوعى من منظور سيكولوجى فى حين، ينظر تيموثى إلى الذاتية من المنظور السيكولوجى والمعرفى .

ومن ثم ، فإن العلاقة بين الذاتى والموضوعى كانت ذات تأثير كبير على الفلاسفة فيهتم الفلاسفة منذ ديكارت Descartes (١٥٩٦ – ١٦٥٠) وحتى هيوم Hume(١٧١١ – ١٧٧٦) بموضوع التميز بين العقل والمادة ، إلا أن هذا الموضوع أصبح واضحاً بداية من كنتKant(١٧٢٤-١٨٠٤) ، حيث يوضح كنت طبيعة العلاقة بين العقل والمادة فيعتبر الوظيفة الخاصة بكلمات الذاتى والموضوعى على النقيض من استخدام هذه الكلمات لدى المدارس الفلسفية فى العصور الوسطى ، بحيث يرى هؤلاء الفلاسفة أن الذاتى هو

---

[1] دون توكر Don M.Tucker هو أستاذ علم النفس فى جامعة أوريغون تتركز اهتماماته البحثيه فى الجانب السيكولوجى المعرفى فيرى أن المضمون المعرفى يكون منظماً من خلال المشاعر والاحاسيس ، كما تستخد أبحاثه المنهج الخاص بعلم النفس المعرفى لتأكيد ذلك ولتقرير ارتباط النشاط العصبى بالحالات الشعورية وبالعمليات المعرفيه ، ومن أهم مؤلفاته : الميكانيزمات العصبية الخاصة بمعالجة التعقيدات اللغويه والمعرفيه (٢٠٠٩) ،المضمون المعرفى والتطور العصبى (٢٠١٢) .

راجع : /http://psychology.uoregon.edu/profile/dtucker

(2)Tucker, Don M, (ed.) (2007): Mind from body: experience from neural structure, 1st Ed, oxford: oxford university press, p10 ph5.

الموضوع الحسى للفكر ، وهو ما يمكن أن تشير إليه أى خاصية مادية ، وبالتالى ، يعد الذاتى هو الموضوع الأساسى للحكم بينما يتضمن الموضوعى كل الأفعال الذهنية .

بينما يذهب بعض الفلاسفة أمثال كاتلين فاركس Katalin Farkas (١٩٧٠-)[1] إلى أن الذاتية لا تعنى المعرفة القبلية فربما يحدد العديد من الفلاسفة المعرفة الذاتية بوصفها شكلاً من المعرفة القبلية ، وأن اعتقادهم يكون صحيحاً عندما يكون قبلياً ؛ بمعنى أنه ليس من خلال الإدراك الحسى ، إلا أنها ترى أن كلمة قبلى يمكن استخدامها لكى تعنى أن لدينا نوعاً من المعرفة المنطقية ، والمعرفة الرياضية ، ومعرفة حقائق تصورية وبالتالى ، فالمعرفة الباطنية تختلف عن هذا النوع من المعرفة .

وهكذا ، يرفض تيموثى موقف الفلاسفة الذاتيين التقليديون من نظرية الأفكار الفطرية ، فالإنسان لا يملك كل الحقائق الخاصة بالعالم فى عقله ، كما أن أفكاره جميعها لا تعبر عن موضوعات تجريبية أو أنها تمثيلاً للموضوعات التجريبية الواقعية ، كما يرفض موقف الفلاسفة التجريبيون من الذاتية فالانطباعات الحسية لا يمكن أن تُشكل المعرفة من خلالها فقط .

---

[1] كاتلين فاركس Katalin Farkas(١٩٧٠-) هى أستاذ الفلسفة بجامعة الاوروبيون المركزيه ، وتتركز اهتمامتها البحثية فى مجالى فلسفة العقل والمعرفة . وتعددت وجهات نظر فاركس ففى مؤلفاتها الأولى دافعت وبقوه عن المذهب الداخلى وتفسيره للحالة الذهنية وعن التصور الخاص بالقابلية الفينومينولوجيه للسمات الذهنية .ولكن فى مؤلفاتها الحالية فهى تعمل على دراسة الخبرات الحسية ، بحث تأمل فى الجمع بين التحقق الفلسفى للخاصية الفينومينولوجيه للتجربة مع دراسة النتائج التجريبية من الجانب السيكولوجى ومن واهم مؤلفاتها : الاشارة الذاتية الخاصة بالرؤيه (٢٠٠٨) الاعتقاد والتقرير والحلم (٢٠١٤) ، الاعتقاد ربما لا يكون حالة ضرورية للمعرفة (٢٠١٥).

راجع : https://people.ceu.edu/katalin_farkas

٢- العقلانية Rationalism

تشيرالعقلانية بمفهومها المثالى إلى القول بأولية العقل ؛ بمعنى أن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية ، لأن هذه التجارب لا تفيد علماً كلياً.(٣)

ومن ثم، فإن العقلانية النظرية بهذا المعنى أصبحت مقابلاً للتجريبية Empiricism ، وذلك على أساس أن المعرفة تكون مستمدة دائماً من الواقع التجريبى ، وبالتالى ، يذهب تيموثى إلى رفض ذلك ويرى أن العقلانية بمفهومها المثالى والتجريبى إنما يشوهان المعرفة الخاصة بالفلسفة من خلال التعامل مع الفلسفة بوصفها تختلف عما تكون هى فعليا ، فيقول فى مقالته فلسفة الكرسى المجنح ، والنموذج الميتافيزيقى والاعتقاد العكسى , Armchair philosophy Metaphysicalmodality and counterfactual thinking : " لم يتذكر كل من المثاليون والتجريبيون كيف أن العديد من الأشياء يمكن أن تكون واقعية ، وفعلية مثل فكرة الكرسى المجنح بحيث أنها تضمن الأجزاء الهامة للعلم الطبيعى ؛ بمعنى أنها تصنع الخبرات وتقدم التنبؤات ، وهى أيضاً تُكون التفسيرات constructing explanations. ولا يعنى هذا القول أن الفلسفة هى علم طبيعى ، ومن ثم، فهى تشترك كثيراً مع الرياضيات . حيث يحدد التفكير الخاص بالكرسى منهجه للدرجة التى يمكن أن تفسد فيها كلمة " طبيعى " " .(٤)

---

(٣) صليب ، جميل : المعجم الفلسفى ، دار الكتاب اللبناني ، و دار الكتاب المصري ، ١٩٧٩ ، ج ٢ ، مادة العين :العقل ، ص ٩٠ .

(4) Williamson , Timothy (2004) : Armchair philosophy , metaphysical modality and counterfactual thinking , IN proceedings of the Aristotelian society, VOL cv , NO 105, p21, ph 1 .

وبالتالى ، تشير العقلانية بالمعنى المثالى وهو المعنى الذى رفضه تيموثى إلى العقل الكلى المرتبط بالميتافيزيقا وبالبحث عن الأسباب الأولى ، إلا انه عندما يرتبط العقل بالمعرفة العلمية Scientific Knowledge فهنا يتحول العقلى إلى ذهنى mental وهو المعنى الذى يذهب تيموثى فى تأكيده.

وتنقسم العقلانية –وفقاً لما ذهب إليه كل من كارين جونس Karen Jones (١٩٣٥–٢٠٠٧)[٥] و كارك لودويج Kirk Ludwig وغيرهم– إلى عقلانية نظرية ترتبط بالأخلاق وعقلانية عملية ترتبط بالفعل فتقولجونس :" إن هنالك فارق بين العقلانية النظرية وهو الاتجاه الذى يرى أن لدنيا السبب فى الاعتقادبأي نظرية أخلاقية تكون حقيقية . ومن ثم ، فهو اتجاه معرفى يؤكد على أن لدينا نفس البنية الأساسية فى الأخلاق وفى العلم والتى على أساسها يمكن قبول أيةنظرية ، وأما العقلانية العملية وهى خاصة بنظريات العقل العملى والتى تعتمد على أن السبب الذى لدينا يكون من أجل الفعل أكثر من كونه من أجل الاعتقاد" .[٥] وبالتالى ، فإن مبدأ مثل البر يدور حول العلاقة بين العقلانية والفكر واللغة ، فامتلاك اللغة يجعل الإنسان قادراًعلى فهم الحديث مع الآخرين . وبالتالى ، فالشخص يجب أن يكون فاعلاً ؛ بمعنى أن يكون لديه القدرة على الفعل لكى يكون لديه لغة . الأمر الذى يوضح ، أناللغة تفترض مسبقاً الفكر ، ومن ثم ، فهى ضرورية للفكر والفعل ، فهى تساهم فى تشكيل الاتجاهات الغرضية للفعل ، وفى الحالات السيكولوجية كالأمل والخوف والتمنى والتى يكون

 كارين جونس Karen Jones (١٩٣٥-٢٠٠٧) هى استاذ الفلسفة فى جامعة ميل بورن ، تتركز اهتماماتها البحثية فى مجالى فلسفة الاخلاق والفلسفة النسويه ومن اهم مؤلفاتها :العقلانية الحسية بوصفها عقلانية عملية (٢٠٠٤) ، علم النفس الفلسفى (٢٠٠٨) ، هل تمثل الاحساسات القيم ؟ (٢٠١٥) .

راجع : http://findanexpert.unimelb.edu.au/display/person8587

(5) Jones, Karen (2007) : Moral Epistemology , In Frank Jackson and Michael smith (eds.)(2007), The oxford handbook of contemporary philosophy , 1st Ed , oxford : oxford university press, p 69 ph 1 .

مضمونها علاقات منطقية وسيمانتيكية ،وهكذا ، فهى تعتمد على اللغة ، ومن ثم ، تكون العقلانية ضرورية للغة ، فالقول بأن الفكر يتطلب العقلانية فهذا لا يعنى أن المفكرين يكونوا عقلانيين ولا يخطئون ، وإنما يكمن خطأ العاملين فى أفكارهم القبلية وسلوكهم القبلى والذى يجعلهما غير عقلانيين .

الأمر الذى يفسر ، كيف ترتبط العقلانية النظرية بالاعتقاد ، وترتبط العقلانية العملية بالفعل وهذا ما يؤكده الفريد ميل Alfred R.Mele (١٩٥١-)[1] فيقول : " تنقسم العقلانية إلى عقلانية نظرية وعقلانية عملية ، فبينما تكون العقلانية النظرية أو المعرفية متعلقة بماذا يكون عقلياً لكى تعتقد ، نجد أن العقلانية العملية تكون متعلقة بماذا سيكون عقلى لى مثل : تعمل أو تتجه أو ترغب فى عمله."[٦]

وعلى الرغم من أن اهتمام تيموثى يتركز على العقلانية العملية بوصفها تتعلق بالفعل وعلاقتها بالعالم وبالرغبة والمعرفة إلا أنه أقر بإمكانية وجود العقلانية النظرية وذلك على أساس أن الإنسان لا يكون دائما فى موضع بناءً على ، أن العقلانية تتطلب من الإنسان أن يطابق بين اعتقاداته ودليله ، بحيث أنه لا يكون دائماً فى أى موضع لأن يعرف ماهو دليله ، فيحتاج الإنسان إلى أى تصور خاص بالعقلانية بحيث لا يكون الإنسان دائماً فى موضع لأن يعرف

---

[1] الفريد ميل Alfred R.Mele (١٩٥١-) هو أستاذ الفلسفة فى جامعة ولاية فلوريدا ، تتركز أبحاثه حول فلسفة العلوم والمعرفة ومن أهم مؤلفاته : اللاعقلانية (١٩٨٧) ، العقلانية والخير (٢٠٠٧) ، حوار فى حرية الارادة والعلم (٢٠١٤)

راجع : http://myweb.fsu.edu/amele/almele.html

(6) R.Mele , Alfred and Piers Rawling (2004) : Introduction : Aspects of Rationality , In Alfred R.Mele and Piers Rawling (eds.) (2004), Theoxford handbook of Rationality, 1st Ed, oxford: oxforduniversity press, p 3ph 2.

.

ما يتطلبه الدليل لأن يعرف فيقول :" فلو أننا تخيلنا أن بعض المعايير المرشحة والخاصة بالعقلانية هى قابلة للتحقق accessibility بشكل كافى ، ومن ثم ، يمكننا أن نتجه دائماً نحو تفضيل هذا المعيار ؛ لكن عندما ندرك أن تفضيل إمكانية التحقق هى بالضبط مثالية غير قابلة للتحقق ، فنحن يمكن أن نتعلم كيف نعيش مع معيار قابل للتحقق بدرجة غير كافية . بشرط أن يكون دليل الإنسان أكثر قابلية للتحقق من قيم الصدق الخاصة بالافتراضات الخاضعة للفحص ."(٧)

فى حين ، يرى الباحث كيف تؤثر إمكانية التحقق غير الكافية بالسلب على نظرية التقرير ،حيث أن الإنسان لا بد وأن يكون فى موضع لأن يعرف وأن يكون لديه الدليل المادى حتى يستطيع أن يقرر معرفته لشئ ما ، كما أن إمكانية التحقق غير الكافية لديها أبعاداً فى مجال الأخلاق فلا يحتاج الإنسان لأن يكون دائما ً فى أى موضع لأن يعرف ماهى واجباته نحو شيءٍ ما.

٣- الضرورة Necessary

يذهب تيموثى إلى أن الضرورة يمكن لها أن تدرس موضوعات فيزيائية physical objects على أساس أن هذه الموضوعات تتكون من أجزاء مادية صغيرة جداً وهذا ما يؤكده قوله :" يمكن للإنساناعتبار أن الموضوع الفيزيقى مثل العملة يمكن تحليله إلى أجزاء مادية متناهية الصغر . فيمكن أن نطلق عليهم " ذرات " حتى لو تم اعتبار هذهالأجزاء المادية أصغر من الذرة فى المصطلحات الخاصة بعلم الفيزياء .(٨)وبالتالى ، لم تعد الضرورة بنفس معناها

(7)Williamson, Timothy (ed.) (2000): knowledge and its limits, 1stEd, oxford: oxford university press, p15 ،ph3.

(8) Williamson, Timothy (ed.) (2013): modal logic as a metaphysics,1stEd ،oxford: oxford university press, p5 ph3.

المثالى ، ويمكن لها أن تدرس الموضوعات الفيزيائية على أساس أنها تتكون من أجزاء مادية صغيرة . كما أنالضرورة أصحبت هى الرؤية التى تقر بأن كل شيء ضرورى يكون شيئاً ضرورياً ، ولذلك يكون الانطولوجى غير معرفى ، كما يوضحتيموثى فى كتابه المنطق الشكلى بوصفه ميتافيزيقا أشكالاً للضرورة .

فى حين ، كانت تشير الضرورة إلى مجال من الأفكار والمفاهيم–وفقا لحجج هيوم–يعد القول بأن كل المثلثات لها ثلاث أضلاع هى ضرورة فعلية ومنطقية ؛ بحيث أن مفهوم الضرورة هنا مستمد من تعريف المصطلح الذى تضمن هذه القضية ومن ثم ، لا يمكن أن تنتج معلومة عن العالم ، أما العبارات التى لها مضمون واقعى ، ويقصد منها أن تصف الواقع يجب أن تكون صحيحة من خلال الاحتمال فعلى سبيل المثال: القول بأن غداً سوف يحدث كسوفاً كلياً للشمس، فهذا لا يشتمل على تناقض ويؤكد على أن غداً سوف يحدث كسوف للشمس ، وبالتالى ،ترتبط الضرورة هنا بالمعلومات التى تضمنها القضية .

الأمر الذى يفسر، قول جون كوتنجهام John Cottingham: " –وفقا لمفهوم هيوم للضرورة – لا يوجد إلا نوعاً واحداً للضرورةبوصفها وظيفة الاصطلاحات اللغوية والقواعد المنطقية . ولكن من البين أن العقلانيين الذين يفترضون أنهم يكشفون الحقائق الضرورية عن العالم لم يعتقدوا أنهم يبحثون إلا فى نطاق المنطق واللغة ."[٩] ومن ثم، أصبحنوع الحقيقة والتى تفترض قضاياهم أنها تمتلكها لم يكن سوى مجرد الضرورة اللفظية ، بل الضرورة الحقيقة ؛ بمعنى أنهم افترضوا أنهم يصفون لا مجرد الخصائص المرتبطة بالضرورة والأفكار أو المفاهيم ، بل الخصائص المرتبطة بالأشياء الحقيقية فى العالم .

(٩) كوتنجام ، جون : العقلانية : فلسفة متجددة ، ت محمود منقذ الهاشمى ، مركز الإنماء الحضارى ، ط ١ ، حلب ،١٩٩٧، ص ١٣٤.

يقول تيموثى: " تعتمد إدعاءات الضرورة فى أكثر المستويات النظرية على الحالات غير الواقعية ." فإذا كانت هى عبارة عن أى قانون P والذى يتضمن الخاصية Q وبالتالى ، عندما يكون شئ ما P فإنه سوف يكون لديه Q .فإذا استطعنا تكذيب المثال غير الواقعى فى حالة جزئية ، فربما عن طريق

استخدام قوانين ثابتة أفضل ."[١٠] ومع ذلك، يمكن تكذيب الإدعاء الخاص بعمومية القانون . على أساس أن الإنسان فى بعض الأحيان يكون لديه دليلاً يؤكد ما يمكن أن تكون عليه النتيجة الخاصة بالتجربة بدون عمل التجربة فعلياً : هذه الأمور فى عالم خاص بالمصادر المحددة .

٤- الكفاية السببيةCausal Efficacy

يقول تيموثى : " يعبر مفهوم السببيةCausation عن الكفاية السببية للمعرفة والتى تؤكد أهمية كون المذهب الباطنى قريباً من الفكرة الأساسية عندما تكون الحالات الذهنية محصورة ." [١١] ومن ثم ، تشترك السببية مع الحالات الذهنية ، حيث يمكن للإنسان أن يدرك السببية كواقعة وهى لا حركة فى مكان .

وبالتالى،لا يفترض تيموثى أن مفهوم الكفاية السببية يكون واضحاً أو مشتقاً من العلوم الأساسية أو معروف تطبيقه فقط على علاقات واقعية Local Connections. فيقول :" تتجه جهود الواقعين فى حالة المحتويات الحسية نحو البرهنة على أساس أن خصائص هذه المحتويات تلعب دوراً رئيساً فى التفسيرات السببية ومثال على ذلك: صائد يطلق النار على نمر بينما لا تصيب القذيفة إلا

(10)Williamson, Timothy (2007) : Philosophical knowledge and knowledge of counterfactuals , IN Christian Beyer and Alex Burri (eds.)(2007), Philosophical knowledge: Its possibilities and Scope, New York, P 95 Ph 2.

(11)Williamson, Timothy (ed.) (2000): knowledge and its limits, op.cit., p60 ,ph3.

أحد الحيوانات المفترسة . فهذه الأوصاف الخاصة بالأفعال ليست متغيرة Capricious."[١٢] وبالتالى ، تندرج كل هذه الأوصاف تحت ما اتجهت إليه الأفعال ، لذلك يمكن للبعض استخدامها عندما يحاولون رؤية كيف تصنع الأفعال معنى من الموضوعات . فبمجرد القول بأن الصائد يصطاد نمراً فهذا يشارك الوصف الخارجى " الواقعى " له بأنه اعتقد أن صيد النمر يجعله مشهوراً ولكن هذا ليس واقعياً .

وبالتالى ، فإن تيموثى يفهم السببية فى حدود معرفية ؛ بمعنى فى حدود الذات التى تتمثل فى فعاليات العقل والخيال وليس بمفهوم جبر الذات. الأمر الذى يفسر، اختلافه مع كل من هيوم ومل حيث يفهم هيوم السببية على أساس أن الأسباب والمسببات هى كيانات والتى يمكن وصفها عن طريق الحدود الفردية ومن ثم ، يذهب إلى تعريف السبب أنه " يكون موضوع يتبعه آخر وعندما تتشابه كل الموضوعات مع الأول فيتبعها موضوعات تتشابه مع الثانى ."[١٣] وبالتالى ، فالكيفية الخاصة بأى حدث لدى هيوم تكون السبب أكثر من السبب نفسه ومن ثم ، لا تكون الحالات السببية ضرورية ولكنها تخضع لقانون التتابع .

فى حين ، يذهب مل J.S.Mill (١٨٠٦-١٨٧٣) إلى أنه " يعد السبب هو المجموع الكلى للحالات الايجابية والسلبية مأخوذة معاً ، والتى توجد مدركة ."[١٤]وبالتالى ، فإن السبب الفعلى يجب أن يتضمن كل الحالات المترابطة والكافية لحدوث الأثر .

---

(12) _____ (ed.) (2000): knowledge and its limits, op.cit., p61 ph1.

(13) Davidson, Donald (1967): causal relations, In Donald Davidson (ed.) (2001) ,Essays on Actions and Events, 2nd Ed, Oxford : Clarendon press, p 149ph2.

(14) Ibid. , p 150ph2.

وهكذا ، فإن وجهتى النظر السابقتين تذهب إلى أن الأحداث يجب أن تكون قابلة للتفسير ، وتشير فقط إلى ما لديها من كيفيات تكون مكررة وليس كما هى أجزاء ، وبالتالى ، فالأحداث مثل الأشياء يتم الإشارة إليها بحدود فردية .

ثانياً – القواعد التجريبية :

١- الفعل Action

يعد وجود الفاعل هو وجوداًلشئ ما يفعل شيئاً ما ، الأمر الذى يعنى أن فلسفة العقل تتعامل مع نوعين من الكيانات : وهما العوامل والأفعال . الأمر الذى يجعل الإنسانيتذكر أن الأفعال ليس لها وجود خاص بعواملها المحركة . وبالتالى ، يذهب رولاند Rowland Stout إلى أنه " يعمل أى فعل هو فاعل شيئاً ما هذا الشئ يشارك الفاعل . وبالتالى ، فإن عملية فهم الفعل هى عملية الفهم الخاصة لما يكون من أجل الفاعل كى يفعل ."(١٥)

وبالتالى ، فهناك علاقة ارتباطيه بين الفعل والعامل ، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن تفسير الفعل من خلال العامل فقط ولكن يكون من خلال إدراك العامل موضوع هذا الفعل وهذا ما يؤكده ديفيدسون D.Davidson (١٩١٧-

رولاند ستوت Rowland Stoutهو استاذ الفلسفة فى جامعة دبلن تتركز اهتماماته البحثيه حول فلسفة العقل ومن أهم مؤلفاته : الاشياء التى تحدث لانها يجب أن تكون كذلك (١٩٩٦) ، الفعل (٢٠٠٥)، الحياة الداخليه للعامل العقلى : فى تاكيد المذهب الوظيفى الفلسفى .(٢٠٠٦)

راجع :http://www.ucd.ie/research/people/philosophy/professorrowlandstout/

(15) Stout , Rowland (ed.) (2005): Action, 1st Ed, United Kingdom : A cumen publishing limited, p2 ph4 .

٢٠٠٣)[□] فيقول : "يتعقل العقل أى فعل فقط عندما يقودنا هذا الفعل إلى رؤية شئ ما مثل يرى ، يفكر ، يريد ، يندهش ، يوافق . فلا يمكن لنا تفسير أى فعل من خلال ارتباطه بفاعله فقط ، فيجب إذن الاتجاه نحو إدراك موضوع هذا الفعل ."[(١٦)]وبالتالى ، فالإنسان فى فعله يمكن أن يكون لديه نوع من الاتجاه الخاص نحو أفعال خاصة بنوع حقيقى ، حيث يتضمن هذا النوع الرغبات ، والآراء الأخلاقية والمبادئ الجمالية ، والقيم والاعتقادات ، وجميعها تمثيلاً لاتجاهات العامل مباشرة نحو أفعال خاصة بنوع يقينى .

ويعد دافيد سون نموذجاً من الفلاسفة الذين يذهبونإلى تفسير الأفعال فى حدود الذاتية الأمر الذى يفسر قوله :" تعد الرغبة مبدأً للفعل مما يفسر كون الاعتقادات والرغبات أسباباً وأماناً لأنها تتوافق مع الطبيعة القصدية للأفعال . فلا يتغير الفعل فى طبيعته بوصفه عقلياً ولكنه يتغير ظاهرياً من خلال تغير مفهومه ."[(١٧)]ومن ثم ، يتم تفسير الأفعال والعامل فى حدود العقلانية أو اللاعقلانية عندما يكون مفهوم الفعل ذاتياً ، وعندما يكون مفهومه موضوعياً فسوف يكون تفسير الفعل والعامل فى حدود الواقع .وبالتالى ، يعتمد دافيد سون

□دافيدسون d.davidson (١٩١٧-٢٠٠٣) هو فيلسوف امريكى تتركز اهتماماته البحثية فى مجالى العقل واللغة . ويقرر دافيدسون أن الاعتقادات الحقيقية هى التى تتطابق مع إعتقادات آخرى ، ومن أهم مؤلفاته : فى فكرة المقولة التصورية ١٩٨٤، المحتوى التجريبى ١٩٨٦، نظرية تطابق الصدق والمعرفة ١٩٨٦، مقالات فى الأفعال والاحداث ٢٠٠١.

راجع :

Leopre, Ernest (1999): Donald Davidson ،In Jonathan Dancy and Ernest Sosa (eds.) (1999),A companion toEpistemology 1st ed, Oxford: Blackwell publishers Ltd , pp 87- 88.

(16) Davidson, Donald(ed.) (2001): Essays on Actions and Events , 2nd Ed, Oxford : Clarendon press, pp 3-4 .

(١٧)شندى ، صبرى عبدالله (٢٠١٢) : المعرفة والاعتقاد فى فلسفة العقل عند تيموثى وليامسون ، مجلة هرمس ، عدد١، جامعة القاهرة : مركز اللغات والترجمة ، ص ١١٨.

على المبادئ الذاتية من أجل إيضاح سببية الفعل ، أما تيموثى فيتناول الفعل فى حدود السببية المعرفية بحيث لا توجد هذه السببية فى حالة ارتباط الفعل بالاعتقاد الذاتى .

فيذهب تيموثى أيضاً إلى التأكيد على العلاقة بين الفعل والفاعل من خلال إيضاحه للعلاقة بين العقل والعالم ، وبين الفعل والعالم فيقول : " تتطلع الرغبة فقط نحو الرضا كما يتطلع الاعتقاد نحو الحقيقة فقط . ومن ثم، فالفعل طريق منظم نحو إشباع الرغبة كما تكون المعرفة طريقاً منظماً نحو الاعتقاد الحقيقى على الرغم من وجود رغبة دون فعل أو اعتقاد دون معرفة ."[١٨] وبالتالى ، فعندما يتوافق العالم مع العقل يكون الإنسان فى حالة الفعل ، وعندما لا يحدث ذلك يكون العقل موطناً للرغبة ، ومن ثم، تتطلع الرغبة إلى الفعل ، وهكذا، فإن العلاقة بينها تخلق نوعاً من التوافق بين العقل والعالم .

فى حين ، يمكن أن يدرك الإنسان الرغبة بوصفها مبدأ الفعل –وفقا لأرسطو Aristotle(٣٤٨–٣٢٢) ق. م– فأى فعل للإنسان ينتج معرفته بالوقت يكون عن رغبة – فلكى يعرف الوقت يدرك أنه عن طريق النظر إلى ساعته فسوف يكون مشبعاً لرغبته ولذلك ينظر إليها – وهو ما يسميه أرسطو بالتعبير الغرضى الطبيعى ؛ بمعنى " يعد التعبير الطبيعى الخاص باعتقادالعامل هو النظر إلى ساعته سوف ينتج معرفته بالوقت." [١٩]وبالتالى، فإن هناك علاقة بين الرغبة والفعل وارتباط الرغبة بالاعتقاد يصنع فعلا بناءً ، حيث تكون الرغبة والاعتقاد سبباً للفعل ، وأن أى شخص يكون لديه رغبة واعتقاد لأى حدث فسوف يكون كافياً لتفسيره .

---

(18) Williamson, Timothy (ed.) (2000): knowledge and its limits, op.cit., p1 , ph2.

(19)Davidson, Donald (2001): How is weakness of the will possible?, In Donald Davidson (ed.) (2001), Essays on Actions and Events, 2nd Ed, Oxford : Clarendon press, P 31 ph2.

فى حين ، يذهب تيموثى إلى أنه على الرغم من أن الرغبات يمكن تلبيتها من خلال الفعل أو الصدفة ، بحيث لا يوجد سبب لتبرير مقولات الفعل فى عملية الفهم الخاصة بالعقل فيقول:" تعتمد مكانة الرغبة فى تنظيم الحياة العقلية على اتصال الرغبة المباشر بالفعل . "[٢٠]ومن ثم، فالفعل فى العالم هنا ليس فعل الإرادة بحيث يكون سبباً لحركة البدن وتغير العالم .

وبالتالى ، يرى الباحث أن تيموثى يتجاوز وجهات النظر التقليدية الخاصة بالفعل ، فمعظم فلاسفة العقل الآن يرفضون ثنائية ديكارت الميتافيزيقية حيث جعلت العقل مختلفاً عن المخ ، كما أنهم يرفضون ما ذهب إليه أيضاً فى الفعل –وفقاً لما لديك من فعل ذهنى وقبلى للإرادة– قبل أن يبدأ الجسم فى الحركة .

ويختلف تيموثى أيضا فى تناوله للفعل عن أرسطو الذى تناوله من منظور أخلاقى فيقول مارك دومانسىMarc Dominicy : " يحدد أرسطو أننا نميل أكثر إلى الذم منه إلى المدح ، وذلك لأننا ليس لدينا سبب لعملية الفعل . وبالتالى ، يكون من السهل أن نذم المحركات من أجل النتائج غير المقصودة الخاصة بأفعالهم السيئة ، لأنه فى أية حالة تكون رذائلهم هى السبب النهائى لما حدث . ولكن عندما نواجهأى فعل حسن فإننا نكون فى حرية دائماً لكى نبحث عن الأسباب ."[٢١]

---

(20) Williamson, Timothy (ed.) (2000): knowledge and its limits, op.cit., p1, ph3.

(21) Dominicy , Mark (2008): Epideictic rhetoric and the representation of human decision and choice , In KepaKorta and Joana Garmendia (eds.) (2008),Meaning , Intentions, and Argumentation , 1st Ed, California: Center for the study of language and information, p 200 , ph3 .

وبالتالى ، يوجد اختلافاً بين أفعال الذم وأفعال المديح حيث أن الأولى تكون ناتجة بالضرورة عن الفضيلة الأخلاقية الحسنة والخاصة بالفطنة والحذر ، والثانية ناتجة عن السمة الأخلاقية الرذيلة ، وترتبط هذه الأفعال بكيفيات اجتماعية وبيولوجية تكون سبباً لكى يقوم الفاعل بفعله بطريقة فاضلة دون الحاجة إلى الحذر ومن ثم ، تجعل هذه الكيفيات المحرك فى حالة أفعال جيدة يقينية يمكن تفسيرها بوصفها أفعالاً للمدح حتى لو لم تتضمن دلالة عقلانية وهكذا ، تشكل هذهالأفعال معياراً للعقلانية .

٢- العالم . world

يعد مصطلح العالم هو أحد المصطلحات الفلسفية التى تم تناولها من قبل العديد من الفلاسفة ، ومن ثم ، فإن له العديد من المعانى ففى بعض السياقات يشير هذا المصطلح إلى العالم العقلى " وهى جملة ما يتصل بالذهن والتفكير من ماهيات ومُثل" [٢٢] ، ويمكن أن يشير إلى العالم الحسى " وهو مجموع الأشياء التى يمكن ان تدرك بالحواس " . [٢٣]

ويمكن أن يشير إلى عالم الممكنات فيذهب البعض إلى أنه " تعد رؤية العوالم ممكنة والتى يمكن تحديدها عن طريق الكيانات اللغوية إنما يرجع إلى كارناب Rudolf Carnap (١٨٩١-١٩٧٠) عام ١٩٤٧ ، وجيفرى Jeffrey McDonough عام ١٩٦٥ ، هنتيكاJaakko Hintikka (١٩٢٩-٢٠١٥) عام ١٩٦٩ هؤلاء الذين ذهبوا إلى كل علم ممكن يمكن للإنسان تحديده عن طريق مجموعة من الجمل و الاسماء ومعانيها الخاصة بلغة العالم

(٢٢) مدكور، ابراهيم: المعجم الفلسفى، مادة العين : العقل ،الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ، القاهرة ،١٩٨٣ ، ص ١٩٠.

(٢٣) نفس المرجع .

الممكن .[٢٤] وبالتالى ، تلعب اللغة دوراً هاماً فى إبداع عوالم ممكنة وربما تكون أكثر كلية وشمولية من الواقع الفعلى.

فى حين ، ربما يشير إلى العالم الخارجىفيذهب جورج باباس George pappas (١٩٤٢-)[*] إلى أنه " يتكون العالم الخارجى من كل الموضوعات والأحداث التى توجد خارج المُدركين perceivers ."[٢٥]وبالتالى، تختلف هذه الموضوعات والأحداث من مُدرك لأخر . مما يفسر كون المُدركين كيانات تشغل مكان فيزيائى ، وذلك لأن لديهم بناءات من هذه الموضوعات والأحداث التى تشغل هى الآخرى المكان الفيزيائى .

ويعد المذهب الواقعى هو أحد الاتجاهات الفلسفية التى تقوم على العالم الخارجى بحيث يدعى أن الموضوعات والأحداث فى العالم الخارجى يكون لديها سمات مختلفة ، كما أنها توجد مستقلة عن الإنسان وعن أفعالة الإدراكية ، كما يؤكد هذا المذهب على المعرفة المباشرة .

فيذهب باباس إلى أن هذه النظرية تعتمد على الموضوعات والأحداث فى العالم الخارجى بحيث يعتمد بعضها على أية معرفة آخرى فيقول :" تكون المعرفة هنا غير مباشرة مع موضوع المعرفة ، ومن ثم ،ترى هذه النظرية ضرورة فى إدراك الموضوع فى التجربة المباشرة ، أى إدراك ما يظهر من

(24)Melia, Joseph (2001) : Reducing possibilities to language , IN analysis ,vol 61 , no 1, pp 19-20 .

[*] جورج باباس George pappas (١٩٤٢-) هو استاذ الفلسفة جامعة ولاية اوهايو تتركز اهتاماته البحثيه فى مجال الفلسفة المعاصرة والابستمولوجيا ، ومن أهم مؤلفاته : التبريروالمعرفة (١٩٧٩)، إعتقادات بركلى (٢٠٠٠) ومشكلة العالم الخارجى (٢٠١٠).

راجع : https://philosophy.osu.edu/people/pappas.1

(25) Pappas, George (2010) : the problem of external world , In Jonathan Dancy and Ernest Sosa (eds.)(2010), A companion to Epistemology, 2nd Ed, Oxford: Blackwell publishers Ltd, p628, ph 1.

الموضوع .[٢٦] وهكذا ، تصبح المعرفة خاصة بالظاهر الجزئى ولكن عندما تكون المعرفة كليه حينئذ تكون غير مباشرة .

فى حين ، يقصد تيموثى بالعالم البيئة الخارجية environment والتى تكون هدف الإنسان فى المعرفة ، وموضع الدليل ، كما أنها ذات أهمية في عملية المعرفة ، فلا يمكن للشخص أن يعرف دون أن يكون فى موضع يمكنه من المعرفة وهذا الموضع لا يمكن أن يكون إلا فى العالم الخارجى و ومن ثم، فهو يختلف مع المذهب المثالى ، والواقعى .

٣- الدليل . Evidence

يقصد بالدليل –وفقاً للمعجم الفلسفى– هو " الحجة والبرهان ، والغرض منه أن يتوصل العقل إلى التصديق اليقينى بما كان يشك فى صحته ." [٢٧] وبالتالى ، أصبح الدليل هو كل ما يقود الذهن إلى التسليم بحقيقة قضية ما .

ويختلف شكل الدليل فيمكن أن يكون قياساً كما فى حالة الانتقال من الكلى إلى الجزئى ، ويمكن أن يكون الدليل استقرائياً كما فى حالة الانتقال من الجزئى إلى الكلى ، ويمكن أن يكون غير مباشر كما فى إثبات أحد الفروض التى تتعلق بأحد الموضوعات من خلال إبطال جميع الفروض الآخرى الممكنة ، وإماأن يكون وجودياً كما فى حالة إثبات وجود الله عند ديكارت ، ويمكن أن يكون كونياً أو طبيعياً مثل الاستناد إلى وجود العالم فى إثبات وجود الله ، وبالتالى ، يعد الدليل هو الوسيلة التى يمكن من خلالها الوصول إلى معرفة الحقيقة .

---

(26) Pappas, George (2010) : the problem of external world,op.cit.,p629 ph5.

(٢٧) صليب ، جميل : المعجم الفلسفى،مادة الدال : الدليل ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٦٤ .

فى حين ، يقصد تيموثى بالدليل أنه " الدليل المدرك حسياً ."[٢٨] فلم يعتمد تيموثى على الأفكار العقلية المبررة بوصفها دليلاً على معرفته بشئ ما ، واعتمد على الدليل المادى المدرك حسياً ؛ بمعنى أن الدليل لديه يساوى المعرفة ، وبالتالى، أى افتراض لا يكون متسقاً مع الدليل لو أن هذا الافتراض يتناقض مع المعرفة ، ومن ثم ، يقرر دليل الإنسانالاعتقاد بشئ ما لو أن معرفة هذا الشئ تقرر هذا الاعتقاد . حيث يرى أنه عند الاعتماد على الأفكار العقلية المبرر يكون الإنسان فى حالة اعتقاد وعندما يأتى الإنسان بدليل مادى على هذهالأفكاريكون هنا فى حالة تقرير ، وتقوم المعرفة بتقرير هذا الاعتقاد وتأكيده ، على أساس أن هذه الأفكار المبررة ما هى إلا استنباطات عقلية لا تمثل أى استنتاج فعلى سبيل المثال : ربما يكون شخص ما مبرراً اعتقاده ويعتبر صادقاً بأن شخص ما آخر قاتل من خلال رؤيته له يخرج من الحجرة التى اكُتشفت بها الجريمة يمسك سكين ملطخاً بالدماء ، فى حين يمكن أن تكون الحقيقة غير ذلك.

ويعرض تيموثى أهمية معرفة أشكال الدليل المادى حيث يجد أهميته تكمن فى أغراض ممكنة ، فمن خلال عملية مقارنة الحالات الخاصة بالافتراضات وعلاقتها بالبناء الكلى للدليل مع حالاته وعلاقتها بالنتيجة الخاصة بعملية محو الجزء الخاص بالدليل فى التساؤل من خلال البناء الكلى للدليل وهذه النقطة تؤدى إلى شكل يدعى مشكلة الدليل القديم الأمر الذى يؤكده قوله : " يساعد الدليل فى فصل حقيقة مشاركة الأجزاء الخاصة المكونة للدليل عن التبرير الخاص بالافتراضات الخاصة ." [٢٩]

(28) Williamson, Timothy (2011) : Philosophical Expertise and the Burden of Proof , IN Metaphilosophy ,vol 42 ,no 3, p7 ph2 .

(29)williamsom,tiomthy (ed.) (2000): knowledge and its limits, op.cit., p10 ,ph2.

٤- التمايز والاختلافDiscrimination

يقول تيموثى :" يتضمن الفعل " تمييز" معنى فعال أكثر من كونه معنى نحوى خالص . فالتمييز هنا إذا ارتبط بشئ ما أكثر من ارتباطه بالفعل الذهنى وإلا ظل فى أدنى درجات التعبير."[٣٠]حيث يكون لعملية التمييز على الأقل عاملاً معرفياً a cognitive component ، وفى نفس الوقت ، وربما يؤدى التمييز وما يشترك معه إلى الوقوع فى الخطأ أو الجهل لأنه لا يزال نوعاً من الوصف العملى ومثال على ذلك : إذا فشل شخص ما فى التمييز بين طولى خطين بحيث يمكن تحديد أيهما الأكثر طولاً ، فإن هذا الفشل يرجع إلى عدم القدرة فى إيجاد الاختلاف الحقيقى ، وهذا الفشل ناتج عن خطأ فى الإحساس الذاتى ، وبالتالى ، فهذا الخطأ يسمى خطأً معرفياً ومن ثم ، يكون التمييز فعلا معرفياً .

كما يذهب تيموثى إلى أنه " يتضمن التمييز حالات وعمليات . فحالة الوجود the state of being قادرة على أن تميز العملية الخاصة بالتمييز ، كما أن حالة الوجود قادرة على أن تدرك العملية الخاصة بالإدراك وبالتالى ، فإن عملية التذكر هى نوع خاص بفعالية الحالة وبالتالى ، ترتبط القدرة على التمييز مع حالة المعرفة . "[٣١]ومن ثم ، فبما أن المعرفة تنتج الحقيقة ، كما أن فكرة التمييز بوصفها معرفة مؤثرة خاصة بالتمييز ، فسوف يبدو التمييز مساوياً للظواهر المعرفية المختلفة فعلى سبيل المثال : لكى يميز الإنسان بين a ، b فإن هذا يكون تفعيلاً للمعرفة وإقراراً بأن a ، b مختلفين ، ومن ثم ، طالما أن الإنسان لا يستطيع التمييز بين a ، b فهو لا يمتلك المعرفة بأنهما يكونا مختلفين من حيث الفعالية to be activated .

---

(30) _____ (ed.) (1990): Identity and discrimination, op.cit., p5 ,ph3.

(31) Ibid, p6 ph4.

وهكذا ، يأتى التشابه بين التمييز والمعرفة من الفرض أن ما يوجد هو تفعيل المعرفة ، فعندما يتذكر شخص ما أن غداً هو يوم ميلاده ، وأن هناك حالة وجود قادرة على تذكر ذلك ، أصبح التذكر هو نوع من فعالية حالية وبالتالى ، أصبح يرتبط بالقدرة على التمييز .

وبالتالى ، أصبح التمييز هو الأقرب إلى المعرفة knowledge منه إلى الاعتقادbelief ، وهذا ما يؤكده قول تيموثى :" التمييز الكاذب يشبه المعرفة الكاذبة ولا يشبهالاعتقاد الكاذب ، حيث يكون التمييز الكاذب متناقضاً فى الحدود ، فإذا استطعنا وصف التمييز بوصفه معرفةً فسوف نكون فى موضع يفسر كلاً من سبب عدم وقوع التمييز فى خطأ وسبب ارتباطه مع الجمل والخطأ"[٣٢].حيث أن التمييز يستند إلى الدليل حتى يكون تمييزاً صحيحاً ، كذلك تستند المعرفة إلى الدليل من أجل تقريرها ، وبالتالى ، فالتمييز يمثل نوعاً من الإدراك .

الأمر الذى يفسر ،اعتبار تيموثى أنه "عندما لا يستطيع الإنسانأن يميز بين شيئين مختلفين ، هذا لا يعنى بالنسبة له أن هذين الشيئين متماثلان ولا أن كل شئ عن أحدهما يكون مماثلاً لكل شئ عن الآخر ، وذلك لأن التمييز هنا لا يكون على شئ كلى ."[٣٣]ومن ثم ، تصبح قدرات الإنسان هى التى تتحكم فى تمييزه للأشياء وبالتالى ، تصبح القدرة على التمييز نسبيه بحيث أنها تختلف من فرد لأخر ، وبالتالى ، تصبح القدرة على التمييز ذاتية ومن ثم، ينتج عنها معرفةً ذاتية.

ومن ثم ، " لا يمكن استخدام كلمة " التمييز " مع مفاهيم الاستجابة إلى المثير. وذلك حتى لا ترتبط عملية التمييز بالمعنى غير المعرفى non-

(32) Williamson ,timothy (ed.) (1990): Identity and discrimination, op.cit, p6 ph2.
(33) Ibid, p22 ph1.

cognitive sense." [٣٤]وبالتالى ، فإن العمليات غير المعرفية ترتبط بمجالات الاستجابة للمثير .على أساس أنه طالما أن المعرفة ذاتية فلا بد وأن تكون غير خاضعة لمؤثر ، لأنها بذلك تصبح غير ذاتية وتصبح معرفة الإنسان هى المعرفة الخاصة بصاحب التأثير ، وبالتالى ، يفقد التمييز طابعة الذاتى.

يذهب تيموثى إلى أنه " نستطيع معرفة شيئين مختلفين وذلك بناء على وجودهم فى أماكن مختلفة حتى لو يمكننا أن نفهم أنه لا يوجد كيفية qualitative مختلفة بينهم ."[٣٥] ومثال على ذلك: لو يقف شخص ما بين شخصين A ، B فيمكن بسهولة أن يعرف أيهما يقف على يمينه وأيهما يقف على يساره .

وبالتالى ، يختلف تيموثى مع فاركس حيث تذهب إلى أن " القدرة على التمييز تشير إلى المعرفة الفعالة على أساس أن التمييز الفعال يشارك أى حكم يدرك بعض الموضوعات والتى تكون حاضرة فى الفاعل ."[٣٦]ومن ثم ، تعتمد إمكانية التميز الفعال على الطريقة التى بها تكون موضوعات التمييز حاضرة ، فالأشياء تكون متمايزة تحت عرض واحد وليس تحت آخر . فمثلاً ، يمكن لأى شخص تمييز لون فازتين فى ضوء النهار ولا يمكن له ذلك فى الظلمة .

فى حين ،يقرر تيموثى أنه ليس من الصواب تماماً أن تقع عملية المماثلة بين عملية التمييز وعملية المعرفة ، على أساس أن السابق يعد عملية واللاحق يشبه حالة الاعتقادفيقول:"ربما يستخدم البعض الإدراك recognition والحكم judgment للتعبير عن عمليات التشابه بين المعرفة والاعتقاد ، وبشكل

(34) Ibid., p5 ph4.

(35)Williamson , timothy (ed.) (1990): Identity and discrimination, op.cit., p21, ph3.

(36) Farkas ,Katalin (ed.) (2008): The subject's point of view , 1st Ed, oxford: oxford university press , p102, ph1.

نسبى ، ويمكن أن يكون الحكم كاذباً وليس الإدراك . وكما تنتج المعرفة اعتقاداً ، فإن الإدراك ينتج حكماً . وبناءً على هذه الفروض يكون التمييز نوعاً من الإدراك وليس نوعاً مجردا ً من الحكم ." [٣٧]ومن ثم ، لا يتوافق كل نوع من المعرفة مع كل نوع من التمييز ، فالإنسان عندما يتكلم عن الكواكب لا يعنى بالضرورة أنه قراء عن الفضاء بشكل عام ، وبالتالى ، تكون كلمة تمييز هى سياق نسبى context –relative بينما تكون أنواع المعرفة ذات معنى فى مختلف الأنساق ، فكلمة معرفة لا يمكن استخدامها بهذه الطريقة النسبية ؛ بمعنى أنها تقرأ بوصفها غطاء ثابت من أجل كل نوع مناسب . وبالتالى ، فإنه على الرغم من أن التمييز بين a ، b ينتج معرفة أن a ، b يكونا مختلفين ، فليس كل معرفة تنتج تمييزاً بالمعنى السياقى على أساس أن المعرفة يمكن ألا تصدر من مصدر حقيقى .

ثالثاً – الأسس النقدية :

١- الحقيقة Truth

يشير مصطلح الحقيقة إلى معانى عدة ، فحقيقة الشئ هى ماهيته ، أو أنها تشير إلى قدرة العقل فى التمييز بين ما هو موجود وما هو غير موجود ، ومن الفلاسفة من ذهب إلى ربط الواقعية بالحقيقة . فيذهب ولفرام هينز wolfram Hinzen أنه" تعد كلمة حقيقى هى الكلمة التى تتضمن معنى ، وهذا المعنى الذى نسميه مفهوماً فالمفهوم هو معنى الكلمة ، كما أن الحقيقة

(37) Williamson, Timothy (ed.) (1990): Identity and discrimination, op.cit., p6 ,ph3.

ولفرام هينزنwolfram Hinzenهو أستاذ الفلسفة فى جامعة دورهام يرى أن الاختلاف فى القواعد النحويه يصنع تنظيماً فى عقل الإنسان وأن هذه القواعد هى خاصية جوهرية فى عالم الحيوان وعلى هذا الاساس تتركز اهتماماته البحثية حول المنظومه الداخلية للغة ومن أهم مؤلفاته : مقالاً حول الاسمية والصدق (٢٠٠٧) ، اللغة والاعتقاد (٢٠٠٩) ، التركيب فى الذرة (٢٠١٢) ،العقل واللغة (٢٠١٣)

راجع :https://www.dur.ac.uk/philosophy/staff/?id=4296

إنما تعنى الجزء الخاص بقدراتنا الكلية على الحكم .[٣٨] وبالتالى ، فإن هينزن يفهم الحقيقة بمفهومها المثالى التقليدى ، وكيف أنها ترتبط ارتباطاً وثيق بالحكم وبالتالى ، بالاعتقاد ومن ثم ، فهى تختلف مع ذهب إليه المذهب الواقعى .

ويرى الفيلسوف الواقعى أنه توجد خاصية للوجود الحقيقى ، وأن الحقائق لا تعتمد بأى طريقة على العقول أو الوعى ، ولكنها تعتمد على ما يدركه الإنسان من الخاصية العلائقيةRelational بالوجود الحقيقى ، والتى يكون العقل فيها مستقلاً . فيذهب فمرتونRichard Fumerton(١٩٤٩-)[٣٩] إلى أن"الحقيقة الواقعية إنما تكمن فى استقلال العقل ؛ بمعنى أن يكون مصدر قيمة الصدق هو الشئ الذى يمكن أن يوجد فقط إذا كان الوعى موجوداً ، وأما الواقعى الذى يرى أن الاعتقادات والأفكار هى المصادر الأولى للحقيقة فإنه ينكر أن الحقيقة هى استقلال العقل ."[٣٩]ومن ثم ، فإن فلاسفة المذهب الواقعى يرفضون أن تكون الحقيقة مصدرها العقل وبالتالى، فهم يرفضون الحقائق التحليليةاعتماداً على أنه لا يمكن التحقق منها واقعياً .

---

(38) Hinzen , Wolfram (ed.) (2007): An essay on named and truth , 1st Ed, oxford: oxford university press , p8, ph1.

[٣٩] ريتشارد فرمتون Richard Fumerton(١٩٤٩-)هو استاذ الفلسفة فى جامعة لوا وتتركز اهتماماته البحثية حول فلسفة العقل والابستمولوجيا والميتافيزيقيا وفلسفة القيم محاولاً الكشف عن المشكلات الميتافيزيقية والابستمولوجيه الخاصة بالادراك الحسى والبحث عن ما قبل الابستمولوجيا وبمناقشة المذهب الشكى ومن أهم مؤلفاته : الابستمولوجيا (٢٠٠٦)، الفلسفة خلال فيلم (٢٠٠٩) ، المعرفة والاعتقاد والحالة منأجل الثنائية (٢٠١٣) .

راجع :https://clas.uiowa.edu/philosophy/people/richard-fumerton

(39) Fumerton , Richard (ed.) (2002) : Realism and the correspondence theory of truth : studies in Epistemology and cognitive theory, 1st Ed,United state of America : Row man and Littlefield publishing , p 17 , ph 3 .

فى حين يذهب هلارى بتنام Hilary Putnam (١٩٢٦-٢٠١٦) إلى أنه "يرى فلاسفة المذهب الخارجىأن الحقيقة تعتمد على كل الملاحظات الممكنة ، والتى لا يحدد الصدق بأنها قبلية عقلياً."[٤٠]حيث أن الصدق هو سمة حالة واقعية لا يمكن فقدها ، بينما يمكن فقد التبرير .وهو عكس ما يذهب إليه هو حيث يرى أن الصدق إنما هو مثالية خاصة بالقبول العقلى .

بينما يذهب ليزلى ستيفينسونLeslie Stevenson(١٩٠٨-١٩٧٩)إلى أنه " ميز كنت انطولوجياً بين ثلاثة أنواع من الحقائق وهى : موضوعات مزعومة ، وموضوعات خاصة بالواقعة ، وموضوعات خاصة بالإيمان ."[٤١] وبالتالى ، فإن كنت اتجه إلى القول بأن الزعم يكون خاصاً فقط بالأمور التجريبية ، وأما المعرفة تكون خاصة بالواقعة التى يمكن أن تكون إما قبلية وبالتالى ، تكون خاصة بالمنطق والرياضيات ، وإما أن تكون بعدية ومن ثم ، تكون خاصة بالأمور التجريبية ، بينما الإيمان يكون خاصاً بموضوعات التى لا تكون خاصة بالمعرفة أو الزعم والأوهام.

وهكذا ،تعد الحقيقة لدى تيموثى يمكن أن تكون مصدرها العقل ولكن بشرط أن يكون هناك دليلاً واقعياً عليها ويحدد تيموثى مفهوم الحقيقة فيقول :" لا تعد الحقائق الفلسفية ، عموماً ، حقائق خاصة بالمفاهيم أو الكلمات . فليس من المعقول أن تكون كل الحقائق هى حقائق خاصة بكلمات أو بمفاهيم حتى لو

(40) Putnam, Hilary (ed.) (1981): Reason, Truth and History , 1st Ed, Oxford: Cambridge university press, p55 ph2.

(41) Stevenson ,Leslie (2003) :opinion,belief or faith, and knowledge , In Kantian Review ,vol 7,p87ph2.

كانت هذه الكلمات تلعب دوراً خاصاً فى شرح حقيقتها . حيث أنها ممكن أن ترتبط بأى شئ أخر فالشئ المهم هنا أن الإنسان يقر بأنه يعرف أن ."[٤٢]

ويدمج تيموثى نوعى الحقيقة إلى نوع فقط وهو الحقيقة التركيبية فيقول : " تكون الحقائق التحليلية والتركيبية حقيقة بالمعنى الأساسى لكلمة حقيقة و والذى يكون متوافقاً مع حقيقة وجودهم بمختلف الطرق تماماً مثل وجود أم و وجود أب يكونوا طرقاً مختلفة لوجود الأبوين . ولا يكون مصطلح الأبوين غامضاً بين الآباء والأمهات . ولكن لا يكون الاختلاف التركيبى التحليلى فى السيمانتيكا اختلافاً بين الطرق المختلفة لوجود الحقيقة أى أنه اختلاف بين بعض الحقائق وحقائق آخرى ." [٤٣]حيث أن الارتباط بين الحقائق التركيبية والحقائق التحليلية هو نفسه حقيقة تركيبية ، ولديه كل العلاقات الارتباطية المطلوبة بوصفها نتيجة منطقية ، وبالتالى ، فهناك علاقة دائماً بين الحقائق التحليلية والحقائق التركيبية على الرغم من اختلاف مصدر كل منهما .

ومن ثم ، يرفض فإن تيموثى تفسير الفيتشيجيون لمفهومهم عن الحقائق التحليلية واعتبره أسوئ تفسير لأن الحقائق التحليلية لا يمكن أن تكون فقط مجرد اشتراطات وجمل مركبة تشير إلى معنى مجرد لا يمكن التحقق منه ، ولا ترتبط مع الحقيقة التركيبية فيقول :" تشترك الحقائق التركيبية والتحليلية فى معنى "حقيقة " والتى ينبغى أن تكون واضحة".[٤٤]ويصف الفيتشجيون الحقائق التحليلية بأنها اشتراطات stipulations ، ومفاهيم ضمنية ، وقواعد ناكرة للتركيب النحوى ، فهى ليست تقرير حقيقة ولكن شئ ما يشبه المزج ، مثل حديثك عن حقيقة

(42)Williamson, Timothy (ed.) (2004): The philosophy of philosophy, 1st Ed, oxford: Blackwell,p48 ph2.

(43) _____ (ed.) (2004): The philosophy of philosophy ,op.cit., p58ph2.

(44) ibid.,p54ph2.

بوصفها مرتبطة مع حقائق تكون ميتافيزيقية ، وبالتالى ، فهى تعد أسوء صورة لتحليل الحقائق .

ويذهب تيموثى إلى أن " فى المفاهيم الميتافيزيقية تختلف الحقائق من التحليل إلى التركيب حيث يكون الصدق التركيبى هو حقيقة لأنها تعنى ماذا تفعل ؟ وماذا تكون الأشياء مثل ما يتطلبه المعنى. " (٤٥) ومثال على ذلك :القول بأن كوكب المشترى هو أكبر كواكب المجموعة الشمسية حجماً .وبالتالى ، فإن المعنى يجب أن يكون مفهوماً ، وأن يكون المفهوم محدداً ، وأن يرتبط المفهوم بالواقع ، وأن توجد حالة معرفية من أجل تحقيق الفهم .

ومن ثم ، يقرر تيموثى أن" معرفة أى حقيقة لا تحتاج لأن تتضمن معرفة صانعها ؛ بمعنى يمكن للإنسان أن يعرف بدون معرفة أن عدم الارتباط disjunction يكون صادقاً " (٤٦) وبالتالى ، فإن هذا الأمر يؤكد على أن الصدق التحليلى يكون معناه كافياً من أجل الصدق فقط .

٢- الاحتمال

أ- مفهوم الاحتمال

يقول تيموثى :" كانت لنظرية الاحتمال theory of stoic الخاصة بالمعرفة تركيزاً واضحاً على الهجوم الشكى skeptical attack ، واستنتاج تناقضات واضحة المعنى بشكل خاص ." (٤٧) حيث كان التصور الرئيس للمعرفة الاحتمالية خاصاً بالانطباع الضمني- المعرفى - cognitive ، وهذا الانطباع هو شئ يشبه الوضوح والتمايز الديكارتى للفكرة . فالانطباع الضمنى

(45) Williamson , timothy (ed.) (2004): The philosophy of philosophy ,op.cit.,p58ph3.

(46) ibid., p60ph2.

(47) Williamson , timothy (ed.) (1994): Vagueness, 1st Ed, London and New York: Routledge, p11 ph3.

لديه مضمون افتراضياً فهو مثل استنتاج موضوعات واقعية تشتمل على درجه كبيرة من الدقة .

وبالتالى ، تعد الانطباعات الضمنية أساساً لفكرة الاحتمال الخاصة بالمعرفة الممكنة حيث أن الشكاك ربما يذهبواإلى تأسيس سلاسل من التناقضات من الانطباعات الضمنية ومن أيضاً الانطباعات غير الضمنية ، واستبدال كل انطباع بآخر غامض ، واتخاذ منها احتمالات غير محددة أطلقوا عليها معرفة .

ويذهب كل من تفرسكى وكانمان Deniel Kahneman(١٩٣٤-) و Amos Tversky (١٩٣٧-١٩٩٦) إلى القول بأنه : " يمكن التعبير عن الاعتقادات الخاصة بالأحداث غير اليقينية فى شكل عدد مثل الاحتمالات الفردية odds أو احتمالات ذاتية subjective probabilities and."[٤٨] وبالتالى ، يعد الاعتقاد لدى هذين الفيلسوفان هاماً لاعتماد الكثير من الناس عليه فى تفسير القضايا .

ويرى بعض الفلاسفة إلى أن الاعتقاد يمكن معاملته بوصفة احتمالاً ، فيمكن لشخص ما أن يعتقد أن هذا الدواء ساماً ، ويمكن له ألا يعتقد ذلك ومن ثم ، ظهر ما يسمى باحتمالية التقرير و الاحتمالية الغرضية فالأولى تقرر وجود الاعتقاد أو عدم وجوده مثل القول الدواء يكون ساماً والثانية تحدد مدى احتمالية وجود درجة الاعتقاد ؛ بمعنى أنها توجد فى اعتقاد شخص مثل القول بأن الدواء يكون خضروات . فى حين يذهب تيموثى إلى أنه " يمكن للاعتقاد أن يكون عقلانياً فى حالة قيام إمكانية الاحتمالية الشرطية على حقيقة ما يعرفه شخص

(48)Tversky Amos and Kahneman , Deniel (1993): probabilistic reasoning , In Alvin I Goldman (ed.) (1993) ,Readings in philosophy and applications of cognitive science, 1st Ed, oxford: west view press, p 65ph1 .

ما ."[٤٩] وبالتالى ، فإن الاحتمالية الخاصة باعتقاد ما تعتمد على ما يعرفه الشخص ويمكن إدراكه فى مواقف مناسبة والتى يكون الاعتقاد فيها حقيقة.

ويتحدث تيموثى عن نوعاً من الاحتمالية وهى احتمالية الدليل فيقول : " تعد احتمالية الدليل الخاصة بأى فرض بالنسبة للإنسان هى شرطية واحتمالية الفرض فى الدليل الكلى له ؛ بمعنى أن المساواة بين دليل الإنسان ومعرفته المفترضة ، تكون شرطيتهاالاحتمالية فى معرفته الكلية ."[٥٠] وبالتالى ، تستقبل المعرفة احتمالية الدليل وهذه الحالة الأولى ، ومع ذلك ، لاتكون المعرفة معالجة بوصفها دليل غير قابل للبطلان ، فالنسبة للإنسان يمكن له أن يفقد أو يحصل على المعرفة بنفس القدر . وبالتالى ، ربما تكون احتمالية الدليل المستقبلة بالنسبة لى والخاصة بالمعرفة الحاضرة أقل من الحالة الأولى .

وبناءً عليه ، يرى الباحث أن تيموثى يطرح موقفه من الاحتمالية على الوقائع والافتراضات معاً ، إلا أن الاختلاف بينهما يكمن فى أن احتماليةالوقائع مادية وجزئية ومحددة ، واحتماليةالافتراضات غير مادية وكلية وغير محددة ، كما أن هذا الأمر يكشف عن قيمة دراسة الاحتمالات المعرفية عند تيموثى والتى يعتمد صدقها على مدى علاقتها بالدليل الواقعى القائم .

ب- المعرفة التقريبية

على الرغم من أن العقلانية لديها علاقة مع المنطق الاستدلالى إلا أن هذه العلاقة ليس من السهل توضيحها ، كما يصنع الوجود الشخصى الخارجى external individuationاستدلالاً واضحاً خاص بإمكانية التحقق غير التامة وهذا ما يذهب إليه تيموثى فى قوله : " لو أن الاستنتاج الناتج من العبارتين "

(49) Williamson,Timothy (ed.)(1994): Vagueness, Op.cit.,p245ph3.

(50) ibid., p10 ph3.

الجو هنا حار ورطب " ، " أن مكان ما هو حار ورطب " يكون مقبولاً فى أى سياق معطى يعتمد على أن كلتا الحالتين الخاصة ب " هنا " لديها نفس المضمون فى هذا السياق . فالشخص الذى يقبل الفرض المنطقى premises ويرفض الاستنتاج فهو يتجنب الوقوع فى التناقض ، لو أن النقاش يكون غير مقبولاً فقط . ولو أن المحتوى الخاص ب " هنا " يكون محددعلى الأقل فى جزء من خلال البيئة الخارجية ، فإن الإنسان ربما لا يكون فى أى موضع لأن يعرف لو أن الاستنتاج يكون مقبولاً. "[٥١] ومن ثم، ربما يكون الإنسان فى أى موضع لأن يعرف لو أن الاستنتاج يكون مقبولاً . كما أن الأمثلة السابقة تعد دلالية فقط ؛ بمعنى أن النقاش حول الوجود الشخصى الخارجى بوصفة يصنع إمكانية تحقق غير تامة تكون أقل كثيراً فى الدقة والبساطة لو أن هذا الوجود للمضمون الخاص بأى أحد لا يكون معروفاً بمرجعيته ، فلا يجب على الإنسان رفض مثل تلك الفكرة .

وبالتالى ، يتضح من القول حقيقة موقف تيموثى من كليات أرسطو حيث ينقد أرسطو فيما يسمى بعملية التجريد من أجل الكليات فى مقابل تقريره عملية تمثيل الوقائع الجزئية وهو ما يفسر كيف يتجه أرسطو للميتافيزيقا المفارقة واتجاه تيموثى نحو ميتافيزيقا الواقع – ميتافيزيقا المعرفة بالمعنى التيموثى- .

ويذهب تيموثى إلى التأكيد على حاجة الإنسان إلى الاحتمالات التى تقدم له بعض الممكنات اليقينية التى تؤكد عدم حقيقة الاعتقادات فيقول :" لا نحتاج نحن إلى أن نتعامل مع الممكنات بوصفها قبلية خالصة ، وذلك لكى نستطيع أن نبحث فى العلاقات التجريبية بين حالاتنا الخاصة بالاعتقاد وبين

(51) _____ (ed.) (2000): knowledge and its limits, op.cit., p16 ph2.

الحالات الخاصة ببعديه العالم ."[٥٢] وبالتالى ، فإن هذا البحث فى مثل تلك العلاقات مع الاعتقادات سوف تهز إدعاء الإنسان بالمعرفة من الداخل مثل الاعتقاد بحالة الطقس غداً. الأمر الذى يؤكد على ، أن الحجة يمكن أن تستخدم مثل هذه الممكنات التجريبية التى تكون مستقلة فى قيمها.

يقول تيموثى " ربما يحاول الإنسان أن يلاحظ عالم الممكن w والذى يكون الارتباط فيه صادقاً – حيث أن p تكون صادقة ولا أحد يعرف p– وذلك من خلال عالم الممكن *w والذى تكون فيه الحقيقة الخاصة بالارتباط فى عالم الممكن w غير معروفة ." [٥٣] وبالتالى ، تعد المشكلة مع هذه الخطوة هى أنها تدل فقط على معرفة عادية ، فالإنسان يمكن أن يحدد العوالم الممكنة من خلال الوصف ؛ بمعنى أنه فى العالم الممكن *w يمكن له وصف أى عالم بحيث تكون p تكون صادقة ، وبهذه الطريقة يعرف الإنسان أن p تكون صادقة فى مثل هذا العالم ، لكن من الصعب تحقيق ذلك . كما أن المعرفة الخاصة بالعوالم الممكنة الآخرى لا تضعف بشكل ملحوظ الحدود فى القابلية المعرفية كما فى تعريفات فيخته . حيث تستخدم حجة فيخته مبدأ التصنيف الذى يقرر أن المعرفة الخاصة بالارتباط تتضمن معرفة العلاقات الارتباطية . فعلى الرغم من أن المبدأ يبدوا مفترضاً بقوة ، إلا أن القليل من الأفكار الخاصة بالمعرفة لا تكون متعارضة معه .

(52)Williamson, Timothy (2007):Knowledge and Scepticism, In Frank Jackson and Michael Smith (eds.)(2007), The oxford Handbook of Contemporary Philosophy, Oxford :Oxford University press, P 685 ph1.

(53) Williamson, Timothy (ed.) (2000): knowledge and its limits, op.cit., p19 ph3.

الرؤية السردية للتاريخ في روايات "صنع الله إبراهيم"

ابتهال نظير نظير عبد المحسن

المعيدة بقسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب– جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٥

مقدمة البحث

عند قراءة أي عمل أدبي، فإنه لا يتم إدراك الأحداث المسرودة إدراكا مباشرا بل ندركها من خلال إدراك ساردها، وتحيل الرؤية أو وجهة النظر على مختلف أنواع هذه الإدراكات التي يمكن التعرف عليها داخل السرد، وتعكس وجهة النظر العلاقة بين الشخصية الروائية وبين السارد[١]. وجاء الاهتمام بـ "وجهة النظر" أو بعلاقة الروائي بالراوي وبموضوع الرواية، مرتبطا بالنظرة الحديثة إلى الرواية بوصفها "وحدة عضوية متكاملة" من ناحية، وصدى لدور الراوي/العارف بكل شيء من ناحية أخرى، فقد كان الراوي/الروائي يظهر ويختفي على مسرح الأحداث متى أراد، مما أخل بجو الإيهام بالواقع الذي كانت الرواية الواقعية تسعى إلى خلقه، أدى ذلك إلى لفت النظر إلى أهمية تحديد وجهة النظر في الرواية أي تحديد دور الراوي وارتباطه بنواحي الرواية المختلفة[٢].

وتنوعت أساليب الروائيين للإيهام بالواقع واختلفت وسائلهم لتحقيق ذلك. فمنهم من أوغل في الإيهام فاستخدم صيغة الراوي المشارك في الأحداث بضمير المتكلم باعتباره شخصية من شخصيات الرواية، وفي هذه الصيغة بالتحديد تظهر وجهة النظر في الرواية، على عكس استخدام صيغة الراوي العالم بكل شيء واستخدام ضمير الغائب، فيكون تحديد وجهة النظر في هذه الحالة أكثر صعوبة، لأن هذه الصيغة تعترف بتواجد المؤلف على مسرح الأحداث بالتعليق

١- تزفيطان تودوروف، مقولات السرد الأدبي،ت الحسين سحبان وفؤاد صفا، ضمن طرائق تحليل السرد ، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط١ ١٩٩٢، ص٥٨.

٢- أنجيل بطرس سمعان، وجهة النظر في الرواية المصرية، فصول، المجلد الثاني، ع٢، ١٩٨٢، ص١٠٤.

وإصدار الأحكام. وظهر عدد من نقاد الرواية عالجوا قضية الرؤية/وجهة النظر، فتعددت المقاربات حولها، ولعل أنضج هذه المقاربات تعود إلى "جون بويون" و "جيرار جينيت".

اقترح "بويون"[١] تصنيفا للرؤى أو وجهات النظر السردية، حيث تتخذ ثلاثة أنواع:

– الرؤية من الخلف، ويكون السارد في هذه الحالة أكثر علما من الشخصية الروائية، وتستخدم هذه الصيغة في السرد الكلاسيكي كثيرا، يتحرك السارد بحرية، فيرى من خلف الجدران، ويغوص في أعماق الشخصيات، يكشف أسرارها ورغباتها السرية وأفكارها، والسارد في ذلك لا يشير أو يشرح كيفية اكتسابه كل هذه المعرفة العميقة بشخصياته، وأخذ بعض النقاد على هذا القص أنه أدى إلى التفكك وعدم التناسق، حيث أدى الانتقال المفاجئ وغير المبرر بين عناصر السرد المختلفة في الرواية، ولذا فمن الضروري اختيار بؤرة مركزية تشع منها المادة القصصية أو تنعكس عليها.[٢]

– الرؤية مع، وفيها يعرف السارد بقدر ما تعرف الشخصية الروائية، ولا يستطيع أن يمدنا بتفسير للأحداث قبل أن تتوصل إليه الشخصيات الروائية، فيظهر السرد مرتبطا بشخصية معينة، لذلك لا يتبنى هذا النوع حقيقة موضوعية، بل يقدم من خلال منظور الشخصية ورؤيتها، ويظهر السرد انعكاسا لرؤيتها، فكل

١– تزفيطان تودوروف، مقولات السرد الأدبي، ص٥٨.

٢– سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤،ص١٣٣.

شيء يقدم من خلال وعي شخصية بعينها، وهذه الصيغة الأكثر شيوعا في الاستعمال.

– الرؤية من الخارج، وفي هذه الحالة يعرف السارد أقل مما تعرف الشخصية الروائية، فهو يصف فقط ما يراه وما يسمعه دون تفسير أو معرفة ما يجول في الضمائر، وهذه الطريقة نادرة الاستعمال.

أما "جينيت" فيستبعد مصطلحي "الرؤية" و "وجهة النظر"، لما لهما –في رأيه– من طابع بصري، مستبدلا إياهما بمصطلح "التبئير"، فيطلق على صيغة الرؤية من الخلف "محكي غير مبأر" أو "تبئير في درجة الصفر" والتي يكون فيها السارد عالما بكل شيء. بينما يسمي "الرؤية مع" والتي يعلم فيها السارد بقدر ما تعلم الشخصية بـ "المحكي ذي التبئير الداخلي" ويميز بين ثلاثة أنواع للتبئير الداخلي: فهناك محكي ذو تبئير داخلي ثابت، حيث يعرض كل شيء من خلال وعي شخصية واحدة، مما يؤدي إلى تضييق مجال الرؤية وحصرها في شخصية بعينها، وهناك محكي ذو تبئير داخلي متنوع، حيث ينتقل التبئير من شخصية إلى أخرى، ثم محكي ذو تبئير داخلي متعدد، حيث يتم عرض الحدث الواحد مرات عديدة ومن وجهات نظر شخصيات مختلفة.

وفي حالة الرؤية من الخارج، حيث السارد أقل معرفة من الشخصية، فيطلق عليها "المحكي ذي التبئير الخارجي"، حيث نتابع حياة وسلوك الشخصيات خارجيا مع السارد، دون التمكن من ولوج عالمها الداخلي[١].

ترتبط هذه التصنيفات بطريقة أو بأخرى بأسلوب تقديم مادة الرواية، من حيث هو تقديم مسرحي يعتمد على المشهد والعرض، أو تقديم سردي يعتمد على الصورة والموجز السردي، ويرتبط النوع الأول بغياب المؤلف، والثاني بحضوره في القصة.

رؤية التاريخ من خلال الشخصية الروائية.

يتأسس الخطاب الروائي لدى صنع الله إبراهيم في إطار البنية الثقافية والاجتماعية للكاتب، حيث تشكل هذه البنية المداد الفعلي للروائي تساعده على إنجاز عالمه التخييلي، ويمكن تجسيد الرؤية السردية للتاريخ ومن ثم للعالم في روايات صنع الله إبراهيم، من خلال الشخصية الروائية، وبالأخص شخصية السارد التي تعكس في كثير من الأحيان شخصية المؤلف، ليبدو السارد هو عين المؤلف في الغالب. وقد حرص الكاتب دائما على فكرة الإيهام بالواقع عن طريق وسائل متنوعة وعلى رأسها التفاصيل الزمنية والمكانية الدقيقة، واستخدام أحداث وشخصيات تاريخية. ومن خلال الشخصية يبث الكاتب أفكاره ورؤاه تجاه أحداث

١- جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢ ١٩٩٧، ص١٩٧-٢٠٥.

أو أمكنة أو فترات زمنية، فالشخصية هي صانعة الحدث داخل إطار زماني ومكاني.

تتبدى شخصية السارد في روايات "صنع الله" وكأنها انعكاسا لرؤية المؤلف، فيظهر وكأنه صاحب وجهة النظر في الرواية، ومن خلال تتبع بعض روايات الكاتب يمكننا ملامسة وجهة نظر للتاريخ ومن ثم للعالم عن طريق شخصية السارد، وتعد روايات الكاتب مسرحا لتعدد الرؤى و الإيديولوجيات التي تتصارع وتتزاحم في الخطاب الروائي، والسارد في ظل هذا الصراع بين الرؤى والأفكار وباعتباره الشخصية المتكلمة في الرواية، فإنه يتواصل مع الشخصيات الأخرى في إطار إيديولوجي يضم إيديولوجيات متنوعة، تدافع كل واحدة منها عن نفسها وتدحض مزاعم الأخرى، فتظهر الرواية على هذا النحو محفلا لتصورات متباينة، يختبر الكاتب صحتها أو عجزها من خلال الصراع والحوار، وتساهم هذه الأفكار والرؤى في الثراء الفكري للعمل الأدبي. واستخدم الكاتب في أغلب رواياته صيغة الراوي/شاهد العيان والمشارك في الأحداث/الرؤية مع، يحكي بصيغة المضارع، يقول الأشياء ويصفها ويكتب الحدث كما يراه دون تعليق في الغالب، معطيا الميكرفون للأشياء والأحداث أن تتحدث عن نفسها، وقد كانت هذه التقنية علامة على واقعية الروايات بتركيزها على تفاصيل الزمان والمكان.

اكتفى سارد "تلك الرائحة"–وهي أول روايات الكاتب الصادرة ١٩٦٦– برصد الواقع كما هو دون أية محاولة للتأويل ظاهريا، ولا يعني هذا بالطبع أن السرد لا يحمل رؤية أو وجهة نظر، فمن خلال التوقف عند بعض الظواهر المرصودة

التي توحي بشيء ما، وكان لانتقائها إيحاء ورؤية بلا شك، تبدأ الرواية بهذه الفقرة:

قال الضابط: ما هو عنوانك؟ قلت: ليس لي عنوان. تطلع إلى في دهشة: إلى أين ستذهب، أو أين تقيم؟ قلت: لا أعرف. ليس لي أحد. قال الضابط: لا استطيع أن أتركك تذهب هكذا. قلت: لقد كنت أعيش بمفردي. قال: لا بد أن نعرف مكانك لنذهب إليك كل ليلة. ليذهب معك عسكري. وهكذا خرجنا إلى الشارع أنا والعسكري. وتلفت حولي في فضول، هذه هي اللحظة التي كنت أحلم بها دائما في طوال السنوات الماضية. وفتشت في داخلي عن شعور غير عادي، فرح أو بهجة أو انفعال ما. فلم أجد... وذهبنا إلى بيت أخي وقال لي أخي على السلم أنه مسافر ولابد أن يغلق الشقة. ونزلنا وذهبنا إلى صديقي... وعدنا إلى الشارع. وبدأ العسكري يتبرم... وقال لا يمكن أن نظل هكذا. بنا إلى القسم. وفي القسم كان هناك عسكري آخر. وقال: أنت مشكلة ولا يمكن أن نتركك هكذا.."[١]

هكذا تبدأ الرواية، بلحظة الإفراج عن السارد –المعتقل السياسي– وفي هذه اللحظة التي ينعم فيها السارد بحريته التي سلبت منه أعواما طويلة، فإذ بها تنزع منه في الحال، ليعود إلى السجن الذي لم يكن ليخرج منه بعد، وما السبب؟ لأنه بلا عنوان، وحتى لو خرج من السجن ووجد له عنوانا فإنه سيظل معتقلا في منزله من الغروب إلى الشروق، فأي معنى للحرية إذن؟ وهل يبقى لها قيمة؟ بل إن السارد لا يستشعر فرقا بين السجن والحرية، ولا يجد في داخله أي شعور

١– تلك الرائحة، ص٣١.

بتلك اللحظة التي انتظرها طويلا خلف القضبان، تساوت عنده الأشياء، فأصبحت كلها بلا قيمة، بلا معنى، كما أنه بلا أحد، بلا عنوان.

وهكذا، تبدو الرؤية ضبابية من بداية الرواية وتستمر بعد ذلك، فتبدو الشخصيات بلا ملامح أو أسماء إلا القليل، وتبدو العلاقات سطحية عابرة، ويعيش السارد حالة من الاغتراب الداخلي والخارجي، فهو مغترب مع ذاته لا يستطيع كشف خباياها ولا لمس أي شعور تجاه مواقف بعينها، أصبح متبلدا ليس عن قسوة، وإنما نتيجة سجن قتل فيه أي إحساس بآدميته من جراء مشاهد التعذيب حتى الموت ومواقف الإهانة وهتك الكرامة الإنسانية، وهو كذلك مغترب في مجتمعه المتناقض بين دعاة الاشتراكية من جهة والصورة الاستهلاكية الفجة التي يجرى وراءها المجتمع، محاصرا كذلك بالسلطة والرقابة، كل ذلك جعله يتخذ موقفا رافضا وناقضا للمجتمع الفاسد.

وهكذا تميل الرؤية إلى القبح، ويظهر ذلك من بداية العنوان، التي تبدو دلالته شيئا فشيئا، فالمتتبع للرائحة في الرواية، فإنه يجد رائحة تتكرر في أكثر من موضع سردي، إنها الرائحة الكريهة بلا شك. فعلى الرغم من أن السارد يبدو محايدا في الغالب، حيث يرصد بلا تأويل أو تفسير كل ما تقع عليه عيناه حتى وإن كانت أشياء تافهة، إلا أنه بالطبع يريد أن يقول شيئا، بل أشياء، يريد أن يعري الحقيقة، وهي بالفعل عارية للعيان، ويظهر ذلك من خلال ذكريات المعتقل والطفولة والماضي، وتطرق السارد إلى تابوهات سياسية وجنسية بشكل مستفز، سعيا وراء إظهار الواقع بلا تلوين ولا تزوير، كما هو بعفونته المتفشية التي تبعث بشكل أو بآخر تلك الرائحة في النفوس، رائحة نتنة ناتجة عن ازدواجية

المعايير والشعارات وتفسخ القيم الأخلاقية، انعكس كل ذلك على اللغة فجاءت خالية من الألوان البلاغية، فجاءت الجمل قصيرة ومحايدة وتقريرية.

رصد الكاتب في "تلك الرائحة" الواقع كما هو، وذلك عقب خروجه من تجربة اعتقال سياسي، فتظهر رؤية الكاتب الشاملة لهذا المجتمع ولهذا النظام، فليس لهم مآل إلا الهزيمة والنكسة، وها هي قد وقعت بالفعل، إذن، كان رصد الكاتب واعيا ومدركا لأبعاد الأزمة، ومستشرفا إرهاصات النكسة، التي كان لا بد منها في ظل هذه الصراعات الحزبية والاجتماعية والفساد والقمع. هكذا كانت رؤيته لأحداث دونت في سجلات التاريخ الحديث، وبقدر ضبابية الرؤية وعبثيتها تأتي حتميتها ونفاذها. ويجهر في انعتاق واتحاد معا بعبثية الأشياء، فلم "يبق شيء في القلب، ولم يكن قد امتلأ مرة"[١].

تكشف الرواية عن هذه الأوضاع في أكثر من موضع، يقول السارد: "وجاءت أختي... وجاء خطيبها. وقال إن الحالة لا تطاق. وقال: أنتم تريدون أن تنشروا الفقر. وقال ليس أمامي فرصة للثراء. لو كونت أي شيء ستأخذه الحكومة... وجاء عادل وزوجته. وقال أنه بعكس الموظفين الآخرين لا يرتشي. وقالت زوجته: خيبة. وقالت: إن العمال لم يعد أحد يعرف كيف يكلمهم.."[٢] ، هكذا يرى البعض حالة النظام المتبني للاشتراكية، فليس هناك فرصة للثراء في ظل حركة التأميم، وعلى الرغم من محاولة تحقيق عدالة اجتماعية(ظاهريا)، إلا أن الفساد متفشي في أنظمة الدولة المختلفة، فالموظفون مرتشون، والعمال فوق

١- تلك الرائحة، ص٤٠.

٢- السابق، ص٥٥.

الجميع، بل "تلف كل شيء منذ أن أصبح العمال في مجالس الإدارات"[١]، وبدت الاشتراكية وَهْم، وها هو التطلع للرأسمالية "وقال الأب أنه قابل ناسا قادمين من روسيا وأن الفقر هناك شديد. وقال إن الرأسمالية أفضل. وقالت نهاد في حماس: هل يستطيع أحد أن يجادل في هذا"[٢].

بالطبع لا يستطيع أحد أن يجادل في هذا، ولا في غيره، فالسياط جاهزة، والأقفال الحديدية في انتظار وترقب. وإن كانت هذه الحالة الاقتصادية، فماذا عن الحالة السياسية والأخلاقية؟

أما السياسية، فليست بأحسن حال، فمن خلال السارد (السجين الشيوعي السابق) نستطيع تبين الجو السياسي منذ لحظة الإفراج عنه بعد سنوات طويلة من الاعتقال السياسي، اعتقل بسبب انتمائه الفكري، فأي جبروت هذا الذي يعتقل الكلمة المجردة من أي عدوان؟ وأي قمع هذا الذي يسجن من يتكلم برأي مخالف للسلطة؟ وحتى بعدما استرد حريته وجدها مبتورة، فقد كان خاضعا للرقابة التي توجب الالتزام بالمسكن من غروب الشمس إلى شروقها. قرر الكاتب أن يكشف كل شيء بشكل صادق ومؤلم في الآن نفسه، محاولا التعبير عن الواقع ومحاولا فهمه، فكشف معاناة جيل وروح عصر تلاشت فيه الحدود، وهو برغم خصوبته فإن الأخطار تهدده، إنه العصر الذي انهارت فيه الملكية والإقطاع وسقط الملك والإنجليز وقامت الثورة والاشتراكية، عصر في غاية العمق والثراء، لذا جاء التعبير عنه بجرأة وحِدَّة حتى يكشف عمق التجربة بكل تناقضاتها،

١- السابق ، ص٦١.

٢- السابق، ص٥٢.

فجاءت تجربة صنع الله في غاية الألم النابع من المشاهد المروعة والقبيحة التي رصدها على هيئة استرجاعات لذكريات المعتقل والتعذيب، ثم إنه ما كان له أن ينسى، فقد كان عسكري المراقبة يتمم عليه كل مساء.

أما الحالة الأخلاقية، فحدِّث "بحَرَج"، لأن الكاتب قرر منذ البداية أن يكتب الواقع بكل تناقضاته وأزماته، كاشفا عن سوءاته، فلا عجب من رصده لظواهر إن دلت على شيء فإنما تدل على التفسخ والانحلال اللذين أصابا المجتمع، فيتحدث بكل بساطة مستفزة عن الجنس بكل أشكاله الخارجة عن الشرعية، دون أي مراعاة للتقاليد الاجتماعية والدينية، ولكنه الواقع لا غير ولا مفر.

عهد الكاتب إلى نفسه التعبير عن القبح كما يعبر هؤلاء عن الجمال، حتى تبدو الصورة مكتملة وطبيعية، إذ أن التعددية هي سنة الكون، إذ لولا القبح ما كان للجمال معنى، أو كما قيل "وبضدها تتميز الأشياء"، والكاتب في الأساس مهموم بالواقع وليس شغله الخيال، فظهرت الصورة رمادية، وبدت "تلك الرائحة" معبرة عن رؤية صاحبها، وهي رؤية ثورية وجريئة، مستفزة ومحرضة، عنيفة وعميقة، ساخرة سخرية قاتمة للغاية، والروائي لا يصرح بها، ولكنه من خلال رصده لكل ما هو مسكوت عنه تتجلى الرؤية في النهاية، وهي رؤية ناقدة بالطبع، ونقدها لاذع وفج تطلبه تلك المرحلة التي يعالجها الكاتب والتي انتهت إلى النكسة التي هزت الشعب العربي وليست مصر وحدها، لتبدو النكسة هي المآل الطبيعي لهذا التفسخ السياسي والأخلاقي والاجتماعي.

يظهر السارد في "تلك الرائحة" بمظهر سلبي تجاه مواقف بعينها، وكأنه مجرد من الشعور، ولكن "هل يوجد إنسان لا يحقد ولا يتألم، من الرغبة في السيطرة ومن الضعف في مواجهة العالم... من الإحساس بالقهر ومن ممارسة الاضطهاد، من معاناة الألم ومن الاستمتاع بإيلام الآخر...؟!"[١]، فتظهر سلبيته عجز عن مواجهة العالم، المتناقض المتأزم، ويأتي عجزه عاكسا لعجز المجتمع والفرد على حد سواء.

وتعد "نجمة أغسطس" بمثابة الجزء الثاني لـ "تلك الرائحة" من حيث زمن كتابتها، وزمن قصتها، فمن حيث زمن الكتابة فقد كتبت "نجمة أغسطس" استنادا إلى رحلة قام بها المؤلف إلى منطقة السد العالي وأبي سنبل في صيف ١٩٦٥، وانتهى من كتابة الرواية في يناير ١٩٧٣، فهي الرواية التالية لـ "تلك الرائحة"، أما قصتها فتدور حول السارد نفسه السجين السابق، الذي ذهب إلى أسوان لمتابعة ورصد العمل في منطقة السد، يحذو فيها الكاتب حذوه في "تلك الرائحة" وفي كل رواياته اللاحقة، من حيث رصد الواقع ومحاولة فهمه، وقد وجد الكاتب في موضوع السد صورة نموذجية للواقع بكل تناقضاته، أراد من خلاله أن يجسد رؤيته للحاضر، وهو يصرح بذلك[٢]، فقد رأى في هذا المشروع الهندسي الضخم البؤرة التي يمكن أن تجمع تناقضات الواقع كلها، ذلك أنه ولد في مواجهة ضارية مع الاستعمار قديمه وحديثه، واشتمل على عملية ذات مغزى مهم، هي تغيير مجرى النيل الذي لم يبارح مكانه منذ آلاف السنين، كما أنه تطلب إدخال آليات

١- تلك الرائحة، ص٥٧.

٢- صنع الله إبراهيم، شهادة، فصول، خريف ١٩٩٢، مجلد١١، ع٣، ص١٧٧.

وتقنيات جديدة، وتم بحماس شعبي في ظل إدارة عسكرية، واشترك فيه ممثلون لكل الطبقات، بل تجلت فيه ملامح الطبقة القادمة إلى الحكم، وهي طبقة المقاولين والسماسرة ووكلاء الشركات الأجنبية. بالإضافة إلى ذلك فقد انقسم العمل في المشروع إلى مرحلتين، المرحلة الأولى كان العمل بسيطا واضحا، كان مجرد حفر وردم على نطاق هائل، والمرحلة الثانية تطلب العمل فيها دقة متناهية، ومستوى فني أعلى وأعقد.

وجد الكاتب في السد صورة الواقع، حيث تمر الثورات والانقلابات التاريخية بهاتين المرحلتين دائما، في البداية يكون الهدف بسيطا وواضحا، وكل شيء في أحد لونين، الأبيض أو الأسود، مع أو ضد، والحماس متوفر، والثقة بالمستقبل وبالقدرة على تغيير منحنى التاريخ، وليس هناك وقت للتأمل والتحليل، ثم تتحقق الثورة، وتبدأ مرحلة أخرى جديدة ذات إيقاع أهدأ، فالمهام أكثر تعقيدا والهدف أقل وضوحا، ويصبح هناك وقت للتفكير في أخطاء المرحلة الأولى واحتمالات المستقبل.

كشفت "نجمة أغسطس" عن رؤية عميقة للتاريخ قديمه وحديثه، كتبت الرواية في أوائل السبعينات، في ظل تحولات واسعة للمجتمع، فالمشروع الحداثي للخمسينيات والستينيات آل إلى الفشل المطبق، ونفض أصحاب المشروع أيديهم منه، مستكينين إلى وضع التبعية، وخلال سنوات قليلة عاد كل شيء إلى نصابه، أعيدت الأراضي المصادرة إلى أصحابها، وتعدل سلم القيم، وفقد العمال مكانتهم المتميزة، وعادوا إلى القاع، وأجهضت الصناعات الوليدة، واستعادت الإمبريالية مراكزها القديمة سافرة أو متخفية خلف الشركات متعددة الجنسيات،

وعربدت إسرائيل بغير رادع، وانتشر الفكر الرجعي على جناحين: مال النفط والإحباط[١].

هكذا، تستمر "نجمة أغسطس" مؤكدة الرؤية نفسها، ولكن بشكل أعمق، فيجهر فيها السارد والشخصيات بوجهات نظرهم، وإن كانت مضغوط عليها ومقموعة، حيث جاءت بشكل غير مباشر من خلال إسقاطها على التاريخ القديم لتعكس رؤية التاريخ المعاصر. يقول السارد: "سألني الطبيب: لماذا لا يعجبك رمسيس الثاني، إنه أكثر شخصية تتمثل فيها عبرة التاريخ.

تساءلت: كيف؟

قال: ألم يحك لك خليل عن تاريخه؟ سبعون سنة من السلطة أي الكذب والفجور والقتل والإدعاء والغرور والاستعباد. وها هو مازال يعيش حتى أيامنا، ونحن نعمل ليل نهار ليخلد اسمه، تماما كما أراد"[٢]. إنها رؤية ناقدة للتاريخ الملفق في أكثره، قديمه وحديثه، ففرعون اليوم يُنقَش اسمه في كل مكان من هذا المشروع الضخم، تماما كفرعون الزمن الغابر الذي نقش اسمه على المعابد، لتخلد في النهاية أسماؤهم جميعا، تماما كما أرادوا وعملوا لذلك.

وفي "اللجنة ١٩٨١"، نجد السارد عينه السجين السابق، تبدأ الرواية بوصوله لمقر اللجنة التي سوف يمثل أمامها للامتحان، وهو امتحان ليس هدفه تبين مدى معلوماته فحسب، بل استكناه مفاتيح شخصيته وقدراته الذهنية وقدرته على

١- شهادة، ص١٧٩.

٢- نجمة أغسطس، ص٢٠٨.

المواجهة، ولهذا قضى عاما للاستعداد لهذا اليوم بشتى الوسائل. أما اللجنة فليس ثمة قاعدة محددة لعملها، واتفق الجميع أن اللجنة تنصب شراكا ماهرة لكل من يمثل أمامها، لذا حاول السارد ضبط إجابته لتبدو موضوعية بدون دلالة إيديولوجية واضحة.

على أن السارد حين يتقدم لهذه اللجنة باختياره ومحض إرادته، فإنه يرتاح لخطوة فاشلة أمام اللجنة، ومع ذلك فقد حاول استرضاء اللجنة إلى درجة امتهان إنسانيته، تطلب اللجنة منه الرقص فيلبي أمرها، وتطلب منه أن يتجرد من ملابسه تماما، فيفعل. ورغم محاولاته في إخفاء إيديولوجيته، فإنه يرتكب خطأ عن "غير قصد"، عندما تسأله اللجنة سؤال: "أي شيء من هذه الوقائع، كالحروب والثورات والابتكارات، سيذكر بها قرننا في المستقبل؟"، وبعد أن يستعرض السارد كم من المعلومات التي من شأنها أن ترفع قدره أمام اللجنة، فإنه يستقر في النهاية على إجابة مختلفة عما استعرضه، أجاب أن "الكوكا كولا" هذا الاختراع الأمريكي، هو أهم إنجازات القرن: "والواقع أن من حقنا أن نصدق ما يقال عن هذه الزجاجة البريئة المظهر، وكيف أنها تلعب دورا حاسما في اختيار طريقة حياتنا، وميول أذواقنا، ورؤساء بلادنا، بل والحروب التي نشترك فيها، والمعاهدات التي نوقعها"[١]، أدرك السارد أنه بهذه الجمل قد ارتكب خطأ، حيث أظهر إيديولوجيته تجاه منتجي "الكوكا كولا"، واللجنة تمثل القوى الأمريكية المتحكمة في حياتنا وميولنا ورؤساء بلادنا والحروب والمعاهدات التي نوقعها،

١- اللجنة، ص٢٣.

فهجومه على هذا الاختراع هو في حد ذاته هجوم على اللجنة، لذا سارع في الحال في استرضاء اللجنة، وحاول تملقها بعدما أحس سخطها.

أدرك السارد في لحظة ما أثناء وقوفه أمام اللجنة عاريا، أنه عاري تماما أمامها، "ليس فقط بالمعنى المادي للكلمة، وإنما بمعناها المجازي أيضا، وأنني تحت رحمتهم"[١]، وهذا رغم اعتزامه على مواجهتها وتحديها. ويكشف السارد من خلال بحث قام به عن "ألمع شخصية عربية معاصرة"، عن الهيمنة والتسلط الخارجي على مصر، وبالأخص الهيمنة الأمريكية، وهي هيمنة على كافة المستويات من اقتصادية وثقافية إلى سياسية، وتعكس الرواية هذه الهيمنة من خلال اللجنة ثم من خلال اختيار قضايا شائكة –بشكل ساخر– كقضية الانفتاح في السبعينات.

جاءت "اللجنة" تعبيرا ساخرا عن الواقع، فكشفت عن مسلسل الانهيار والتبعية وامتهان المجتمع وإذلاله، ولأن السارد حرص على الحياد الظاهري، فإنه لجأ إلى الفكاهة السوداء والألاعيب اللغوية، ولم يعد ذلك السارد السلبي الذي ألفناه في "تلك الرائحة" و "النجمة"، فقد قرر في "اللجنة" أن يتحدى ويواجه، بالرغم من أنه أعزل، فتلطخت يداه بدماء أحد أعضاء اللجنة، وهو الذي لم يسبق أن أقدم على أي عمل من أعمال العنف، فطبيعته تؤثر السلامة قدر الإمكان، لكن هذه المرة لم يكن في الإمكان أن يقف مكتوف الأيدي أمام العضو

١– السابق، ص٢٣.

الذي شعر من ناحيته بالغدر، فسبقه وقتله، ونتيجة هذه الفعلة –التي كان لا بد منها– أن حكم عليه بأقصى عقوبة لدى اللجنة وهي "أنت تأكل نفسك"[١].

وبعد مراوغات من قبل السارد في التعامل مع اللجنة، وبعدما فشل في كسبها، بل وبعدما حكم عليه "بالأكل"، وقبل ذلك تلك المشروعات الكبيرة التي خططها بحماس في بداية حياته، والإحباطات المتوالية التي واجهته، وتوقفه عند صورة أبيه، وتمثله للتركة المثقلة من الآلام والسلبيات والأوهام التي خلفها له، والآمال التي علقها عليه، ولم يسعفه الزمن ليشهد تحققها، وحمد الله أن هذا لم يحدث كي لا يرى مآله.

بعد كل ذلك، يقف السارد أمام مذكراته. ومقتطفات سجلها في مناسبات مختلفة، يتحدث أغلبها عن الطريقة المثلى للحياة، ويقف طويلا عند أبيات لـ "مایاكوفسكي" الذي قالها في الغالب قبل نهايته المأسوية: "أقسم ألا أتحدث بعد الآن باللسان المشين للتعقل والحصافة"[٢]، وذكره ذلك بالمصير الذي ينتظره، فيتمنى أن يقف أمام اللجنة من جديد ليسمعهم كلمته، فتخيل نفسه يواجههم في ثقة ومضى يقول:

"لقد ارتكبت – منذ البداية– خطأ لا يغتفر. فقد كان من واجبي لا أن أقف أمامكم، وإنما أن أقف ضدكم. ذلك أن كل مسعى نبيل على هذه الأرض يجب أن يتجه للقضاء عليكم"[٣]، على أنه يعلم يقينا أنه حتى ولو تحقق ذلك، فلن يكون

١– السابق، ص١٠٥.

٢– اللجنة، ص١١٩.

٣– السابق، ص١١٩.

نهاية المطاف، بالتأكيد سوف تحل لجنة أخرى وسلطة أخرى، لا تلبث أن يتطرق الفساد إليها.

تركز الصفحات الأخيرة من الرواية على إيضاح الرؤية، وهي رؤية أساسها معرفته واستقرائه لحالات مماثلة من التاريخ، إنه بالتغييرات المتكررة ستفقد الجماعة المتسلطة ما لها من سطوة، تلك السطوة التي قررت مصيره المأسوي، ويعود هذا المصير في أحد جوانبه إلى طموحة الذي تجاوز إمكانياته، وسعيه المهووس وراء المعرفة، وفي جانب آخر إلى تورطه في محاولة متهورة لتحدي اللجنة في وقت ومكان غير مناسبين، ليصل في النهاية للحظة تطبيق الحكم المأسوي "عندئذ، رفعت ذراعي المصابة إلى فمي، وبدأت آكل نفسي"[١].

إنها رؤية وعي عاجز عن التحدي، فظهرت ساخرة وناقدة، ولكنها عاجزة عن التغيير لأن الطموحات أكبر من الإمكانيات، ولأن الزمان والمكان غير مناسبين، ولأنهم يعطونه ظهورهم غير مكترثين، ولأن الصمت ران الجميع، ولأن الجميع استكانوا لوضع التبعية، ولأن التبعية هي سمة عصر الانفتاح، الذي علت فيه قيم زائفة. إنها رؤية سوداوية لتاريخ مصر في سبعينيات القرن العشرين، سبعينيات الانفتاح على أمريكا، وليست مصر وحدها هي التي وقعت في فخ الولايات المتحدة الأمريكية، بل أغلب الدول العربية قد وقعت في شرك التبعية والتطبيع، لذا جاءت رؤية الكاتب عامة تجاه الوضع العربي، وهي رؤية ناقدة ومحذرة من تبعات هذه السياسة ومخاطرها على الجسد العربي. وهذا ما كشفته اللجنة باعتبارها تجسيدا للسياسة الأمريكية، التي تتدخل في الشئون العربية في

١- السابق، ص١٢١.

أدق التفاصيل، مهيمنة على كافة الأوضاع، مما يزيد من صعوبة المواجهة والتحدي.

وعلى الرغم من العجز العربي على المواجهة والتحدي، فإن الكاتب يعطي أملا في ذلك، حين يدخل سارده في غمار التحدي، ولأن المواجهة لا تتصف بالتكافؤ فقد باءت بالفشل، وهنا يصر السارد على مواجهة المحتوم في إباء وكرامة، لتظهر في النهاية الرؤية واضحة، إنها رؤية تاريخية نقدية للواقع العربي المهيمن عليه من قبل قوى غربية، وهي رؤية هادفة وحالمة بالتغيير.

وتعد "بيروت بيروت" في المقام الأول تأريخا للحرب اللبنانية، تصلنا الرؤية من خلال سارد يدعي أنه "لا يعرف عن لبنان الكثير"، فقط جاء إلى لبنان لينشر كتابا له، منع من النشر في مصر لأسباب تتعلق بالرقابة، وفي أثناء رحلة السارد في البحث عن ناشر في بيروت التي تعد في ذلك الوقت "المتنفس الوحيد لكافة المحرمات والممنوعات"، يدور السواد الأكبر من الحاضر السردي حول تلك الحرب التي لا تريد أن تنتهي بالرغم من انتهائها رسميا، وتظهر أخبار الحرب من خلال الصحف اليومية التي يطلعنا عليها السارد، والكتب والأوراق التي أعطتها المخرجة اللبنانية للسارد لعمل تعليق علي فيلم وثائقي عن الحرب الأهلية، وأيضا يطلعنا السارد على تفاصيل الفيلم الوثائقي نفسه، إضافة إلى ما يعترض السارد من أحداث ومشاهد طوال رحلته، وانتهاء بموقف خطفه من إحدى الجهات المتصارعة، وقد أعلن السارد منذ البداية عن هدفه من هذه الرحلة وهو نشر الكتاب، ويقول صراحة: "لا أفهم شيئا بالنسبة لهذه الحرب حتى الآن لا

أعرف من مع من، ومن يحارب من، ولماذا"[١]، وبالرغم من أن السارد الذي يبدو سلبيا في أغلب الأحيان، إلا أنه يرفض أن يجد نفسه في النهاية أداة بيد أحد الأنظمة، بل ويبدي رؤيته صراحة تجاه قضايا بعينها، بعدما عهدنا فيه الصمت أو التمويه، فعندما يسأل عن رأيه في الفيلم الوثائقي الخاص بالحرب الأهلية، وهل يعتقد أنه سينجح إذا عرض في مصر، فإنه يكشف عن رؤية شمولية محولا القضية من جزئية إلى كلية، وبعد أن كان السؤال خاص بالفيلم الوثائقي، ينهي رؤيته للموضوع محملا النظام الساداتي ما آل إليه الوضع الثقافي والقومي في مصر، يقول السارد:

"الفيلم الوثائقي عموما ليس له جمهور في مصر، ثم إن الإعلام الساداتي نجح في قتل اهتمام الناس بالقضايا العربية"[٢].

إنها إدانة لنظام الدولة، وإدانة للشعب نفسه، الذي ارتضى لنفسه أن يسير كيفما يوجهه قائد القطيع، شعب صار كقطع الشطرنج في أيدي النظام، يتحكم فيه إلى درجة السيطرة المعرفية على وعيه الفكري والقومي. لقد تغير السارد الذي عهدناه، فأصبح سافرا عن رؤيته، بعد أن كان يلوذ بالصمت، وعلى الرغم من أن القضية اللبنانية هي القضية التي يدور حولها الحاضر السردي، إلا أن القضية المصرية حاضرة مع أنها خارج الصراع اللبناني برمته.

تأتي تفاصيل الحرب بصورة تقريرية، بث المؤلف من خلالها رؤيته، أراد أن يبدو حياديا تجاه هذه القضية، فحمل شخصياته قدرا كبيرا من الرؤى المختلفة

١- بيروت بيروت، ص٤٩.

٢- السابق، ص٧٥.

والمتصارعة، فبقدر عدد الطوائف التي تحويها لبنان، بقدر ما يقابلها من أفكار وإيديولوجيات توجهها المصالح الشخصية في المقام الأول. ويسلط الكاتب الضوء على الأزمة العربية، ويظهر أن ما بين الدول العربية من تناحر يفوق الصراع العربي/ الإسرائيلي، ومن ذلك موقف بعض الدول العربية من القضية الفلسطينية بما يجسد الصراع العربي/العربي، فهناك شعارات على جدران منازل بلدة لبنانية تقول :"كل الحمير تدعم الثورة الفلسطينية"، وشعار آخر "تسقط فلسطين"[١] .

كان هذا هو موقف العرب تجاه العرب، ويؤكد الكاتب على هذا الجانب في أكثر من موضع، ويدعمه بموقف السارد الباحث عن ناشر لكتابه الذي لم يترك فيه نظاما واحدا من الأنظمة العربية دون تعريض، وبعدما ينتهي السارد من تفريغ الفيلم الوثائقي على الورق استعدادا لكتابة تعليق عليه، يتم اختطافه مصادفة من قبل عناصر مسيحية، وبالقدر الذي تبدو فيه شخصية السارد على قدر من التسامح الديني، يبدو الخاطفون شديدي التعصب، وكشف الكاتب عن هذا التعصب من خلال الحوار/التحقيق الذي دار بينه وبين السارد، فهم يرون أن لبنان طيلة تاريخه مهدد بالإبادة على يد الإسلام، ويرون أن الخطر الحقيقي هو التوسع العربي على اعتبار أن اللبنانيين ليسوا عربا بل فينيقيين، ويحاول السارد في السياق نفسه التعبير عن وجهة نظره المغايرة تماما، إذ يرى أنه ليس هناك توسعا عربيا، إنما فقط "نهضة قومية تستوعب كل الأديان، بل إن بعض رواد هذه النهضة مسيحيون"[٢].

١- بيروت بيروت، ص١٠٤.

٢- السابق، ص٢١٦.

يبدو أن "الدين" هو لب الصراع اللبناني، الذي تنقسم لبنان من أجله إلى حوالي عشرين طائفة، تحاول الرواية أن تجلي المشهد اللبناني بشيء من الحيادية الظاهرية المدعمة برؤية سارد خارج نطاق هذا الصراع، فجاءت رؤيته لهذا الصراع التاريخي موضوعية إلى حد كبير، فيرى أن الحل الأمثل للخروج من هذه المحنة، هو قيام دولة علمانية لا دينية يتحدد مكان الفرد فيها على أساس الكفاءة لا على أساس الدين أو العشيرة. وتنحاز رؤية السارد إلى القومية العربية، وتعلو هذه النبرة عندما تعرض عليه الناشرة اللبنانية –التي كانت على علاقة بالسارد– أن ينشر كتابه في "إسرائيل"، حيث أكثر من مليون وربع مليون فلسطيني يتعطشون لقراءة كلمة باللغة العربية، فكان رفضه قويا وغريبا وصامتا وخانقا، فحاول أن يخنقها (لاإراديا) في تلك اللحظة التي تمكن منها، إلا أنه لم يحقق رغبته، حيث استجمعت قواها ودفعته عنها بعنف، وتخلصت منه هاربة، ومثل هذا التصرف رفضا من جانبه على اقتراح النشر في "إسرائيل"، فهو لم ينبث بكلمة رفض، وإنما عبر عن رفضه للفكرة تعبيرا عنيفا خارج عن إرادته، وعجز لسانه عن اختيار كلمات مناسبة توحي بالرفض.

هكذا جاءت الرؤية في "بيروت بيروت"، تميل إلى الموضوعية والحيادية، لكون السارد خارج أرض المعركة لا ناقة له فيها ولا جمل، ومع ذلك فهي رؤية ناقدة للوضع التاريخي المتأزم، مُدينة لكل الأطراف، فالجميع يسعون وراء مصالح شخصية، تاركين الوطن الذي بدا وكأنه تجمد عند لحظة من لحظات العصور الوسطى.

وفي "ذات"، التي تدور حول امرأة مصرية نمطية، تعيش حياة الأغلبية من الأسر المصرية، حياة تقليدية تميل إلى الرتابة والملل والتكرار والحاجة، فإن الرواية في مجملها تعد شهادة على عصر متآكل أخلاقيا واجتماعيا واقتصاديا، فهي وثيقة تاريخية لهذا الواقع. تسير أحداث قصة ذات الحياتية متزامنة مع أخبار الصحف، حيث تنعكس هذه الأخبار بشكل أو بآخر على حياة "ذات" ومحيطها الاجتماعي، أسرتها وجيرانها وزملاء العمل، فتبدو أخبار الصحف التي شغلت حوالي نصف الرواية والتي جاءت بشكل مستقل عن قصة "ذات"، مفسرة ومبررة لأحداث القصة الاجتماعية، فلم توضع هذه الأخبار بشكل عشوائي، وإنما وضعها روائي مفكر اتخذ من الصحف شاهدا على الواقع، فدعم السرد بواقعية الأخبار والأحداث اليومية التي تناقلتها الصحف.

يكشف الجانب الوثائقي في الرواية عن تدني الأوضاع المصرية في ظل سياسة الانفتاح والتطبيع، وتدور هذه الأخبار حول تلك الأوضاع السياسية والاقتصادية والصحية في مصر، فكشف الكاتب من خلالها عن السيطرة الأمريكية على دول المنطقة، وكيف أن مصر تشترك مع إسرائيل في التزويد بالسلاح الرئيسي من مصدر واحد هو "أمريكا"، وتهدف السياسة الأمريكية إلى استمرار تدفق البترول في المنطقة وبأسعار مقبولة، وطرد النفوذ السوفيتي منها، وليس مصر وحدها الخاضعة للإدارة الأمريكية، فنجد مثلا تصريحا للرئيس الأمريكي "كارتر" بأنه "لم تقدم دولة في العالم دليلا على تعاونها مع أمريكا كما فعلت السعودية"[١].

١- ذات، ص٣٤.

بجانب السياسة تأتي الأخبار لتكشف عن تدهور الحالة الصحية للمواطنين نتيجة استخدام مبيدات سامة هي ممنوعة التداول في بلاد منتجيها، بالإضافة إلى التسمم الغذائي الناتج عن استيراد أطعمة فاسدة ومسرطنة بأعلى الأسعار في الوقت الذي يلقي المنتجون المحليون إنتاجهم في المصارف، وهناك المستشفيات التعليمية التي تحولت أحدث الأجهزة بها إلى هياكل من الخردة، بالإضافة إلى مشاكل الصرف الصحي الحبيسة وانفجار مواسير الصرف الصحي في الشوارع بشكل دائم، واستيراد أدوية ليست مطابقة للمتطلبات الإكلينيكية، بعضها خطير للغاية وبعضها بلا فائدة، وغير ذلك من المشاكل والأخطار التي تقع نتائجها على عتق المواطن البسيط. وهكذا ظهرت رؤية الكاتب في هذه الرواية من خلال هذه الأخبار المنتقاة بعناية شديدة، وهي ككل تندد بسياسة الدولة الانفتاحية، فاضحة لتجليات النظام، ركز فيها على أخبار القاع المصري، التحولات الجذرية والسلبية التي لحقت بالمجتمع.

وتفترض رواية "الجليد" –كما جاء على غلافها– أنها تقوم على تعرية الواقع السوفييتي في عهد "برجينيف" وتكشف لنا المسكوت عنه من خفايا الحياة في الاتحاد السوفيتي السابق وجذور انهياره اللاحق، وبناء على هذا الافتراض فإن المؤلف يسعى لتقديم رؤية لتجربة تاريخية باءت بالفشل، وعانت هذه التجربة أكبر سقوط إيديولوجي شهده القرن العشرين، وتماديا من جانب المؤلف في الإيهام بكشف تلك المرحلة، فإنه يبدأ الرواية بتحديد زماني ومكاني "موسكو ١٩٧٣" ، بما يحتله هذا التاريخ من مكانة مهمة في التاريخ المصري المعاصر، ويفترض بعد هذه العتبات النصية من عناوين وكلمة الغلاف، أن الرواية سوف

تنهض على الكثير من الوثائق والمعلومات التاريخية كعادة الكاتب، و ستكشف بالفعل "الروائي" عن خبايا الاتحاد السوفيتي وإرهاصات انهياره، وأنها بتحديد هذا التاريخ سوف تلقي بالكثير من الضوء والتساؤلات وتطرح قراءات ورؤى لحرب أكتوبر ١٩٧٣. تلك هي الرؤية المفترضة والمنتظرة أن يطرحها الكاتب، ويدعمها نظرة إلى إنتاج الكاتب الكلي وعتبات النص الروائي، إلا إنه وبمجرد الولوج لعالم الرواية، فإن القليل من ذلك يتحقق، فما سرده الكاتب في هذه الرواية عن مظاهر الحياة في الاتحاد السوفيتي في تلك الفترة، لم يخرج عن المألوف والمعروف عنه، هناك فقط بعض الأخبار المتناثرة هنا وهناك.

تدور الرواية حول شخصية الدكتور شكري بطل روايتي "أمريكانلي" و "القانون الفرنسي"، وهو في مرحلة الدكتوراه، يروي تجربته في عاصمة الاتحاد السوفيتي السابق "موسكو"، في إطار التبادل الأكاديمي بين البلدين، وهناك لا نتابع باحثا أكاديميا بقدر ما تابعنا باحثا (عاجزا) عن المرأة فضلا عن الطعام والشراب، يسكن في بيت طلاب أممي، يضم طلبة منتمين لدول المعسكر الاشتراكي في بعثات التبادل الثقافي، على أن تعددية الجنسيات، لم تنعكس بشكل حواري على الشخصيات، فالسرد هو سمة هذه الرواية وليس الحوار الفعال، تدور أغلب الأحداث في "الأبشجيتي" بيت الطلاب، ومن خلال شخصية هؤلاء الطلاب نقف عند بعض مظاهر الحياة في الاتحاد السوفيتي التي من شأنها أن تعطي صورة لتلك المرحلة التاريخية في ظل نظام قمعي شمولي تكثر فيه الشعارات دون تنفيذها، "الحزب والشعب متحدان"، "المجد للعمل"، "تعيش الشعوب السوفيتية بناة الشيوعية"، "النقد الذاتي البنّاء أساس حزبنا"، وشعارات

أخرى لا تخرج من دائرة الزيف، ما جعلت الواقع أكثر تعقيدا والتباسا فهناك مساحة شاسعة بين الواقع ومشاكله، وما يكتب في الصحف وتنشره وسائل الإعلام.

وينعكس زيف هذه الشعارات على كافة مظاهر الحياة في الاتحاد السوفيتي، والتي يمكن تتبعها من خلال التوقف عند بعض ما جاء في الرواية، بداية من النظام التعليمي المتجمد النمطي، الذي يوحد بين العقول كتوحيده بين الشهادات، ولا مكان فيه للابتكار أو التقدم، فيسخر البعض من هذا النظام "فالنظام التعليمي السوفيتي من أحسن نظم التعليم في العالم... الجميع يحصلون على شهادة واحدة"[١]، وكذلك السوق الداخلية التي تعاني من الاحتكار ونقص شديد في السلع الأساسية التي يحتاجها المواطنون، مع توفرها في السوق السوداء بأعلى الأسعار، فلا يوجد رقابة ولا نظام قوي فعليا يسيطر على حركة الاقتصاد، وفي الوقت نفسه نجد أن الصناعة المحلية تخضع لرقابة شديدة، فالصناعة السوفيتية قليلة ورديئة، تقول إحدى الفتيات:"لماذا لا يوجد بيننا من يرتدي بزة سوفيتية، أو قميصا سوفيتيا، لأن كل موضة جديدة لا بد أن تمر على عشرة مستويات مختلفة، الأمر الذي يستغرق خمس سنوات حتى يتم اعتمادها... أيام خروشوف كانت الشرطة تقبض على من يرتدي الجينز"[٢]، هذا النظام الشمولي ما أجهض قيمة العمل والفرد معا، بدلا من أن يتقدم به، فما معنى التي تقدس العمل والعمال والطبقة العاملة في ظل هذا الواقع المحبط، وهو ما تكشفه إحدى الفتيات

١- الجليد، ص١٤٥.

٢- السابق، ص١٣٥.

"إن العمل في الحانوت ممل، وإنهم يحتفظون بنوعين من الدفاتر، الأول يعرضونه على الدولة، والثاني به البيانات الحقيقية... نحن نتظاهر بأننا نعمل، وهم يتظاهرون بأنهم يعطون لنا أجورا"[١]. ولم ينج الفن من رقابة الدولة التي تزج بنفسها في أدق تفاصيل الحياة، ونسمع من "بوريس" الرسام يقول: "ليس عندي أمل في أن أكون فنانا جيدا، ليس أمامي سوى أن أرسم ما ترضى عنه الأجهزة الرسمية"[٢].

هذا هو وطن السوفييت، وهذا هو حال كل شيء، لا مجال لمعارضة ولا احتجاج، فقد بلغ التسلط ذروته، إلى الحد التي تصرح معه إحدى الشخصيات التي تحتج في صمت دون جرأة على إعلان التذمر أو الرفض، وهي على معرفة عميقة بمساوئ الوضع وسوء إدارة البلاد، والتخبط السياسي، والفقر والفساد، تقول: "علمونا ألا نحتج، لو تكلمت سأدخل السجن"[٣]. ليس هذا الحال في العاصمة الاشتراكية وحدها، بل امتد الفساد والقمع إلى جميع جمهوريات الاتحاد الاشتراكي، فالناس هناك "لديهم مصادر دخل أخرى كالسوق السوداء، لا أحد يعيش على راتبه الرسمي فقط، فهذا ينطبق على جميع الجمهوريات وخاصة الآسيوية، وكان لي صديق من أوزبكستان، لا يمكن أن تصدق ما رواه لي عن الفساد فيها، البعض يعيشون كما في العصور الوسطى، يمتلكون جيوشا خاصة وميلشيات ويحولون العمال إلى عبيد في ممتلكاهم"[٤]. وبعد أن كان الواحد من

١- السابق، ص١٠٩.
٢- السابق، ص١٣٥.
٣- السابق، ص١٩٢.
٤- الجليد، ص٧٣.

شعوب الاتحاد يتغني بجنسيته السوفيتية: "أنظر إلي أيها العالم واحسدني، فلدي جواز سفر سوفيتي"، تغير الوضع وأصبح الآن الكل يريد جوازا ليبرح هذا الوطن.

لم يفت الكاتب أن يعرج على الوضع المصري في ظل هذا السقوط الاشتراكي، فقد انهار النظام الاشتراكي ودعائمه على أيدي النظام الضد الجديد، فهذا السادات ينظم كتائب مسلحة للقضاء على الشيوعيين واليساريين في الجامعات، ويرفع شعار "العقيدة ولا سيناء"، ويقصد به أن الدفاع عن العقيدة الإسلامية، أهم من تحرير سيناء، كما شاع تغطية النساء لرؤوسهن وسيقانهن..، أما الشباب المصري فهو مغيب لا يعي من الأمر شيئا، وهو مهتم بشيء واحد هو "الكاراتيه"، فضلا على أن الجميع يعانون الغلاء والفوضى والتكالب على المال، وهناك اقتراح أمام مجلس الشعب بتحويل شركات القطاع العام إلى شركات مساهمة، ومعنى هذا "انتهاء كل شيء"[١].

أما صدى حرب أكتوبر على السارد المغترب، فتصله من خلال الصحف والإذاعات رغم التشويش المستمر عليها، ويصور الكاتب تلك اللحظات، فعندما أعلن نجاح عبور القناة في الساعة الثانية ظهرا، وسقوط خط بارليف "كان صوت المذيع رصينا هادئا على عكس بيانات ٦٧ الهستيرية"[٢]، وتأتي تعليقات المصريين المغتربين على الحرب لتعبر عن اختلال قُوَى، وتوازن أخرى، فقد انسحبت مصر من تحت المظلة السوفيتية، يقول أحدهم: "الرجل عملها. مصر

١- السابق، ص١٣٢.

٢- السابق، ص١٤٦.

تحارب دون معونة سوفيتية، وبقيادة الرئيس المؤمن المعادي للإلحاد"[١]، إلا أن الأمر لم ينته بعد، فقد ساد الوجوم مع إعلان السادات وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل، بعد ١٧ يوم من القتال الشرس، لقد ضاع وهج الانتصار... البعض اعتبر ذلك نصرا لإسرائيل ومظهرا للتواطؤ بين السادات والغرب[٢].

يتضح من رصد هذه المظاهر، أن هناك رؤية سردية وإن كانت متخفية وراء "السلوك الجنسي" المسيطر على الحاضر السردي بشكل غير مبرر في الغالب، لكن الكاتب لم يهمل هدفه الأساسي من إخراج هذا العمل، وهو كشف خبايا الاتحاد السوفيتي السابق وجذور انهياره اللاحق، فمن خلال رصده لتلك الوقائع والمظاهر السياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، كشف عن رؤية عميقة ناقدة للتاريخ في تلك المرحلة، تاريخ الاتحاد السوفيتي، وهو آيل للسقوط والانهيار، حيث تفشي الفساد في كل مناحي الحياة، حتى أن الشباب الذين هم جذوة التغيير في أي المجتمع، أصبح في هذا المجتمع لا هم له سوى البحث عن المرأة والشراب عبر تجارب غير ناضجة، وقد ظهر هذا الوضع المزري في كل الدول التي تبنت هذه الإيديولوجيا، وهو ما يتضح من خلال كلام الطالبة التشيكية حيث تقول: "إنه منذ التدخل السوفيتي لم يعد هناك أدب أو فن في تشيكوسلوفاكيا"[٣]، فأدق تفاصيل الحياة تخضع لرقابة جهاز أمني مريع، متغلغل في كل مناحي الحياة، ما جعل من كل ذلك إيذانا بالانهيار المدوي لقلاع الاشتراكية المزعومة، وصعود الرأسمالية الموعودة، وهذا السادات يغرق مصر

١- السابق، ص١٤٦-١٤٧.

٢- السابق، ص١٥٥.

٣- الجليد، ص١٥٤

في معمعة الانفتاح الأبله على أمريكا، لتعم حالة من الجهل والتخلف والعجز والفقر المطرد. وبذلك فإن الكاتب يقدم رؤية تاريخية تندد بكل الأنظمة التي تتحول مبادئها شيئا فشيئا، لتصبح أفعالها ضدا لتلك المبادئ، ولم يستثني الكاتب من ذلك نظاما انتمى إليه، وإنما يقدم الآن تلك التجربة الفاشلة ليستفيد الحاضر من تجارب الماضي، وحتى لا يظن أحد أن شيئا يدوم للأبد، فلا بد من الإمعان في خطايا الماضي حتى لا نورط الحاضر فيها مرة أخرى، فتزيد هموم ومعاناة البشرية أكثر مما هي عليه.

أما روايته "٦٧" آخر إصدارات الكاتب حتى الآن، والتي لا بد من قراءتها في سياقها التاريخي التي كتبت فيه، حيث كتبت في العام ١٩٦٨م، فكانت التالية لـ "تلك الرائحة" في الكتابة، وتأخر نشرها طيلة هذه السنوات بسبب الرقابة ثم نسي الكاتب أمرها مطلقا. إلى أن أعاد البحث في دفاتره القديمة، فوجدها وقرر نشرها. المهم أنه يمكن ملامسة الرؤية السردية للتاريخ في هذه الرواية، ابتداء من عنوانها الذي يشير إلى تلك المرحلة الفاصلة المتمثلة في نكسة حزيران، تكشف الرواية عن عمق المأساة من خلال سارد وشخصيات فقدوا الإحساس بذواتهم.

ولكي يعكس الكاتب تلك المحنة التاريخية في روايته، فإنه لم يلجأ إلى التوثيق، أو زج المعلومات التاريخية بشكل مباشر كعادته، لكنه سلط عدسته على دواخل الشخصيات الروائية، بداية من سارده الذي صوره لا مباليا "ظاهريا"، يعاني أزمة داخلية، يسجل أدق التفاصيل ليكشف عن فراغ الأشياء، فلا معنى لأية قيمة، لا معنى للحياة، لا معنى للكفاح، لا معنى للأخوة، لا معنى للوفاء،

ولا معنى للوطن، وما أشد على الإنسان "من أن يعيش بين الناس الذين باعوه.. إننا جميعا نعيش بين أقارب وأصدقاء وأحباء دون أن نعرف أنهم يمكن أن يبيعونا بسهولة"[١].

يعاني السارد من تخبط نفسي، يظهر من خلال علاقاته وتصرفاته، علاقاته سطحية عابرة، بلا معنى ولا تحقق لذة، وتصرفاته غريبة توحي أنه فاقد الإحساس بالهم العام، وتكشف علاقات الشخصيات بصفة عامة عن قلق داخلي وعدم انسجام، فمثلا نجد الكاتب يسلط الضوء على موضوع "التحرش" في وسائل النقل، وكأنه شيء عادي ومألوف للناس، فالركاب يتنافسون على موقع مميز من الفريسة، والفريسة إما مستسلمة ومشجعة للفعلة، أو معترضة بصمت وانسحاب، فهناك حالة من التواطؤ بين الأفراد، وكأن ذلك انعكاسا لحالة كبت مفروضة عليهم. أما السارد فيبدو متذبذبا في علاقاته، فمن داخله يرفض علاقته الشاذة بزوجة أخيه، ولكنه يستمر فيها، بالإضافة إلى إقامته لعلاقات جنسية عابرة لا تكشف عن هوس جنسي بقدر ما تكشف عن أزمة داخلية، تزيد حدتها مع زيادة محنة الوطن، ففي الوقت الذي يصرخ فيه الوطن مصدرا صوت الغارات أثناء الحرب، إذا به يصم أذنيه عن هذا الصراخ ملهيا بالعبث مع زوجة أخيه، وكأن الأمر لا يعنيه، فضلا عن أننا لا نسمع من هذا السارد جملة مفيدة، فعندما يسأل عن أمر الحرب أو حال البلد، لا يزيد رده عن: "لا أعرف"، أو يلوذ بالصمت، وعندما يسأله صديقه "سألني عن الأخبار. قلت: لا شيء، قال: هل ستقع حرب؟

١- ٦٧، ص٢٣.

قلت: لا أعرف. قال إنه يود لو يحدث شيئا يكسر هذا الروتين.."[١]، وعندما كان بزيارة أحد معارفه، وكان الحديث عن احتمالات الحرب "قال صادق: إنها ٨٠ بالمائة. قالت إنصاف: الظاهر لا مفر منها. سألني صادق عن رأيي. فقلت: لا أعرف."[٢].

من خلال تسليط الضوء على شخصيات مهزومة داخليا بفعل القمع والتعذيب والتسلط، يكشف الكاتب عن تلك المحنة التاريخية، ليقول في النهاية، أنه لا يمكن أن ننتظر انتصارا من وطن أفراده مهزومة، فكانت الهزيمة النكراء نتيجة الهزيمة الداخلية للأفراد، فلم يكن في الرواية التي تحمل التاريخ المهزوم عنوانا لها، أي تاريخ مباشر، بل كانت أخبار قليلة ومتناثرة في الحاضر السردي، الذي دار حول شخصيات غريبة الأطوار ومغيبة، تجري وراء مصالح وضيعة بالنسبة لوضع الوطن الحرج، الذي يقف في مفترق الطرق بمفرده.

خاتمة البحث

يتضح مما سبق أن الرؤية السردية تتجسد من خلال شخصية السارد، ويتخذ الكاتب من السارد نفسه محورا لرواياته، محملا إياه رؤيته الناقدة للمجتمع وللتاريخ، فاضحا كل ما هو زائف ومسكوت عنه. ففي "بيروت بيروت" يرسله إلى لبنان ليكشف عن هذا الصراع العنيف والدموي بين أبناء هذا البلد الجميل، والحال التي آلت إليها "لبنان" في الثمانينات جراء الانقسامات والصراعات. وفي

١- السابق، ص٢٧.

٢- السابق.

"وردة" يذهب به إلى مسقط ١٩٩٢، ليبحث عن مذكرات مناضلة عمانية، تكشف فيها عن قصة كفاح أفراد وشعوب، قصة ثورات وحروب، انتصارات وهزائم في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي. وفي "أمري كان لي" يلبس سارده ثوبا أكاديميا، ويجعله أستاذا للتاريخ المقارن بجامعة القاهرة، يذهب به إلى أمريكا ليحاضر في إحدى معاهدها كأستاذ زائر،وفيها يأتي على التاريخين، الأمريكي والمصري ويتعرض لتاريخ الأديان الثلاثة، مستخدما منهجا نقديا، فجاءت الرؤية شاملة وناقدة. وفي "التلصص" يرجع به إلى زمن الطفولة في أربعينيات القرن الماضي، ومن خلال عين الصبي (المتلصص) الراصدة وأذنه اللاقطة لكل شيء، يرصد من خلالها المجتمع المصري في القاهرة بعدسة كاميرا من كل زواياه، وتبدو الرؤية حيادية لأنها بواسطة وعي طفولي صادق وبرئ، إلا أن الكاتب استطاع بحنكة إظهار الرؤية تجاه قضايا سياسية وأخلاقية وثقافية آنذاك، ولأن المتلصص يحكي كل شيء، فإنه يفضح خبايا المجتمع من خلال لغة غاية في البساطة.

وفي "العمامة والقبعة" يجعل سارده معاصرا ومؤرخا للحملة الفرنسية على مصر، فيكشف من خلالها سوءات المجتمع المصري، ويفضح ازدواجية قيم الاستعمار الذي تحول لوحوش ضارية. وفي "القانون الفرنسي" يظهر سارده الأكاديمي في فرنسا لحضور مؤتمر عن الحملة الفرنسية، وفيه يكشف عن الوجوه المظلمة للحملة، مبينا ما لها وما عليها. والأمر في "برلين٦٩" لا يختلف عن "الجليد" من حيث فضح ونقد النظام الاشتراكي الآيل للسقوط.

وهكذا، فإن المؤلف في كل رواياته يظهر بمظهر المؤرخ الاجتماعي والسياسي للواقع المصري والعربي والعالمي، أماكن متنوعة، من مصر إلى بيروت وظفار ثم أمريكا وفرنسا فموسكو وبرلين، وتبقى مصر في القلب من أعماله، ليظل الواقع المصري هو همه الأساسي.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

صنع الله إبراهيم

: تلك الرائحة وقصص أخرى، دار ومطابع المستقبل بالقاهرة والإسكندرية، الطبعة الثانية ١٩٩٣.

ـــــ : نجمة أغسطس، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٠.

ـــــ : اللجنة، دار المستقبل العربي، الطبعة التاسعة ٢٠٠٤.

ـــــ : بيروت بيروت، دار المستقبل العربي، الطبعة الخامسة ٢٠٠٤.

ـــــ : ذات، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الخامسة٢٠١١.

ـــــ : الجليد، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الأولى ٢٠١١.

ـــــ : ٦٧، طبعة خاصة، مجلة عالم الكتاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإصدار الثالث ٢٠١٥، يوليو/أغسطس العدد٩٠/٩١.

ثانيا: المراجع

– سيزا قاسم

بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

– ترفيطان تودوروف

مقولات السرد الأدبي، ترجمة الحسين سحبان، وفؤاد صفا. ضمن طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الطبعة الأولى الرباط ١٩٩٢.

– جيرار جينيت

خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر الحلي. المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية ١٩٩٧.

ثالثا: المجلات والأبحاث

– أنجيل بطرس سمعان

وجهة النظر في الرواية المصرية، فصول، مجلد٢، عدد٢، ١٩٨٢.

– صنع الله إبراهيم

شهادة، فصول، خريف ١٩٩٢، مجلد١١، ع٣، ص١٧٧.

تعدي الأفعال ولزومها في القرآن الكريم وأثر ذلك على المعنى

إعداد

د/ محمد السيد رزق حسانين

دكتوراه في اللغة العربية

كلية دار العلوم- جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٥م

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان علمه البيان، وهداه إلى طريق الحق والصواب ، و أصلي و أسلم على خاتم النبيين و إمام المرسلين سيدنا محمدﷺ ، و على آله و أصحابه و من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

فليس التعدي واللزوم في جانب من جوانبه إلا وصفًا لعمل الفعل في المفعول به، فالفعل الذي يعمل هو المتعدي والذي لا يعمل هو اللازم.

"ولم يعن سيبويه ولا المبرد من بعده بأمر تقسيم الفعل من حيث التعدي واللزوم عناية المتأخرين من بعدهما، وهذا راجع إلى حداثة الناحية التأليفية في ذلك الوقت المبكر." (١)

فالفعل اللازم: هو ما لا يجاوز الفاعل إلى المفعولية كقعد محمد، وخرج علي، والمتعدي: هو ما يجاوز الفاعل إلى المفعول به نحو : كتبت الدرس وحفظته.

ويمتاز الفعل المتعدي من اللازم بأنه ينفرد بتعديه إلى مفعول به مباشر دون وساطة من حرف جر، أما غير المفعول به فقد اتفق النحويون على أن اللازم والمتعدي في التعدي إليها سواء، فاللازم يتعدى إلى (المصدر)، قال سيبويه: "واعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحدثان"(٢). ويتعدى إلى ظرف الزمان، قال سيبويه: "ويتعدى إلى الزمان"(٣)، ويتعدى إلى ظرف المكان، قال سيبويه: "ويتعدى إلى ما اشتق من لفظه اسمًا للمكان وإلى المكان"(٤).

---

(١)قضايا التعدي واللزوم في الدرس النَّحوي: أبو أوس إبراهيم الشمسان، مطبعة المدني، جدة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٦.

(٢)الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ١/ ٣٤.

(٣)المصدر السابق: ١/ ٣٥.

(٤)المصدر السابق: ١/ ٣٥.

"لقد نظر النحويون في أبنية الأفعال وعلاقاتها في التعدي واللزوم، فوجدوا أنها يمكن أن تصنف في ثلاث مجموعات: أبنية مشتركة بين المتعدي واللازم، وأبنية خاصة باللازم، وأبنية خاصة بالمتعدي." (١)

وقد أشار سيبويه إلى النوع الأول من الأفعال وهي الأفعال التي تستعمل لازمة وتستعمل متعدية، وضرب لها أمثلة في قوله: "وتقول فَتَنَ الرجلُ وفتنتُه، وحزِنَ وحزَنتُه، ورجَعَ ورجعْته"(٢).

وقال أيضًا: "ومثل حزِن وحزَنته عوِرت عينُه وعُرتُها، وزعموا أن بعضهم يقول سوِدت عينُه وسُدتها، كما قالوا عورت عينه وعرتها، وقال أيضًا: "ومثل فتَنَ وفتنته جبرَتْ يده وجبرتُها وركضَتِ الدابةُ وركضتُها، ونزحتِ الركيّةُ ونزحتُها وسار الدابَّةُ وسرتُها. وقالوا رجس الرجلُ ورجستُه، ونقص الدرهمُ ونقصته، ومثله غاض الماءُ وغضتُه"(٣).

ورصد ابن جني هذه الظاهرة في الخصائص وحاول تعليلها، فقال: "هذا الباب الذي نحن فيه ليس بلفظ تَبِعَ لفظًا، بل هو قائم برأسه، وذلك قولهم: غاض الماءُ وغضته سوّوا بين المتعدي وغير المتعدي"(٤)، ثم أورد طائفة من الأفعال ثم حاول التعليل فقال "فهذا كله شاذّ عن القياس وإن كان مطردًا في الاستعمال، إلاّ أن له عندي وجهًا لأجله جاز، وهو أنَّ كل فاعل غير القديم سبحانه فإنما الفعل منه شيء أعيره وأعطيه، وأقدر عليه، فهو وإن كان فاعلاً فإنه لما كان معانًا مقدرًا صار كأن فعله لغيره، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿ **وَمَا**

---

(١)قضايا التعدي واللزوم في الدرس النَّحوي: ص٦.

(٢) الكتاب: ٤/ ٥٦.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٤/ ٥٨، أوضحُ المسالك إلى ألفية ابن مالك: لابن هشام الأنصاري المصري (ت:٧٦١هـ)، تحقيق بركات يوسف هبود، مراجعة يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٦٦، ٦٧.

(٤) الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٩م، ٢/ ٢١٢.

رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [١]، وقد قال بعض الناس: إن الفعل لله، وإن العبد مكتسبه، وإن كان هذا خطأ عندنا فإنه قول لقوم. فلما كان قولهم: غاض الماء أن غيره أغاضه، وإن جرى لفظ الفعل له تجاوزت العرب ذلك إلى أن أظهرت هناك فعلاً بلفظ الأول متعديًا؛ لأنه قد كان فاعله في وقت فعله إياه إنما هو مشاء إليه أو معان عليه. فخرج اللفظان لما ذكرنا خروجًا واحدًا."[٢].

ويذكر لنا السيوطي في (الهمع) قسمة رباعية هي: "الفعل أربعة أقسام: لازم، ومتعد، وواسطة: لا يوصف بلزوم ولا تعد وهو الناقص: كان وكاد وأخواتهما، وما يوصف بهما، أي باللزوم والتعدي معًا، لاستعماله بالوجهين". [٣]

ويلاحظ أن النحويين جعلوا بعض الأفعال في قسم منفصل عن قسمي المتعدي واللازم، وهو القسم الذي توصف الأفعال فيه بالتعدي واللزوم، أي أنها تسلك في اللغة سلوكين؛ سلوك المتعدية وسلوك اللازمة.

وهذه الطائفة من الأفعال أثارت جدلا بين النحويين؛ لأنها تجيء تارة متعدية بنفسها أو بحرف الجرّ، ولازمة تارة أخرى، ولذلك جعلت قسمًا برأسه قال ابن عصفور: "وإنما جعل هذا قسمًا برأسه، ولم يجعل من القسمين لأنه قد وجد الفعل يصل تارة بنفسه، وتارة بحرف جرّ، ولم يستعمل أحدهما أكثر من الآخر"[٤].

وهذه الأفعال مثل: شكرته وشكرت له، ونصحته ونصحت له. ذكر ابن بابشاذ أن هذا اللون من استعمال موقوف على السماع وأن فيه مذهبين:

الأول: أن الأصل فيها تعديها بحروف الجر ثم حذف الجار فتعدى الفعل[٥].

---

(١) سورة الأنفال: آية ١٧.

(٢) الخصائص: ٢/ ٢١٥.

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، الدكتور/ عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة،١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٥/ ٩.

(٤) شرح جمل الزجاجي: لابن عصفور الإشبيلي (ت:٦٦٩هـ) ، تحقيق الدكتور/ صاحب أبوجناح ، (د. ت.ط)، ١/ ٣٠٠.

(٥) شرح المقدمة المحسبة: ابن بابشاذ؛ أبو الحسن طاهر بن أحمد (ت٤٦٩ هـ)، تحقيق: خالد عبد الكريم، ط١، الكويت، ١٩٧٦م، ص ٣٦٩.

وقد ذهب سيبويه إلى أن أفعالاً مثل سميته زيدًا إنما دخلتها الباء في قولك سميته بزيد وكنيته بزيد على نحو ما دخلت في عرفته بزيد قال: " فإنما تدخل في سميت وكنيته على حد ما دخلت في عرفته بزيد فهذه الحروف كان أصلها في الاستعمال أن توصل بحرف الإضافة " (١).

والمذهب الثاني: أنهما لغتان بمعنى واحد لغة قوم يعدون هذا الفعل بواسطة ولغة آخرين بنفسه(٢).

أما المذهب الثالث : هو أن هذه الأفعال–إذا تساوت في الاستعمال، وكان كل واحد منهما غالبًا نحو نصحتك ونصحت لك– متعدية مطلقًا إذ معناه مع اللام هو معناه من دونها والتعدي واللزوم بحسب المعنى، وهو بلا لام متعد إجماعًا، فكذا مع اللام.(٣)

"وذهب البعض إلى أنه لا يتصور أن يوجد فعل تارة يتعدى بنفسه وتارة بحرف جر؛ لأنه محال أن يكون قويًّا ضعيفًا في حال واحدة، ولا المفعول محلاً للفعل وغير محل للفعل في حين واحد، وصحح ابن عصفور هذه الملاحظة، وعلى هذا فإنه عند تساوي الاستعمال في الفعل متعديًا بنفسه ومتعديًا بحرف فإن كل واحد منهما أصل بنفسه" (٤).

وتصب في هذا القسم الأفعال المتعدية في الأصل ثم أخذت في السلوك سلوك اللازم، والأفعال اللازمة في الأصل ثم أخذت في السلوك سلوك المتعدي، ومن هذه الأفعال ما يتعدى بنفسه تارة وما يتعدى بحرف جرّ تارة أخرى.

من خلال ما سبق يتضح أن هناك بعض الأفعال قد تتحول من المتعدي إلى اللازم ومن اللازم إلى المتعدي بطرق معروفة في اللغة تتم بإحداث تغيير في صيغة الفعل وبنائه.

---

(١) الكتاب: ١/ ٣٨-٣٩.

(٢) شرح المقدمة المحسبة: ص٣٦٩.

(٣) شرح الرضي على الكافية: للشريف الرضي، تصحيح وتعليق الأستاذ/ يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ٢/ ٢٧٣.

(٤) شرح جمل الزجاجي : ١/ ٣٠٠.

وهناك كثير من الأفعال وردت في القرآن الكريم وكلام العرب بصيغتي التعدي واللزوم، وسوف نتناول في هذا البحث تلك الأفعال، ودلالتها في حالتي التعدي واللزوم.

(أتى)

ورد الفعل بكثرة في القرآن الكريم بصيغتي التعدي واللزوم ، وكأن كل واحد منهما هو أصل للآخر.

فمن وروده لازمًا، قوله تعالى:

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ (١)

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (٢)

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (٣)

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّه﴾(٤)

يلاحظ أن الفعل (أتى) جاء لازمًا؛ ليوضح إتيانًا عامًا غير مختص بطائفة دون أخرى، فالآيات السابقة تدل على نواميس إلهية ، وقدرة الله تعالى في الكون.

ومن وروده متعديًا:

﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٥)

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾(٦)

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾(٧)

﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾(١)

---

(١) سورة المائدة: آية ٥٢.

(٢) سورة النحل: آية ١.

(٣) سورة الدخان: آية ١٠.

(٤) سورة الشورى: آية ٤٧.

(٥) سورة نوح: آية ١.

(٦) سورة المنافقون: آية ١٠.

(٧) سورة البقرة: آية ٢١٠.

أما مجيء الفعل متعديًا ، فقد دل على إتيان خاص، لطائفة دون أخرى، فالله يتوعد كفار مكة أن يأتيهم عذاب أليم، وكذلك يتوعد من لا ينفق أن يأتيه الموت... وهكذا.

(أخذ)

يستعمل هذا الفعل لازمًا ومتعديًا، فمن وروده لازمًا ، قوله تعالى:

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾(٢)

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾(٣)

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾(٤)

﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾(٥)

ومن وروده متعديًا قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾(٦)

﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾(٧)

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾(٨)

﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾(٩)

يتضح من الآيات السابقة أن الفعل (أخذ) جاء لازمًا في المجموعة الأولى، وجاء متعدًيا بنفسه في المجموعة الثانية، وتختلف دلالة الفعل في المجموعتين بين التعدي واللزوم.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٤٨.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٥٠.

(٣) سورة طه: آية ٩٤.

(٤) سورة الرحمن: آية ٤١.

(٥) سورة الأنفال: آية ٧٠.

(٦) سورة آل عمران: آية ٨١.

(٧) سورة النساء: آية ١٠٢.

(٨) سورة الأعراف: آية ١٥٤.

(٩) سورة الأعراف: آية ١٦٩.

يقول الرازي: " إن المأخوذ إن كان مقصودًا بالأخذ توجه الفعل نحوه فيتعدى إليه من غير حرف ، وإن كان المقصود بالأخذ غير الشيء المأخوذ حسا تعدى إليه بحرف ، لأنه لما لم يكن مقصودا فكأنه ليس هو المأخوذ ، وكأن الفعل لم يتعد إليه بنفسه ، فذكر الحرف ، ويدل على ما ذكرنا استعمال القرآن ، فإن الله تعالى قال: **(وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ)** ، **(أَخَذَ الْأَلْوَاحَ)** إلى غير ذلك ، فلما كان ما ذكر هو المقصود بالأخذ عدى الفعل إليه من غير حرف ، وقال تعالى : **(لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي)** وقال تعالى : **(فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ)**، ويقال : خذ بيدي وأخذ الله بيدك إلى غير ذلك مما يكون المقصود بالأخذ غير ما ذكرنا" [١].

(أضاء)

يستعمل الفعل (أضاء) متعديًا ولازمًا، فمن وروده لازمًا قوله تعالى:

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾[٢]

ومن وروده متعديًا قوله تعالى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[٣]

من خلال الآيتين السابقتين يتضح أن الفعل (أضاء) جاء لازمًا في الآية الأولى، ومتعديًا في الآية الثانية، وهذا في سياق واحد، فالآيتان في سياق يبين حال المنافقين وموقفهم من الإيمان بالله واتباع هدي رسوله.

وقد جاء الفعل (أضاء) في الآية الأولى لازمًا **(أَضَاءَ لَهُمْ)** ، وفي الآية الثانية متعديًا بنفسه **(أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ)** "وكل من التعدي واللزوم في الفعل

(١) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ٩٥/١٥.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠.

(٣) سورة البقرة: آية ١٧.

يتوافق مع دلالة المقام في توضيح صورة المثل المضروب لتصوير حالتهم"(١).

"والمقامان يختلفان، فالأول يبين موقفهم من الدعوة التي غمرتهم بنور الهداية، فلم يحسنوا الاتباع ولم يصدقوا الإيمان بها والحال أنها جاءت تبين كل شيء وتفصل وتوضح وتخاطب بنور هدايتها البصائر والأبصار ولم تترك شيئًا في الكون إلا أبانت عن مظهر الهداية فيه ومع ذلك فقد أثروا الضلال وتخبطوا في ظلمات الكفر والنفاق"(٢).

ففي الآية الأولى: يصور حالتهم بحالة من يقع تحت ضوء خاطف وسريع للبرق فيحملقون فيه وينظرون إليه حتى يكاد من شدته يخطف أبصارهم دون أن ينتفعوا بنور ومضاته السريعة والقوية.

والضوء في البرق قاصر لا يتعدى مصدره ولا يضئ شيئا، وإنما هو في حقيقته ضوء سريع يلمع فيتخيل من يبصره أنه أضاء الأفق حوله ثم لا يلبث أن يجد نفسه في ظلام وإظلام بعد أن أصابه البرق بالعمى وأفقده القدرة على الإبصار وكأنه قد خطف بصره وعطل فيه القدرة على تبين الأشياء(٣).

أما في الآية الثانية: " يصور حالتهم بصورة من يوقد نارًا فتضيء كل شيء من حوله، ثم لا يهتدي بنورها ولا ينتفع بضوئها ويعود إلى ظلام الضلال والتيه"(٤).

وهذا المقام يقتضي ولا شك التعبير بالفعل (أضاء) متعديًا بنفسه ليطابق الوجه في المثل المضروب بالنار التي تشتد وتعلو ويكثر ضوؤها ويستقر نورها فتستضئ بها الأبصار وتتضح به المرئيات، وكل هذا يشعر بأن نور الرسالة وهدي القرآن قد انتشر من حولهم وأحاط بهم وبين كل شيء يتصل بحياتهم،

---

(١) إعجاز الظاهرة النحوية في القرآن الكريم:الدكتور/ على اليمني دردير، (بدون ذكر مكان النشر)، ١٩٩٩م، ص٥٧.

(٢) المصدر السابق: ص٥٧.

(٣) ينظر: تفسيرالقرطبي (الجامع لأحكام القرآن): لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ٢١٢/١.

(٤)في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ، ١٧/١.

وكان يمكنهم الاهتداء به والسير عليه، ولكنهم حيث كانوا وأصروا على حياة الضلال والتخبط في الظلام والإلحاد. (١)

ولذلك جاء الفعل لازمًا في الآية الأولى ولم يذكر معه مفعولاً ما ليطابق واقع الفعل في ضوء البرق الذي يظهر ويختفي بسرعة فائقة دون أن تتبين العين معه شيئًا على جهة الدقة والوضوح، وإنما هو الإظلام الذي يعقبه ويجعل العين عاجزة عن رؤية الأشياء.

الأفعال: (أبان، وبيَّن، و تبيَّنَ، و استبانَ)

هذه الأفعال تكونُ لازمةً ومتعدِّية، فإذا كانَ (أبانَ) بمعنى: ظهر؛ فهو لازم، يقال: (أبانَ الصُّبحُ)؛ إذا ظهر، وإذا كانَ بمعنى: أظهر؛ فهو متعدٍّ؛ نحو: (أبانَ الشَّيءَ)؛ إذا أظهره.

ومثلُه: (بيَّن) إذَا كانَ (تبيَّن) بمعنَى: ظَهَر، فهو لازمٌ، يُقال: (تبيَّنَ الشَّيءُ)؛ إذَا ظَهَر، وإذا كان بمعنَى :عَرَف، فهو متعدٍّ، نحو: (تبيَّنَ الشَّيءَ)؛ إذا عرفه. ومن وروده لازمًا قوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٢)

الفعل هنا جاء لازمًا فاكتفى بالفاعل، والمعنى : قد ظهر الحق، أو بمعنى "تميز الإيمان من الكفر" (٣).

ومما جاء متعديًا قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾(٤)

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، ٣١٨/١، وتفسير القرآن العظيم: ١٨٦/١.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٦.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٣٠٣/١.

(٤) سورة آل عمران: آية ١٨٧.

الفعل جاء متعديًا ، والمعنى: لتوضحوه، أو لتعرفوه للناس.

وكذلك الفعل (استبان) يأتي متعديًا ولازمًا، كقوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١)

قرأ حفص عن عاصم وأبو عمرو وابن كثير وابن عامر ويعقوب **(وَلِتَسْتَبِينَ)** بتاء التأنيث ورفع سبيل.

وقرأ نافع وأبو جعفر بتاء الخطاب في الفعل ونصب (سبيلَ). (٢)

أما توجيه القراءة الأولى: أن الفعل لازم تقول في مثله: استبان الصبح، أي ظهر، ثم أسند إلى السبيل على لغة تأنيثه، وكأن معنى الكلام: وكذلك نفصل الآيات، ولتتضح لك يا محمد ﷺ وللمؤمنين طريقُ المجرمين.

وأما توجيه القراءة الثانية : على أن "تستبين" خطاب للنبي ﷺ ، والفعل أسند إلى الرسول ﷺ ونصب سبيل على المفعولية، والفعل في هذه القراءة متعدٍ، مثل: استبان الأمر ، أي استوضحته، وكأن معناه: ولتستبين، أنت يا محمد ﷺ سبيلَ المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم. (٣)

(جاء):

ورد الفعل متعديًا، ولازمًا، فمن صور لزومه قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ (٤)

---

(١) سورة الأنعام: آية ٥٥.

(٢)المبسوط في القراءات العشر: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة، جدة، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م، ص١٦٩، و النشر في القراءات العشر: لأبي الخير محمد بن محمد الشهير بابن الجزري، تصحيح على محمد الضباع، دار الكتاب العلمية، بيروت، (د.ت)،٢٥٨/٢،

(٣)معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ، الطبعة الأولى، (د.ت)، ٣٣٧/١، تفسير الطبري:٣٩٥/١١، والكشاف:١٢٦/٢، والفخر الرازي: ٦/١٣، والبحر المحيط، ١٤١/٤.

(٤) سورة النساء: آية ٤٣.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَ مِثْلَهَا﴾(١)

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا ﴾ (٢)

﴿جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ (٣)

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ (٤)

يلاحظ أن الفعل (جاء) في هذه الآيات جاء مكتفيًا بالفاعل، ولم يتعد بحرف الجر في بعض الآيات، لأن المعنى اكتمل بذكر الفعل والفاعل، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم كثيرًا، وكأن الأصل في الفعل اللزوم.

ومن صور تعديه قوله تعالى:

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (٥)

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ (٦)

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ (٧)

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٨)

جاء الفعل متعديًا في الآيات السابقة بنفسه دون حرف الجر، وذكر المفعول به المنصوب، وقد ورد في القرآن الكريم متعديًا بكثرة، وكأن الأصل فيه التعدي، واللزوم طرأ عليه.

(حذَرَ)

(١) سورة الأنعام: آية ١٦٠.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٤٣.
(٣) سورة التوبة: آية ٤٨.
(٤) سورة يونس: آية ٨٠.
(٥) سورة البقرة: آية ٢٧٥.
(٦) سورة الأنعام: آية ٦١.
(٧) سورة الأعراف: آية ١١٣.
(٨) سورة الحجر: آية ٦١.

يستعمل الفعل (حذِرَ) في القرآن الكريم لازمًا ومتعديًا، فمن استعماله لازمًا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾(١)

﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٢)

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(٣)

ولعل دلالة الفعل اللازم هنا مطلقة، بمعنى أنها ليست مقيدة بحدث بعينه ، وإنما هي عامة ، فالحذر المذكور في الآيات حذر عام، يشمل الحذر الظاهر والباطن.

وأما استعماله متعديًا، قوله تعالى:

﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾(٤)

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾(٥)

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾(٦)

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾(٧)

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾(٨)

﴾(٨)

ولعل دلالة الفعل المتعدي توضح أن الحذر المقصود محدد، وغير شائع ، فالحذر في الآيات السابقة إما من العدو، أو الأزواج والأولاد، أو من الآخرة، أو من إنزال سورة ... إلخ.

---

(١) سورة التوبة: آية ٦٤.

(٢) سورة التوبة: آية ١٢٢.

(٣) سورة القصص: آية ٦.

(٤) سورة المنافقون: آية ٤.

(٥) سورة التغابن: آية ١٤.

(٦) سورة النور: آية ٦٣.

(٧) سورة الزمر: آية ٩.

(٨) سورة التوبة: آية ٦٤.

ولعل طول الجملة وما يذكر فيها من وظائف نحوية يؤدي في أغلب الأحيان إلى تخصيصها، لذا كانت دلالة جملة الفعل اللازم أعم وأشمل من دلالة جملة الفعل المتعدي.

(حَزِنَ)

يستعمل الفعل (حَزِنَ) في القرآن الكريم لازمًا ومتعديًا، فمن استعماله لازمًا قوله تعالى:

﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١)

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾(٢)

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾(٣)

وأما استعماله متعديًا، قوله تعالى:

﴿وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾(٤)

﴿وَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(٥)

﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾(٦)

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾(٧)

قد يفيد لزوم الفعل أن الحزن جاء عارضًا ولم يتمكن من الإنسان بعد، فهو بمثابة الشعور والإحساس، ولذا جاءت الأفعال لازمة، لعدم وجود سبب مباشر للحزن.

أما تعدية الفعل هنا تفيد أن الحزن أصاب القلب؛ " لأن حزنته أي جعلتُ فيه حُزنًا كما تقول كحَلْتُه أي جعلت فيه كحلاً ودهَنْتُه جعلت فيه دهنًا" (١)؛

(١) سورة البقرة: آية ٣٨.
(٢) سورة التوبة: آية ٤٠.
(٣) سورة النحل: آية ١٢٧.
(٤) سورة آل عمران: آية ١٧٦.
(٥) سورة يونس: آية ٦٥.
(٦) سورة الأنبياء: آية ١٠٣.
(٧) سورة لقمان: آية ٢٣.

فأسباب الحزن قد وقعت بالفعل ، لذا تحول الحزن من شعور قد ينتاب الإنسان لأسباب معينة إلى واقع ملموس نتيجة تحقق هذه الأسباب. – والله أعلم–

(خالف)

ورد الفعل لازمًا ومتعديًا، فمن وروده لازمًا، قوله تعالى:

﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾(٢).

وقد عدّ أبو عبيدة (عن) زائدة(٣). وفسره الزمخشري على حذف مفعول من التركيب، فالأصل عنده خالفه عن أمره، قال "فحذف المفعول؛ لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه"(٤)، أما عند العكبري: "الكلام محمول على المعنى، لأن معنى يخالفون يميلون ويعدلون"(٥).

"ومعنى { **الذين يخالفون عَنْ أَمْرِهِ** } الذين يصدّون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون ، فحذف المفعول لأنّ الغرض ذكر المخالِف والمخالف عنه. والضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول ﷺ، والمعنى : عن طاعته ودينه." (٦)

ومن وروده متعديًا قوله تعالى:

---

(١)المخصص في اللغة: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق : خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ٨٧/٤.

(٢) سورة النور: آية ٦٣.

(٣) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٣٨١ هـ،، ٢/ ٦٩.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٣/ ٢٦٥.

(٥)التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله النحوي العكبري، تحقيق: الدكتور علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٢/ ٩٧٩.

(٦)الكشاف: ٣/ ٢٦٥.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[١]

جاء الفعل (أخالف) متعديًا بنفسه دون حرف الجر؛ وذلك لأن الفعل يدل على مشاركة بين طرفين، مخالِف، ومخالَف، والمعنى: يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها.

(دخل)

اختلف النحويون في دخلت البيت هل هو متعد أو غير متعد، وإنما التبس عليهم ذلك لاستعمال العرب له بغير حرف الجر في كثير من المواضع"[٢]، ولذلك ذهب أبو عمر الجرمي إلى أن الفعل (دخل) من الأفعال التي تتعدى ولا تتعدى[٣].

ويعد ابن السراج الفعل لازمًا موافقًا بذلك سيبويه، ويؤيد مذهبه مرادفه (غار) غير متعد، ومضاده غير متعد وهو خرج"[٤].

واستدل السيرافي على لزوم (دخل) بأنك تقول: " (دخلت في الأمر) ولا تعديه فتقول: دخلت الأمر" [٥].

" وتابعه الفارسي الذي يرى أن الفعل (دخل) من الأفعال اللازمة، وإذا ورد ما يوحي بأنه ينصب مفعولاً، فإنما يكون على إرادة حرف الجر ثم حذف، كما أنّك إذا قلت دخل زيد الدار كان معناه: في الدار" [٦].

وإذا أمعنا النظر في الآيات القرآنية التي ورد فيها الفعل (دخل) يلاحظ أنه جاء متعديًا ولازمًا.

فمن صور لزومه قوله تعالى:

﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [١]

---

(١) سورة هود: آية ٨٨.

(٢)الأصول في النحو: لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، تحقيق الدكتور/عبد الحسين اللفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ١/٢٠٣.

(٣)شرح أبيات سيبويه: لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي، تحقيق محمد علي سلطان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٦م، ٣/ ٢٣٣.

(٤) الأصول في النحو: ١/ ٢٠٤.

(٥) شرح الكتاب، للسيرافي: ٣/ ٢٤٣.

(٦)الحجة للقراء السبعة:٦/١١٣.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ (٢)

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ﴾ (٣)

﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾(٤)

ففي الآيات السابقة صورة واضحة للفعل (دخل) وقد جاء لازمًا؛ لأن مكان الدخول غير محدد ، ويمكن تأويله بأكثر من معنى، فالمنافقون دخلوا على رسول الله ﷺ ولكن القرآن لم يفصح هل دخلوا عليه مجلس علمه ، أم أي مكان آخر؟

ويمكن ملاحظة أن الفعل (دخل) جاء لازمًا في الآيات السابقة، وقد تعدى بحرف الجر (الباء، ومن، وعلى)، لدخوله على الأناسي، أو الظرف الذي يصار إليه معنويًا(٥).

ومن صور تعديه قوله تعالى:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ (٦)

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ (٧)

﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ (٨)

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ (٩)

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (١٠)

---

(١) سورة المائدة: آية ٦١.

(٢) سورة يوسف: آية ٦٨.

(٣) سورة يوسف: آية ٦٩.

(٤) سورة النصر: آية ٢.

(٥) ينظر: الفعل زمانه وأبنيته: الدكتور/ إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٨٥.

(٦) سورة آل عمران: آية ٣٧.

(٧) سورة النمل: آية ٣٤.

(٨) سورة المائدة: آية ٢٣.

(٩) سورة يوسف: آية ٣٦.

(١٠) سورة القصص: آية ١٥.

في هذه الآيات جاء الفعل (دخل) متعديًا بنفسه دون احتياج إلى حرف الجر؛ وذلك لأن مكان الدخول محدد لا يحتاج إلى تأويل، فجاء الفعل متعديًا بنفسه .

ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي: " أن مجيء هذا الفعل متعديًا إلى مفعوله بصوره مباشرة فكثير جدًا في التنزيل، والذي نلاحظه أنه جاء كذلك كلما كان الظرف الذي يصار إليه حقيقيًا.

ومعنى هذا أن الفعل يتعدى بإسقاط حرف الجر (في) وذلك لظهور الظرفية التي يشير إليها الحرف بوجود ما هو ظرف حقيقة نحو: (المحراب، والقرية، والسجن، والمدينة، والمسجد،... ونحو ذلك)، وإسقاط الجار في هذه الآيات بعد أن اتضحت الظرفية أمر يستدعيه الإيجاز الذي جرت عليه العربية"(١).

وبهذا جاء الفعل (دخل) متعديًا ولازمًا؛ لأنّه يتعدى بنفسه تارة ، وبحرف الجر تارة أخرى، وكثرَة الأمرين فيه تدل على أنَّ كلَّ واحد منهما أصل" (٢).

(رجع)

يستعمل الفعل (رجع) في القرآن الكريم لازمًا ومتعديًا، فمن استعماله لازمًا قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾(٣)

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾(٤)

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾(٥)

وأما استعماله متعديًا، قوله تعالى:

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾(١)

---

(١) ينظر: الفعل زمانه وأبنيته: ص٨٦.

(٢)شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١٩٧/٢.

(٣) سورة الأعراف: آية ١٥٠.

(٤) سورة هود: آية ١٢٣.

(٥) سورة المنافقون: آية ٨.

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ﴾[٢]

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[٣]

من خلال الآيات السابقة يتضح أن الفعل (رجع) استعمل لازمًا، ومتعديًا بدون همزة التعدية ، وقد أشار سيبويه إلى هذا النوع من الأفعال وهي الأفعال التي تستعمل لازمة وتستعمل متعدية، وضرب لها أمثلة في قوله: "وتقول فَتَنَ الرجلُ وفتنتُه، وحزِنَ وحزَنتُه، ورجَعَ ورجعْته"[٤].

فدلالة الفعل في لزومه تدل على العودة إلى المكان مرة أخرى، فرجع إلى المدينة ، أي عاد إليها، فلزوم الفعل يدل على أن الفعل وقع باختيار الفاعل، فالفاعل عاد بنفسه.

أما دلالة الفعل في تعديته فهي تدل على الردود مرة أخرى، فـ **(رَجَعَكَ اللَّهُ)** أي : ردك الله إليهم ، و **(رَجَعْنَاكَ)** أي : رددناك، فهناك قوة فاعلة هي التي قامت بالفعل. –والله أعلم–

(سأم)

ورد الفعل لازمًا ومتعديًا ، وقد اختلفت دلالة كل منهما، فمن وروده لازمًا قوله تعالى:

﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾[٥]

﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾[٦]

جاء الفعل (سأم) لازمًا في الآيات السابقة دالاً على العموم والشمول، وذكر المفعول صراحة يخصص هذا العموم، فالملائكة لا تملُّ من العبادة ، أو من الطاعة، أو من أي شيء.

---

(١) سورة التوبة: آية ٨٣.

(٢) سورة طه: آية ٤٠.

(٣) سورة الملك: آية ٣.

(٤)الكتاب: ٤: ٥٦.

(٥) سورة فصلت: آية ٣٨.

(٦) سورة فصلت: آية ٤٩.

وكذلك الإنسان لا يَمَلّ من دعائه ربُّه بالخير –وهو: المال، وصحة الجسم، وغير ذلك. (١)

ومن وروده متعديًا قوله تعالى:

﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾(٢)

استخدم الفعل متعديًا بنفسه تارة وبحرف تارة أخرى، ولذا وقعت "أن" المصدرية وصلتها موقع ما يتعدّى إليه هذا الفعل، فتحتمل عندئذٍ أن تكون مفعولاً به، وتحتمل أن تكون على إسقاط الجار(٣) ، وذلك قياسًا على الاستخدام المطرد الذي ثبت بالسماع.

ويكون المعنى –والله أعلم– ولا تملوا كثرة مداياتكم أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب، أو من كثرة مداياتكم على إثبات حرف الجر(٤).

(شكر)

يستعمل الفعل (شكر) في القرآن الكريم لازمًا ومتعديًا، فمن استعماله لازمًا قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾(٥)

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٦)

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾(٧)

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير، تحقيق تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١٨٦/٧.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(٣)البحر المحيط ٣٦٧/٢.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ٣١٢/١.

(٥) سورة لقمان: آية ١٢.

(٦) سورة العنكبوت: آية ١٧.

(٧) سورة القمر: آية ٣٥.

جاءت دلالة الفعل اللازم في الآيات السابقة لتوضح أن الله سبحانه وتعالى هو المستحق للشكر؛ لأنه سبب لنا الأسباب لكي نعبده، فالآيات تبين المعنى العام للشكر والهدف منه أنه ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لنيل رضا الله ، حيث يقول الله تعالى : **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾**(١) .

وأما استعماله متعديًا، قوله تعالى:

﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٢)

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾(٣)

أما دلالة الفعل المتعدى هنا فقد خصصت الدلالة، وإن كانت شائعة في مضمونها، فالشكر وإن اقتصر على النعمة ، إلا أنه عام في معناه.

(صفد)

يستخدم الفعل (صدف) متعديًا ولازمًا:

يقول تعالى: **﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾**(٤)

جاء الحق سبحانه وتعالى بهذه الصيغة المحتملة لأن تكون لازمة وأن تكون متعدية ليصيب الأسلوب غرضين:

الغرض الأول: أن تكون " صدف " بمعنى انصرف وأعرض فكانت لازمة أي ضل في ذاته.

والأمر الثاني: أن تكون صدف متعدية فهي تدل على أنه يصرف غيره عن الإيمان، أي يضل غيره، ويقع عليه الوزر؛ لضلال نفسه أولاً ثم عليه وزر من أضل ثانيًا، ولذلك جاء سبحانه باللفظ الذي يصلح للاثنتين " صدف عنها " أي انصرف، ضلالاً لنفسه، وصدف غيره أي جعل غيره يصدف ويعرض فأضل

(١) سورة إبراهيم: آية ٧.
(٢) سورة النحل: آية ١١٤.
(٣) سورة النمل: آية ١٩.
(٤) سورة الأنعام: آية ١٥٧.

غيره، وبذلك يعذبه الله عذابين، فيقول سبحانه: {... **سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ** }

فكأن المسألة يرتكبها: الذين صدفوا أنفسهم، وصرفوها عن الإيمان ويصدفون كل من يحاول أن يؤمن. وهؤلاء هم القوم الذين أعرضوا وانصرفوا عن منهج الهدى، أو تغالوا في ذلك فصرفوا غيرهم عن منهج الهدى. (١)

(طمس)

جاء لازمًا في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾(٢)

وجاء متعديًا بنفسه في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾(٣)

يقول ابن عباس: " وفي الآية الأولى أراد أنه لو شاء لجعل على بصرهم غشاوة، أي ألزق أحد الجفنين بالآخر فيكون على العين جلدة فيكون قد طمس عليها ، أما المراد من الطمس في الآية الثانية الحجب عن الإدراك فما جعل على بصرهم شيء غير أنهم دخلوا ولم يروا هناك شيئًا، فكانوا كالمطموسين، "(٤).

(١)ينظر:الكشاف: ٨١/٢، تفسيرالبيضاوي: ١٩٠/٢، تفسير الشعراوي (الخواطر): محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م، ٤٠١١/٧- ٤٠١٢.

(٢) سورة يس: آية ٦٦.

(٣) سورة القمر: آية ٣٧.

(٤)تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ينسب لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية – لبنان، (د.ت)،ص٣٧٢.

وقال الزمخشري :"معنى **(فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ)** أنهم عموا وصارت أعينهم مع وجههم كالصفحة الواحدة ، فجعلت كسائر الوجه لا يرى لها شق ، ويؤيده قوله تعالى : { **فَذُوقُوا عَذَابِي** } " (١).

جاء الفعل في الآية الأولى لازمًا : **(لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ)** وكأن الله قد خوفهم بالممكن المقدور عليه فاختار ما يصدقه كل أحد ويعرف به وهو الطمس على العين ، لأن إطباق الجفن على العين أمر كثير الوقوع وهو بقدرة الله تعالى وإرادته فقال :**(وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ)**، وما شققنا جفنهم عن أعينهم وهو أمر ظاهر الإمكان كثير الوقوع(٢).

يلاحظ أن الفعل جاء لازمًا؛ لأن الطمس وقع على العيون ولم يقع بها، فهي عيون صحيحة سليمة قد حجبت عن الإبصار بما وقع عليها من الطمس، فالعين قد سلبت قوة الإبصار مع بقائها على حالتها الظاهرية من السلامة والشخوص، والآية في مقام وعيد وتهديد لم يقع فعله ولكنه كالواقع؛ لأنه منسوب إلى المشيئة الإلهية(٣).

أما تعدية الفعل في الآية الثانية تعني وصول أثر الفعل إلى مفعوله فيكون الطمس وهو الحجب والمحو قد لحق العيون فأصبحت مطموسة محجوبة لا ترى أحدًا ولا يراها أحد فهي مطموسة قد محيت وطمست معالمها وسويت بصفحتي الوجه فلا أثر لها.

وهذا يتوافق مع مقام السياق فيها فقد أنذرهم الله بالبطش والتنكيل فكذبوا وتمادوا في الكفر والفجور وأرادوا الفاحشة بضيف لوط من الملائكة المرسلين، فكان عقابهم العاجل طمس أعينهم ليكونوا عبرة لمن وراءهم وليذوقوا العذاب الأليم(٤).

(عزم):

---

(١)ينظر :الكشاف:٦/٤٥٥.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ١٥/١٨.

(٣)ينظر :تفسير الرازي: ١٥/١٨، وتفسير البيضاوي:٥/٦٠.

(٤)ينظر: إعجاز الظاهرة النحوية في القرآن الكريم: ص٦٤-٦٥.

ورد الفعل عزم متعديًا، ولازمًا، ومن وروده لازمًا، قوله تعالى:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[١]

الفعل (عزمت) اكتفى بالفاعل، وكأن الدلالة إذا عزمت على أمر فتوكل على الله .

وعد الأشموني التضمين مما يصير به اللازم متعديًا ومثّل لذلك بقوله تعالى:﴿وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾[٢].

فالتضمين أن يؤدي فعل أو ما في معناه معنى فعل آخر وما في معناه، فيعطي حكمه في التعدية واللزوم، فكأن معنى (لا تعزموا) "أي: لا تنووا؛ لأن عزم لا يتعدى إلا بعلى، تقول عزمت على كذا، لا عزمت كذا ، ومنه رحبتكم الطاعة، وطلع بشر اليمن، أي وسعتكم وبلغ اليمن". [٣]

قال أبو حيان: "وانتصاب عقدة على المفعول به لتضمين تعزموا معنى ما يتعدى بنفسه، فضمن معنى تنووا، أو معنى تباشروا، أو معنى تقطعوا، أي تبتوا. وقيل: انتصب عقدة على المصدر، ومعنى تعزموا: تعقدوا، وقيل: انتصب على إسقاط حرف الجر وهو على هذا التقدير ولا تعزموا على عقدة النكاح"[٤].

ومثله قوله تعالى ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٥]

فقد تعدى إلى نصب المفعول به (الطلاق).

(غضَّ)

جاء الفعل لازمًا ، كما في قوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٣٥.

١- (٣)شرح الأشموني على ألفية بن مالك: لأبي الحسن علي نور الدين بن محمد بن عيسى الأشموني(ت٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م،١/٤٤٩.

(٤) البحر المحيط: ١/ ٢٢٩.

(٥) سورة البقرة: آية ٢٢٧.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ..... وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾(١)

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾(٢)

وجاء متعديًا بنفسه في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٣)

جاءت الأفعال (يغضوا- يغضضن- اغضض) لازمة ولم تنصب المفعول به مباشرة.

فالفعل **(اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ)** في وصية لقمان لابنه جاء في مقام آداب عامة تتنوع فيها المواقف وتختلف فيها المناسبات، " فيكون غض الصوت حسنا في مناسبة دون أخرى، وربما كان قبيحًا منهيًا عنه في موقف يكون رفع الصوت هو المحمود والمطلوب، وذلك في مواقف الشهادة والدعوة إلى الحق والدفاع عنه وما يماثل ذلك من مواقف ومناسبات تتطلب رفع الصوت دون غضه، وهذا ما جعل لقمان يذكر (من) مع الفعل تحرزًا من إرادة الإطلاق ، وبها يتحقق للوصية حكمة المنهج وسلامة القصد"(٤).

ومثل ذلك غض البصر المأمور به فليس هو على إطلاقه، وإنما المراد به الغض عن المحرمات والعورات وغير ذلك مما يكون النظر فيه مدعاة للوقوع في الخطأ والخطيئة.

أما الفعل في الآية الثانية **(يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ)** فقد جاء متعديًا بنفسه دون حاجة إلى حرف الجر؛ وذلك لأن المقام يتطلب سلوكًا خاصًا مع النبي ﷺ ، ولا يتحقق هذا إلا بعموم الفعل واستغراقه للمفعول ، فقد أمر الله المؤمنين أن

(١) سورة النور: آية ٣٠، ٣١.
(٢) سورة لقمان: آية ١٩.
(٣) سورة الحجرات: آية ٣.
(٤)المصدر السابق: ص٧٣.

يخفضوا أصواتهم في حضرة النبي ﷺ في جميع أحوالهم: (سؤالهم، وحديثهم،...إلخ). [١]

ومثل هذا المقام لا موضع فيه للتبعيض الذي يعني غض الصوت في حال دون حال، ومن ثم لم تذكر معه (من) للدلالة على عموم الفعل واستغراقه للمفعول دون استثناء أو تبعيض.

ولذلك كان ورود الفعل لازمًا وذكر (من) معه مناسبًا لتقييد الأمر بالتبعيض؛ وذلك دفعًا لما يحمله الأمر من عسر ومشقة إن كان الفعل متعديًا بنفسه.

(غفر واستغفر)

يستعمل الفعل (غفر واستغفر) في القرآن الكريم لازمًا ومتعديًا، فمن استعماله لازمًا قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[٢]

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾[٣]

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[٤]

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[٥]

إن دلالة الفعل اللازم هنا تدل على دوام الغفران والاستغفار في كل وقت، سواء أكان الذنب واقعًا بالفعل أم لم يقع.

" فالغفران هنا متوقف على الإيمان ؛ لأن الإيمان يجب ما قبله، أما الذنوب التي تقع بعد الإيمان فغفرانها موكول إلى أسبابه من صدق العقيدة

(١)إعجاز الظاهرة النحوية في القرآن الكريم: ص٧٢.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٢٩.

(٣) سورة التوبة: آية ٨٠.

(٤) سورة غافر: آية ٥٥.

(٥) سورة الأحقاف: آية ٣١.

وإخلاص العمل وسلامة السلوك، ولذلك جاءت (من) مع بعض الأفعال لإفادة التبعيض الذي يصدق على غفران ما سبق الإيمان من ذنوب وآثام"[١].

"وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ، ولعل المعنى فيه أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم" [٢].

فدلالة اللزوم للفعل هنا توعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة ، فوجب أن يغفر بعض الذنوب مطلقا من غير التوبة، وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الإجماع على أنه تعالى لا يغفر الكفر إلا بالتوبة عنه والدخول في الإيمان، فوجب أن يكون البعض الذي يغفر له من غير التوبة هو ما عدا الكفر من الذنوب [٣].

وأما استعماله متعديًا، قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾[٤]

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٥]

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾[٦]

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾[٧]

---

(١) تفسير البيضاوي:٣/٢٤٩.

(٢)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش شهاب الدين الآلوسي، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، (د.ت)، ١٥/٧٩.

(٣)ينظر: تفسير الرازي:٩/٢٢٠.

(٤) سورة البقرة: آية ١٩٩.

(٥) سورة آل عمران: آية ٣١.

(٦) سورة طه: آية ٧٣.

(٧) سورة النصر: آية ٣.

أما الفعل المتعدي هنا فله دلالة- والله أعلم- على طلب الغفران من ذنب وقع بالفعل، سواء أكان ذنبًا حقيقيًا، أم غير حقيقي، كالذي في حق النبي ﷺ.

" فالفعل المتعدي هنا يفيد أن المؤمنين يطلبون الدعاء بالغفران من كل الذنوب والخطايا التي وقعت منهم، أو وعد من الله للمؤمنين بغفران جميع ذنوبهم؛ لأن المقام سواء أكان دعاء من المؤمنين، أو وعدًا من الله عز وجل لا يتناسب معه التبعيض"[(١)]؛ لأن الكريم إذا وعد يعد بما يليق بمقامه من سعة العطاء وعظمة الإنعام ، والعبد إذا توجه إلى سيده لا يطلب منه القليل تعظيمًا لمقامه وإظهارًا للافتقار إلى سعة فضله[(٢)].

(كتب)

من الأفعال التي وردت لازمة ومتعدية، ومن صور لزومه قوله تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [(٣)]

﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [(٤)]

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[(٥)]

يدل الفعل (كتب) في الآيات السابقة، على العموم، ومعنى كتب هنا ، قدَّر، وقضى، والقضاء والقدر يأتيان بالخير والشر. [(٦)]

ومن صور تعديه قوله تعالى:

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [(٧)]

---

(١)إعجاز الظاهرة النحوية في القرآن الكريم: ص٧٠.

(٢)ينظر: الكشاف: ١٣٥/٤، والبحر المحيط: ٢١٢/٩.

(٣) سورة التوبة: آية ٥١.

(٤) سورة البقرة: آية ١٨٧.

(٥) سورة المائدة: آية ٢١.

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن: لأبي الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، عني بطبعه وقدم له له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م، ٣١٩/٥.

(٧) سورة الأنعام: آية ٥٤.

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (١)

﴿وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ ﴾ (٢)

من خلال الآيات السابقة يتضح أن الفعل (كتب) حدث له تخصيص دلالي، حيث حدد المفعول به(الرحمة، والإيمان، والجلاء)، الدلالة العامة الموجودة في الفعل.

(كسب)

يستعمل الفعل (كسب) في القرآن الكريم لازمًا ومتعديًا، فمن استعماله لازمًا قوله تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾(٣)

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(٤)

﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾(٥)

من خلال الآيات السابقة يتضح أن لزوم الفعل (كسب) قد أدى إلى العموم والشيوع، حيث جاءت دلالة الفعل لتبين عموم الكسب سواء أكان كسبًا حسنًا أم سيئًا.

وأما استعماله متعديًا، قوله تعالى:

﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾(٦)

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾(٧)

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾(٨)

---

(١) سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٢) سورة الحشر: آية ٣.

(٣) سورة البقرة: آية ١٣٤.

(٤) سورة الأنعام: آية ٣.

(٥) سورة المسد: آية ٢.

(٦) سورة البقرة: آية ٨١.

(٧) سورة النساء: آية ١١١.

(٨) سورة يونس: آية ٢٧.

من خلال الآيات السابقة يتضح أن تعدي الفعل (كسب) قد أدى إلى تخصيص دلالته، حيث جاءت دلالة الفعل لتحدد كسبًا معينا ، وهو الشر متمثلا في السيئات أو الآثام.

ويمكن القول بأن ورود الفعل (كسب) متعديًا في القرآن، جاء في معظم الآيات لدلالة واحدة وهي كسب الشر أو الإثم فقط، بينما قد يدل لزوم الفعل (كسب) على كسب الخير متمثلا في الحسنات والأعمال الصالحة ...إلخ، أو الشر متمثلا في السيئات وما شابهها من أعمال.

(مكَّن)

ورد الفعل لازمًا ومتعديًا، وقد اختلفت دلالة كل منهما، فمن وروده لازمًا قوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾(١)

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾(٢)

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾(٣)

ومن وروده متعديًا قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾(٤)

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾(٥)

---

(١) سورة يوسف: آية ٢١.

(٢) سورة الكهف: آية ٨٤.

(٣) سورة القصص: آية ٦.

(٤) سورة الأعراف: آية ١٠.

(٥) سورة النور: آية ٥٥.

﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾[١]
﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴾[٢]

من خلال الآيات السابقة التي توضح استعمال الفعل (مكَّن) لازمًا ومتعديًا تَبيَّن أن هناك اختلافًا دلاليًا بين الفعلين ، وليس كما ذهب البعض[٣] أنهما بمعنى واحد، كشكرته وشكرت له، ونصحته ونصحت له، وإنما جاء الفعل اللازم بدلالة مختلفة عن الفعل المتعدي.

فالآيات التي ورد فيها الفعل (مكَّن) لازمًا تبين وتوضح أن الله قد أعطى أسباب التمكين من العلم والقدرة وما قد يستعين به الناس للوصول إلى التمكين الحقيقي والملك.

ولذلك فإن الآيات في المجموعة الأولى التي ورد فيها الفعل (مكَّن) لازمًا لم تتحدث عن تمكين وقع بالفعل ، وإنما تحدثت عن إعطاء الله الأسباب التي مكنت صاحبها من التمكين والملك بعد ذلك، وهذا ما تبين من خلال قصة يوسف وذي القرنين عليهما السلام، وكذلك مع موسى وقارون عليهما السلام[٤].

أما الآيات في المجموعة الثانية التي ورد فيها الفعل (مكَّن) متعديًا فقد دلت على أمرين:

الأول : أن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن تمكين حقيقي من سيطرة وملك وتسخير لبعض الأشياء قد تم في الماضي لطائفة معينة ، أو لأشخاص معينين.

الثاني: أن التمكين سوف يحدث في المستقبل؛ لأن الله هيأ له الأسباب المناسبة، فهو واقع لا محالة .

أو يكون الحديث عن التمكين في باب الشرط، نحو قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ** ﴾ بمعنى: ولقد مكناهم في الذي أوفي شيء إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر.

---

(١) سورة القصص: آية ٥٧.
(٢) سورة الأحقاف: آية ٢٦.
(٣)ينظر: تفسير الرازي:٦/٢٢٣، وروح المعاني:١١/٣٩١.
(٤)ينظر: تنوير المقباس:ص ١٢٧.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ** ﴾ ، فهي أيضا من باب الشرط الذي يدل على إمكانية حدوثه في المستقبل.

ويتضح الفرق بين معنى الفعل (مكَّن) في تعديته الدالة على حقيقة التمكين والسيطرة، ولزومه الدال على تهيئة الأسباب لحدوث التمكين ، وذلك في قوله تعالى حيث جاء الفعل (مكَّن) متعديًا ولازمًا في آية واحدة:

﴿ **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**﴾[١]

فالفعل (**مَكَّنَّاهُمْ**) جاء متعديًا ليبين أن هناك أممًا مكن الله لهم الأرض ، وأعطاهم الملك ، وسخر لهم كثيرًا من الأشياء كنزول المطر، والأنهار، وغيرها من الاشياء التي تساعد على إقامة الحضارات.

أما الفعل (**نُمَكِّنْ**)جاء لازمًا، لأنه التمكين لم يحدث بعد، بل إن الله قد نفى عن كفار مكة حدوث التمكين لهم.

وقد جاء الفعلان ليدلا على مقارنة بين معنيين:

أحدهما : قوم مكن الله لهم ثم أهلكهم.

والآخر : كفار مكة لم يمكن الله لهم، ولم يعطهم أسباب التمكين، حتى يعتبروا من مصير الأمم قبلهم[٢]. – والله أعلم–

(نصح)

أما الفعل (**نصح**) والذي ذكر النحاة أنه يأتي لازمًا ومتعديًا، فقالوا نصحته، ونصحت له، إلا أنه لم يرد في القرآن الكريم إلا لازمًا، نحو قوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ**﴾[٣]

﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾[١]

---

(١) سورة الأنعام: آية ٦.

(٢)ينظر: تفسير ابن كثير:٥/١٨٩، تفسير البيضاوي:٥/١٩٠.

(٣) سورة الأعراف: آية ٧٩.

ولكن العرب تستعمل الفعل لازمًا ومتعديًا فتقول: "عبد الله نصحت له ونصحته، فتعديه إن شئت بحرف، وإن شئت أوصلت الفعل؛ كما تقول: نبأت زيدًا يقول ذاك، ونبأت عن زيد. فيكون نبأت زيدًا مثل أعلمت زيدًا، ونبأت عن زيد مثل خبرت عن زيد"(٢).

الخاتمة:

وفي نهاية الحديث عن تعدي الفعل ولزومه اتضح أن هناك أفعالاً جاءت لازمة ومتعدية؛ لأنها تعدت بنفسها تارة ، وبحرف الجر تارة أخرى ، وقد فسر بعض النحويين هذه الظاهرة: " بأنها ناتجة عن اختلاط لغات العرب، واختلافهم في استعمال الفعل بين التعدي واللزوم، لأن بعض العرب يمكن أن يلحظ الفعل قويًا، ويلحظُه آخر ضعيفًا"(٣).

ولكن ابن عصفور رفض هذا الرأي فقال: " إنه لا يتصور أن يوجد فعل يتعدى تارة بنفسه، وتارة بحرف الجر؛ لأنه محال أن يكون الفعل قويًا ضعيفًا في حال واحدة، ولا المفعول محلاً للفعل وغير محل للفعل في آن واحد " (٤).

وقد فسر ورود بعض الأفعال متعدية بنفسها تارة، وبحرف الجر تارة أخرى فقال: " إن الفعل إن كان "يحُلُّ بنفس المفعول، ويوجد تارة متعديًا بنفسه، وتارة بحرف جر، جعلنا الأصل وصوله بنفسه، وحرف الجر زائدًا ، نحو : مسحت رأسي، ومسحت برأسي، وخشَّنت بصدره وصدرَه ، لأن التخشين بالصدر والمسح يحل بالرأس"(٥).

---

(١) سورة التوبة: آية ٩١.

(٢)المقتضَب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت:٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١٥هـ. ١٩٩٤م، ٣٣٨/٤

(٣)ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور/رجب عثمان محمد، الدكتور/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى.(د.ت)، ٥٠/٣ .

(٤)شرح الجمل لابن عصفور : ٣٠٦/١ .

(٥) المصدر السابق : ٣٠٦/١ – ٣٠٧ .

ولعل المتأمل لهذه الأفعال يرى أن استعمالها اللغوي يجمع بين صفتي التعدي واللزوم، وهذا ييسر على الباحثين عدم الدخول في تأويلات ، وحمل الجمل ما لا تطيق، خاصة وقد ظهر أن للفعل دلالة في لزومه ، ودلالة أخرى في تعديته.